الإرهاب فى وسائل الإعلام والمسرح

(الجزء الأول)

دكتور
أبو الحسن سلام



تليفاكس [illegible] الإسكندرية

الإرهـــاب
فـى وسـائل الإعـلام والمسـرح

دكتـور

أبو الحسن سلام

أستاذ علوم المسرح بكلية الآداب

جامعة الإسكندرية

الطبعة الأولى

٢٠٠٥ م

النـاشر

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

تليفاكس: ٥٢٧٤٤٣٨ - الإسكندرية

الإرهاب فى وسائل الإعلام والمسرح

الناشــــر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
العنـــوان: بلوك ٣ ش ملك حفنى قبلى السكة الحديد - مساكن درباله - فيكتوريا - الإسكندرية.
تليفـــاكس: ٥٢٧٤٤٣٨/ ٠٠٢٠٣ (٢ خط) - موبايل/ ٠١٠١٢٩٣٢٣٣
الرقم البريدى: ٢١٤١١ - الإسكندرية - جمهورية مصر العربية.

E- mail

dwdpress@yahoo.com
dwdpress@biznas.com

Website

http:/ www.dwdpress.com

عنوان الكتاب : الإرهاب فى وسائل الإعلام والمسرح
المؤلـــف: د. أبو الحسن سلام
رقم الإيداع: ٩٨٧٥ / ٢٠٠٤
الترقيم الدولى: 5 - 467 - 327 - 977



إهـــداء

إلى شهداء الفكر والثقافة والفن

إلى شهـداء المقاومة الوطنيـة

فـي فلسطـين وفـي العــراق



مقدمة البحث وأهميته :

١- الغرض من البحث

٢- أهمية البحث

٣- مصطلحات البحث

٤- خطة البحث

أهميته ومنهجه :

دراسة وصفية وتحليلية لظاهرة الإرهاب عبر مراحل التاريخ البشرى مرورا بتاريخ الإرهاب فى شكله أو مصادره الدينية عند اليهود ، ثم مصادره عند الخوارج والشيعة،والطائفة الإسماعيلية والقرمطية مع التفريق المنهجى بين مصادر الإرهاب الفكرى قديما وحديثا ومصادر الإرهاب الفكرى.

وتقف الدراسة عند أشكال الإرهاب وصوره فى العصر الحديث بدءا من الثورة الفرنسية التى أخذت ظاهرة الإرهاب السياسى عندها مكانها فى عصرنا الحديث.

وتتناول الدراسة أجهزة الإعلام العربية والإسلامية وتحلل دورها فى مواجهة ظاهرة الإرهاب من ناحية ، وكذلك مواجهة حملات الإعلام الغربى والأمريكى من ناحية ، ومخططاتها الصهيونية المكثفة ضد الإسلام والمسلمين لإلصاق تهمة الإرهاب بالعالم الإسلامى بغية وضعه فى حالة دفاع مستمر عن النفس وإلهاء عن الدور التنموى والائتلافى الذى هو منظم رئيس لدول العالم العربى منذ قيام جامعة الدول العربية.

وتتناول كذلك صور الإرهاب فى وسائل الإعلام وصوره فى النصوص المسرحية العالمى منها أو العربى والمحلى.

وتنبع أهمية هذه الدراسة من كونها الدراسة المنهجية المتخصصة الأولى التى تعالج علاقة الإرهاب بوسائل الإعلام العربية والإسلامية وتكشف دور الإعلام الإسلامى والعربى فى ملاحقة صور الإرهاب وتفنيد حجج الإرهابيين المنتمين للأصولية الإسلامية وتكشف مصادر فكرهم الذى يزعم خدمة الإسلام فى حين أنه يقف فى مواجهة الإسلام ، كما أنها تعد الدراسة المنهجية الأولى التى تفرق بين مصادر الفكر الإرهابى . ومصادر الإرهاب الفكرى وصور كل منهما فى وسائل الإعلام،وفى المسرح . حيث تركز على تحليل النصوص المسرحية التى تصور أشكال الإرهاب السياسى المرتبط بمعتقد دينى أو بشخصية دينية أو شخصية لها علاقة بالدين ، وأشكال الإرهاب السياسى المرتبط بعقيدة حزبية وسياسية ، وأشكال الإرهاب السياسى الثورى، وكذلك أشكال الإرهاب المرتبط بحالات فردية ذاتية غير

منظمة وتنطبق عليها أركان الجريمة الإرهابية حيث يتوفر فيها الركن الرئيسى الأول وهو التهديد المباشر للنفس وللعرض وللمال أو لأحدهما والركن الثانى وجود طلب محدد ثم الركن الثالث وهو الإذاعة أو النشر والإعلام إلى جانب عنصر الاستمرار .. وبذلك تربط ما بين دور الإعلام ودور المسرح فى تناول ظاهرة الإرهاب وكشفها وفى التنشئة الإرهابية أيضا.

إشكالية الدراسة :

تظهر إشكالية هذه الدراسة من خلال محاولتها الإجابة عن عدد من التساؤلات التى تطرحها حول خروج الإرهاب من شرنقة التطرف ، الذى يخرج من دائرة اليأس النابع من الرفض السلطوى لمطالب الرفض المعارض الذى ارتقى من طور المعارضة إلى أطوار الرفض المتدرجة من الفردية إلى الجماعية غير المنظمة فالمنظمة ومن أشكال التعبير المعلن إلى أشكال التعبير المدبرة فى الخفاء ، ومن أشكال التعبير الإرهابى المخطط ضد شخصيات أمنية وإعلامية ورموز ثقافية إلى أعمال إرهابية تستهدف التمويل المالى بالسرقة وأعمال السطو المسلح إلى الإرهاب المستهدف للمؤسسات المدنية والمؤسسات العامة وحركة السياحة وصولا إلى الأشكال العشوائية للأعمال الإرهابية.

وتقف الدراسة عند إشكالية التوفيق بين أعمال السطو وفكرة الاستحلال التى نظرت لها بعض كتابات مفكرين إسلاميين مثل المودودى فى كتابه الصغير (نظرية الحكم فى الإسلام) وكتابه (المصطلحات الأربعة) الذى رأى فيه أن الصلاة والزكاة والصوم والحج ليست هى العبادات وإنما العبادة هى الحاكمية : إقامة دولة الإسلام التى يحكمها الله لا البشر !! وسيد قطب فى كتابه (فى ظلال القرآن) حيث طالب (الإخوان) بالهجرة من دار الإسلام لأنها لم تعد كذلك على نهج ما فعل قوم موسى (يهود مصر الفرعونية) حين أتاهم أمر الله فى مواجهة فرعون وأهله، ثم هو يفتى للإخوان فى كتابه المذكور بالصلاة فى بيوتهم على أساس أن المساجد فى بلاد الإسلام دور كفر وأنه لا يجوز شد الرحال إلا لأربعة مساجد هى : البيت الحرام ومسجد الرسول (ص) والمسجد الأقصى وأول مسجد بنى فى الإسلام وهو مسجد (قباء) . ثم فتواه لأتباعه من الإخوان المسلمين الذين لا يتبع والدوهم توجههم

الدينى وفق منـهج الإخـوان يفتيـهم بعـدم طاعـة والديـهم وعـدم مصاحبتـهم .. بمـا يخالف قول الله سبحانه إذ يأمر المؤمن الذى كان والداه كافرين ويحضانه على الكفر بقوله : ﴿فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا ﴾ فإذا بسـيد قطـب يـأمر أتباعـه الذين خالف والدوهم الانضواء تحت سلطان الإخوان بعـدم الطاعـة وعـدم المصاحبـة (فلا طاعة ومصاحبة) وذلك مخالفا لأمر الله . ثم يأمر أتباعه باسـتحلال مـال النـاس من غير جماعته المسلمة . ولقد جرى على نهجـه كـل جماعـة إسـلامية تاليـة علـى الإخوان المسلمين إذ دعوا إلى تكفير المجتمع وهجرته والصـلاة فـى غـير المسـاجد إلى جانب استحلال أموال من علـى غـير نهجـهم مـن المسـلمين وغـير المسـلمين وكذلـك اسـتحلال دمائـهم والحكـم بتطليـق زوجاتـهم ، بـل وصـل الأمـر بصـاحب كتـاب (الفريضة الغائبة) وأميره (شكرى مصطفى) الذى جـاء فـى اعترافاتـه أمـام المحكمـة العسكرية التى حاكمته وجماعته ، ردا على سؤال المحكمة عـن (الفريضـة الغائبـة) وهى الجهاد ، فى شأن محاربـة اليـهود ومشـاركة جماعتـه للحكومـة المصريـة فـى محاربة اليهود ،فصرح بأن (محاربة اليهود ليست جهادا) وأنه وجماعته لو وجـهوا إلى إسرائيل للمشاركة فى محاربتـها لمـا امتثلوا للأمـر . ذلـك أن جـهاده يجـب أن يوجه إلى الحكام المسلمين.

ولما كانت كل هذه التفسيرات متعارضة مع ما جاء فى كتاب الله وفى سنة رسوله ﷺ حيث قال تعالى : "﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلـها ﴾ وحيث خلف الرسول ﷺ على بن أبى طالب صبيا فى داره ليلة هجرته وأبى بكـر إلى المدينة ليرد للكفار أماناتهم عند رسول الله ﷺ الـذى أتمنـوه علـى مـالهم برغـم أنـهم جاءوا لقتله بضربة واحـدة مـن سـيوفهم . لذلـك بـرزت أمـام هـذا البحـث إشـكالية التباس الأمر الشرعى أمام الأجيال المسلمة واتساع مناخ الهجوم على الإسلام واتهامـه بالإرهاب انطلاقاً من تلك التنظيرات الفكرية التى تعد بحق مصـادر للفكـر الإرهـابى الأصولى . والإشكالية الثانية أمام هذا البحث تتمثل فى الدور النقلى للإعـلام العربـى والإسلامى ، حيث غياب "التغذيـة الراجعـة" إذ يقـف الإعـلام العربـى والإسـلامى موقف المستقبل للحـدث الإرهـابى أكـثر ممـا يقـف موقـف المواجهـة والكشـف عـن

أساليب الإرهاب وأسبابه وسبل المناعة المضادة له. وتظهر الإشكالية الثالثة فى دور الدولة وفى دور البيت والمدرسة والمسجد والنوادى فى تربية الإرهاب لدى الشباب.

وتأتى الإشكالية الرابعة أو البعد الرابع لإشكالية هذا البحث فى كون الدراسة التحليلية والوصفية لمظاهر الإرهاب وصوره فى المسرح دراسة جديدة لم تعرفها الدراسات المسرحية من قبل الأمر الذى يستوجب الاعتماد على المصادر أكثر من الاعتماد على المراجع ، وما يعنيه ذلك من تضاعف المسؤولية على هذه الدراسة.

ويشكل البعد الخامس فى إشكالية هذا البحث جملة ما كتب من دراسات إعلامية حول الإعلام الإسلامى ، حيث اكتشفت اعتماد غالبية الدراسات الإعلامية حول الإعلام الإسلامى على بعضها إذ تدور فى محور واحد وأنها تنقل من بعضها بعضًا دون استنباط قضايا جديدة بل دون تحليل فعلى للمصادر الإسلامية الشرعية ووسائلها الأتصالية ووسائلها الإعلامية ، هذا بالإضافة إلى ندرة مثل تلك الدراسات وانعدامها فى مجال الدراسات الإعلامية وعلاقتها بالإرهاب.

ويشكل البعد السادس فى إشكالية هذا البحث دور وسائل الإعلام وسلطة الفكر الدينى والسياسى الذى تبثه وسائل الإعلام والفنون السينمائية والدرامية ، وخاصة فى المسرح فى تربية الإرهاب.

وكل تلك الأبعاد المكونة لإشكالية هذه الدراسة تحتاج إلى الدرس والتحليل والبحث الدؤوب عن سبل حلها.

مصطلحات البحث

الإرهاب : معانيه في القرآن :

أ) الإرهاب بمعنى العبادة :- (يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التـى أنعمـت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فـارهبون) (سـورة البقـرة ٤٠)

(واضمم إليك جناحك من الرهب) (سورة القصص ٣٢).

ب) الإرهاب بمعنى التسليم:- (ولما سكت عن موسى الغضب ،أخـذ الألـواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبـون) (سـورة الأعـراف ١٥٤).

جـ) الإرهاب بمعنى التوحيد :- (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين وإنما هـو إلـه واحد فإياى فارهبون) (النحل ٥١)

د) الإرهاب بمعنى التخويف :-(لأنتم أشد رهبة فى صدورهم مـن الله ، ذلـك بأنهم قوم لا يفقهون) (سورة الحشر ١٣).

هـ) الإرهاب بمعنى الاندهاش :-(قال ألقوا فلمـا ألقـوا سـحروا أعيـن النـاس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم) (سورة الأعراف ١١٦).

و) الإرهاب بمعنـى الإلزام بفعل الخير :-(إنـهم يسـارعون إلـى الخـيرات ويدعوننا رغبا ورهبا) (سورة الأنبياء ٩٠).

ز) الإرهاب بمعنى الردع :-(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيـل ترهبون به عدوا الله وعدوكم ، وآخرين من دونـهم لا تعلمونـهم الله يعلمهم) (الأنفال ٦٠).

م) الإرهاب بمعنى الحماية :-(وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليـت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً) (الكهف ١٨).

اليهودى : تعرف أدبيات جماعة الناطورى كارتا (وهـى جماعـة يهوديـة معاديـة للصهيونية) الشعب اليهودى بأنه ليس شعبا بالمعنى المتعـارف عليـه ، وإنما هو أساس جماعة دينية ظهرت إلى الوجود منذ ثلاثـة آلاف عـام .

ويتخذ هذا الشعب وجوده من ميثاقه مع الخالق وهو ميثاق دائم لا يمكن فضه . وحسب هذا الميثاق يلتزم كل اليهود بالتوراة وتعاليمها وهى التى يقوم الحاخامات بتفسيرها كل فى جيله . إن اليهود بهذا المعنى ليسوا شعبا بالمعنى السياسى وهم ليسوا عنصرا مستقلا - كما زعم - (هتلر) وإنما هم أولا وأخيراً جماعة دينية.

الصهيونى : هو الشخص الذى يؤمن بأن اليهود يكونوا شعباً مثل كل الشعوب وأن فلسطين أو إسرائيل هى وطنه القومى . ولذا فإن واجب اليهودى الصهيونى أن ينهى "غربته" وأن يهاجر إلى وطنه القومى فى أول فرصة تسنح له ، فالفكر الصهيونى يصنع الوطن القومى فى مقابل المنفى ، فيرى أن الوطن القومى جدير بالبقاء أما المنفى والشتات فلا بد من تصفيتهما ، أو الاحتفاظ بهما كشئ تابع باعتبار أن الدولة الصهيونية هى بمثابة المركز لحياة اليهود داخل فلسطين وخارجها.

الإرهاب : مر هذا المصطلح بعدة مراحل يتوسع حينا ويضيق فى حين آخر ، مما ترتب عليه عدم وجود تعريف واحد للإرهاب يمكن الاتفاق عليه .. فالإرهاب هو "بث الرعب الذى يثير الجسم والعقل" ، أى الطريقة التى تحاول بها جماعة منظمة أو حزب أن يحقق أهدافه عن طريق استخدام العنف ، وتوجيه الأعمال ضد الأشخاص سواء أكانوا أفراد أم ممثلين للسلطة ممن يعارضون أهداف هذه الجماعة.

والإرهاب هو الاستخدام المنظم للإجراءات الاستثنائية للعنف بغية تحقيق هدف سياسى ، وعلى وجه الخصوص فهو مجموعة أعمال العنف من اعتداءات فردية أو جماعية أو تدميرية ، يخطط لها ثم ينفذها تنظيم سياسى (حاكم أو معارض) للتأثير على السكان وخلق مناخ الاضطراب أو عدم الأمن . وقد يتخذ صورا فردية ، ويتحدد الفعل الإرهابى بأربعة عناصر هى :

أ- عنصر الرعب.

ب- عنصر المقابل (وجود طلب للفاعل).

جـ- عنصر الاستمرار (استمرار الرعب فى النفس وعدم انتهاء أثره).

د- دعاية مصاحبة للرعب.

التعاقب : استمرار فعالية الأصول فى الحاضر بتأثير الأصل فى الفرع بشكل كثيرا ما يعطل تأثير الحاضر فى الحاضر ومن ثم تأثير الحاضر فى المستقبل.

التعايش : التأثير المادى على المعنوى والحاضر فى مواجهة الأصول المعطلة للحاضر.

الثيوقراطية : استبداد السدنة والمشايخ وتفردهم بالحكم (حكومة التفويض الإلهى) فالمشايخ أو رجال الدين هم المتفردون بالتفسير والاجتهاد والحكم والتنفيذ فى آن واحد ..

التطرف : ضياع الحق بسبب ضياع التحقق ، على طريق المضى فى الشىء إلى منتهاه دون مراعاة الوسط المحيط والشروط الموضوعية.

الجاهلية : وردت اللفظة فى القرآن الكريم مقيدة بعمل (ظن الجاهلية) ،(حكم الجاهلية) ، (تبرج الجاهلية) حمية الجاهلية.

أ) خلاف العلم :(عند الجماعات المتطرفة) :بعض العلم - رفض التعايش فى المجتمع - رفض الثقافة والفكر والفن.

ب) الخفة وعدم الطمأنينة : استخفاف بين طرفين ، إذ يستخف طرف بقدرات الطرف الآخر مثلما تستخف الحكومة بالمنظمات الإرهابية أو يستخف الإرهابيون بالحكومة.

الصدوقيون : جماعة من اليهود القدامى ينتسبون إلى صدوق كاهن داود ، وهم . فرقة دينية عاصرت الفريزيين واللفظة من (صدوقيم) ومعناها أهل العدل، وكانوا معاديين للفريزيين والمسيحيين ، وصفهم التلمود بالأبقوريين لأن مفهوم هذه الصفة عند اليهود التلموديين ينطبق على من يصاب بالشك فى الحقائق وعدم تصديق الروايات الشفوية مع الإنفكاك من قيود الدين والأخلاق . وتعرف هذه الطائفة بما يلى :

أ- إنكارها للبعث.

ب- إنكارها للحياة الآخرة.

جـ- إنكار فكرة الحساب الأخروى.
د- إنكار الملائكة والشياطين.
هـ- إنكار القضاء والقدر.
و- الإيمان بأن الإنسان خالق أفعال نفسه (مخير).
ز- الإيمان بقدسية التوراة ولا تؤمن بالتلمود ونحوه.

القنائيون: جماعة يهودية دينية قديمة ، وهى متطرفة إلى أبعد مدى حتى أنهم يقتلون اليهودى الذى يتزوج بأجنبية هو وزوجته وقد اشتهروا باسم "سيقارين" أو "سيقاريقين" أو السفاحون أو قطاع الطرق كما أنهم سموا فى بعض الوثائق "بريوناى" أو الخارجين على القانون والمتمردين.
وصفهم المؤرخ اليهودى "يوسيفوس" المعاصر لهم بالجماعة التى تمتاز بتمسكها بفكرة الوطن اليهودى الحر المستقل ، وكانوا لا يعترفون برئيس أو سيد إلا الله ، وكانوا يفضلون الخروج على القانون ، بل يفضلون الموت لهم ولذويهم على أن يبايعوا حاكما أجنبيا.

الغيريزيون: جماعة دينية يهودية قديمة متعصبة ، عرفت بالتشدد وهى جماعة مسؤولة عن "الدياسبورا" وهى التشريد الرومانى لليهود الذى استمر إلى ما بعد وعد بلفور . وهم أيضا مسؤولون أمام الرأى العام عن كل التفاسير التى وجهوا بها النصوص التوراتية وجهة الصهيونية فى العصر الحديث . وهم قديما من تآمر فى اتجاه صلب المسيح.

لاسالة: جماعة دينية يهودية متطرفة تبالغ فى السلوك المتقشف والقناعة المفرطة والزائفة إلى حد الصنعة الدينية المبتذلة.

البغى: جريمة الخروج على الحكم باستخدام العنف والقتل وتهديد الأمن العام فيه.

الشرط الموضوعى: وهو تهيؤ البيئة الاجتماعية للتغير.

الشرط الذاتى: وجود نظام اجتماعى بعد أن تجمعت فى الخفاء عناصره على شكل رأى عام مستتر فى البداية - فى مرحلة التكوين فإذا توائم مع (الشرط الموضوعى) تحقق التغيير.

الإثارة : يصنعها أسلوب الأعداد مع التركيز والاعتماد على الذاكـرة الانفعاليـة مـع توظيف الخيال . وذلك بهدف التحفـيز والحـث الانفعـالى الممـهد لفعـل عنيف.

الإقناع : جهد عقلى فى مواجهة عقول متفتحة . وسـيلته الحقـائق الاستشـهادات المتصلة بالموضوع . والأرقام والبيانات المدعمة والأمثلـة المسـاعدة المتاحـة .وكلها أدوات المناقشة أو المجادلة أو المناظرة.

المناظرة : الحديث المتبادل بين شخصين أو فريقين فيما يشبه الأخذ والعطاء حول قضية أو فكرة بحيث يعرض كل طرف وجهة نظره منتصرا لها بالحجـة والبرهان ما وسعه ذلك وهى شفهية وجاهيـة علـى نحـو مـا كـان يفعـل المشائيون من الفلاسفة اليونـانيين السوفسـطائيين القدامـى ، وكمـا كـان يفعل المتكلمون المسلمون فى العصر العباسى.

المشافهة : إبداء الرأى شفاهة ،بوقوف كل طرف فى مواجهة الطـرف الآخـر فـى جدل أو نقاش أو حوار.

الاتصال : العملية التى ينقل القائم بمقتضاها منبهات تتشكل عادة مـن رمـوز لغويـة بهدف تعديل سلوك الأفراد الآخرين مسـتقبلى الرسـالة والاتصـال عمـل قائم فـى أى عمليـة اجتماعيـة . والاتصـال قديـم قـدم البشـرية ومتصـل بوجودها ومستمر باستمرار الحيـاة نفسلها ، ومتجـدد بتجددهـا ومتنـوع بتنوع توجهاتها الاقناعية والتفاعلية والتعبيرية.

الإعلام : الاتصال بالجماهير عن طريق وسيط بهدف بنائى وهـدف تأثـيرى معيـارى من خلال تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقـائق الثابتة ، التى تساعدهم على تكوين رأى صائب فى واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات،بحيث يعبر هذا الرأى تعبيرا موضوعيا عـن عقليـة الجماهير واتجاهاتهم وميولهم . أملا فى كسب تأييدهم والتأثير عليهم..

الرأى العام : ظاهرة جماهيريـة اجتماعيـة وسياسـية تـهم القيـادات التـى تتصـدى للجماهير عند توجيهها أو إثارتها وتحريكها.

والرأى العام : هو الفكرة السائدة بين جمهور من النـاس تربطـهم مصلحـة مشـتركة إزاء موقف من المواقف أو تصرف مـن التصرفـات أو مسـألة مـن المسـائل

العامة التى تثير اهتمامهم أو تتعلق بمصالحهم المشتركة وهو يعد الثمرة النهائية للنقاش والتفاعل فى الآراء تفاعلا ظاهرا وكامنا لذلك فهو تعبير مادى فى شكل رد فعل كالاستجابة لمثيرات معينة ، وهذه المثيرات غالبا ما تكون أحداثا وليست خطبا أو مجرد كلمات.

ويتسم الرأى العام بالثبات النسبى والاستقرار النسبى ، وإن تعرض للتذبذب بشدة من النقيض فى حالة وقوع أحداث مهمة تمس المصالح الذاتية للمجموع فيتحيز أو يتطرف أو ينفعل حينما يؤسس على التضليل وغياب الحقائق فى ظل المناخ الديموقراطى.

والرأى العام لا يكون موجودا إلا إذا توافرت مقومات وجوده الموضوعية وهى المجتمع ، والمشكلة ، والمناقشة أو التفاعل الجماعى ، وهى مقومات أساسية لا يقوم الرأى بدون وجودها.

التلمود : هو ذلك الكتيب الذى يحتوى على التعليمات التى يتوجب على كل يهودى فى كل زمان ومكان أن يعمل بها كجزء لا يتجزأ من رسالة سيدنا موسى وقد وضعه عدد من الحاخامات قبل عام ١٥٠ ميلادية.

البروتوكولات : وهى المعروفة ببرتوكولات حكماء صهيون ، وهى تتكون من عدة تفسيرات أضافها حكماء صهيون إلى التلمود وهى مجموعة من التعليمات التى تحرض اليهود الصهاينة على الشعوب الأخرى أفرادا وجماعات وأنظمة وتنظم العنف والإرهاب الصهيونى ضد الشعوب غير اليهودية.

الفكر الإرهابى : هو المصدر الرئيسى الذى ينظّر لكل عمل إرهابى وهو دينى غالبا أو اعتقادى حزبى.

الإرهاب الفكرى : هو استخدام وسيلة لإرهاب مفكر حر أو معارض سياسى والتحريض على تصفيته وإحاطة أعماله وأفكاره بجو من الكراهية والاتهام الباطل لكل ما ينتج من فكر أو إبداع بعدائه لجنس ما أو للعقائد وللمقدسات . وهو نشاط فكرى يشيع فى الأوساط الفكرية والثقافية . وغالبا ما يترجم إلى عمل إرهابى وهو بداية عملية للفكر الإرهابى حيث يمهد له الطريق ويحيطه بالتغطية الإعلامية والإشاعة عند نجاح مخططه الإرهابى ليشتت ضربات رد الفعل الموجه إليه.

الباب الأول

بين سلطة المصادر الإرهابية
للفكر وسلطة المصادر الفكرية للإرهاب

تمهيد :

سلطة الفكر بين الشريعة ومحاولات الخروج عليهما

إن للفكر سلطة فى الشريعة ،إذا اعتبرنا أن كل معطيات الشريعة إنما هى معروضة على العقل بنص القرآن الكريم :

- يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتو العلم درجات (المجادلة -١١).
- إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون (يوسف -٢).
- إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون (الزخرف -٣).
- قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون (الحديد - ١٧).
- كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون (النور -٦١).
- كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تتفكرون (البقرة -٦٦).
- كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون (آل عمران - ١٠٣).
- ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما (القصص - ١٤).

ولأن لغة العقل هى الفكر لذا فإن سلطة الفكر هى سلطة فكر الشريعة . وهو فكر الله عز وجل :"ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء" (البقرة - ٥٥) وقال تعالى :"افرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم"(الجاثية -١٣).

ثم إنّ للفكر سلطة فى الشرعية ، لأن كل معطيات الأنظمة السياسية الحاكمة ، التى استندت إلى التشريعات الوضعية تتذرع بسلطة فكر الشريعة وسلطة الفكر الوضعى المستمد من الشريعة لتوكيد الشرعية.

وتكمن الإشكالية فى طبيعة المواجهة بين الشريعة والإرهاب من ناحية ، وبين الشرعية والإرهاب من ناحية ثانية . وذلك بأن يعتدى ممثل الشرعية على الشريعة - فى نظر حماتها أو المتسترين خلفها - أو يعتدى المتسترون وراء الشريعة والشرعية ، ومن ثم يفتقد البلد إلى النظام الحاكم فتسود الفوضى ، ويعم الإرهاب ويصبح الرعب شريعة أهله.

وحيث تكون المواجهة بين الاتجاه الرافع للشريعة شعارا ، وشرعية النظام الحاكم فى دولة ما ، استناد إلى سلطة الفكر الإرهابى ،فإنها تستمد سلطتها من الفكر الشرعى الدينى وليس من الشرع (الدين) نفسه . ذلك أن أصحاب اتجاه الفكر

الدينى ، وكذلك أصحاب الفكر الدينى ، شرعهم فى تشريعهم (فهمهم للدين) أصحاب السلطة شرعهم فى دستور البلاد - إن وجد - وقوانينها ، فالمفكر التشريعى لكل طرف منهما يمثل الشرعية عند كل طرف منهما.

من هنا نشأ التناقض بين الطرفين ، نشأ التناقض الرئيسى بين التنظيمات الدينية ومن يزعمون أنهم حماة الشريعة وبين الأنظمة الحاكمة التى تزعم أنها نحكم وفق شرعية تحتم عليها الدفاع عنها ضد إرهاب هؤلاء . وسواء أكانت هذه الأنظمة الشرعية السياسية الحاكمة (برلمانية أم رئاسية ، شمولية أم دكتاتورية) فإنها تنعت نظامها بالنظام الشرعى.

وبالإضافة إلى التناقض الرئيسى بين دعاة حماة الشريعة ودعاة حماة الشرعية فقد نشأت قبل ذلك تناقضات ثانوية متلازمة فى وجودهما على الدوام . غير أن تصعيد حدة التناقضات الثانوية وتحويلها الفجائى إلى تناقض رئيسى هو الذى يحول أشكال الصراع وصوره إلى مواجهات إرهابية متبادلة ومتصاعدة تنتهى دائما بانتصار أصحاب الشرعية الحاكمة - وإن استمر الصراع الدامى بضع سنين.

ولما كانت تلك الإشكالية تحتاج إلى حل ، وكان الإعلام هو الوسيلة بل الهدف الذى تسعى إليه المواجهات الإرهابية ، لنشر الرعب ، ومن ثم فرض إرادتها أو سيطرتها على الرأى العام - كخطوة أولى - أملا فى بسط سلطة فكرها ، وبعد ذلك فرض سلطتها السياسية التنفيذية على المجتمع كله ، كما كان الإعلام ، وكانت الفنون الدرامية فى الإذاعة والتليفزيون وفى السينما ، وفى المسرح ، إلى جانب الصحافة والندوات هى أهم وسائل المواجهة الرسمية والشعبية للإرهاب فى مقابل شرائط الفيديو والكاسيت والخطب والمنشورات والكتيبات والكتب واللقاءات الصحفية فى خارج البلاد وفى صحف المعارضة وسائل المواجهة الإعلامية للتنظيمات الإرهابية فى مواجهة نظم الحكم ، فقد بات على هذا البحث رسم أشكال هذه المواجهة المتبادلة فى صميم خطته لاستكشاف دور كل من الإعلام والمسرح وتتبع هذه المواجهات الفكرية وصورها وتحليلها والتماس دوافعها الفعلية ومصادر نشوئها وعوامل تنشئتها اعتمادا على فهم تاريخ ظاهرة الإرهاب فى التاريخ البشرى القديم والحديث وتطور الأساليب الإرهابية واتساع مداها فى حياتنا المعاصرة.

الفصل الأول

الإرهاب فى التاريخ البشرى

تمهيد :

من البداهة أن الإنسان يتطور وتتطور معه أفكاره وقضاياه وقيمه وأساليب تحقيقه لإرادته الفكرية وحلوله لقضاياه التى تشكل سبيله إلى تحقيق قيمه وتثبيتها أو تغييرها تبعاً لمعتقداته وقناعاته الفكرية التى يرى أنها تحقق له ذاته بوصفه فرداً فى مجتمع ومن ثم تحقق له انتماءه إلى اتجاه اجتماعى أراد أن ينطوى تحت لوائه أو وجد نفسه عضواً فى تياره الفكرى والتفاعلى.

ومن البداهة أن تشذ سلوكيات بعض الناس عبر التاريخ الطويل للإنسانية عما درج عليه الناس فى السلوك فتنحرف فى فهمها وفى معتقداتها وفى فعلها قولاً أو عملاً عما درج عليه مجتمعه نتيجة لسوء نية أو نتيجة من سوء فهم أو سوء تقديرمتبادل على أن هذا الخروج السلوكى هو نتيجة رغبة رافضة للموجود ، لما رأت مغايرته لما تريد أو غالت فى فهم اعتقاد أو الحرص الزائد على فكرة محددة قيد الخارج نفسه بها بما لا يتفق مع حرص الناس كلهم عليها فاستحالت المغالاة والحرص الزائد إلى نوع من التعصب.

وربما برز فى التدين أكثر من غيره من أمور الناس.

يقول زين العابدين الركابى "إن أناسا من الناس ندّوا عن الدين الحق ، واضطربت صلتهم به ، ليس بسبب كراهيتهم له ، وليس ضعف الاستعداد فى الأخذ بعزائمه وفضائله ، وإنما تورطا فى ذلك بسبب الشطط فى العلاقة بالدين : فهماً واعتقاداً وسلوكاً.

إن الخوارج كانوا عُبّاداً ومجاهدين - فى الجملة - ولكن غلوهم الاعتقادى والعلمى جعلهم يمرقون من الإسلام ، كما يمرق السهم من الرمية"[1].

ويستطرد الركابى إلى غلو المعتزلة فى العصر العباسى ليجيب عن سؤاله الذى طرحه "ولماذا زاغت المعتزلة ؟ بقوله : "لقد بالغوا فى تنزيه الله تعالى حتى قالوا بنفى الصفات - إلا قليلاً - إذ قالوا : "ما قامت به الصفات فهو جسم ، لأن

---

(١) زين العابدين الركابى ، فى تقديمه لكتاب عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، الغلو فى الدين فى حياة المسلمين المعاصرة ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) ص (أ).

الصفات أعراض ، والأعراض لا تقوم إلا فى الأجسام "وبناء على ذلـك أنكـروا رؤيـة الرب - سبحانه - يوم القيامة ، فالعين لا ترى إلا جسماً - بزعمهم."

وبـالغوا فـى الربـط بـين الإيمـان والعمـل حتـى كفّـروا المسـلمين بالمعـــاصى والذنوب[1] ولقـد اسـتحالت فكـرة تكفـير الغـير إلى فكـرة الخـلاص مـن ذلـك الغـير بتصفيته تصفية جسدية لإرهاب غيره ، ومن هنا كانت فكرة الإرهاب فكـرة قديمـة ارتبطت بالتعصب الأعمـى الـذى هـو نتـاج الخلـل فـى الفـهم وعـدم إحكـام الضبـط الاجتماعى على مستوى الأسرة ودور التعليم والمسجد والدولـة . لأن ظـاهرة الإرهـاب تتشكل وفق طبيعة الخلل الاجتماعى والأسرى ذلك الذى يتشـكل ويتلـون وفـق لـون العصر ونظمه ، ويتطور بتطوره ، يقول محمد مؤنس :"عبر السوابق المتلاحقة لتاريخ الإرهاب نلمح اختلافاً بين كل مرحلة وأخرى من حيـث أسـلوبه وعنـاصره وأهدافـه وهو ما قد نلمحه كذلك داخل المرحلة الواحدة"[2].

لذا كان حريا بهذا الفصل من البحث الوقـوف عنـد أربعـة مبـاحث رئيسـة وذلك على النحو الآتى :

١- مبحث حول مشكلة تعريف الإرهاب.

٢- مبحث عن التطور التاريخى لظاهرة الإرهاب.

٣- مبحث عن أهم حوادث الإرهاب ودوافعه فى التاريخ القديم.

٤- مبحث عن الإرهاب ودوافعه فى التاريخ الإسلامى.

---

[1] محمد اللويحق - الغلو فى الدين . م .ن.

[2] محمد مؤنس محب الدين ، الإرهاب فى القانون الجنائى على المستمين الوطنى والدولى ، دراسة قانونية مقارنة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٧، ص١٤٠.

المبحث الأول
مشكلة تعريف الإرهاب

الإرهاب : كلمة حديثة فى اللغة العربية وهى مشتقة من الفعل (رهب) ومعناها خاف،ومصدرها واشتقاقها كما يلى (أرهب وأرهبه أى خوفه . وأرهب بمعنى ركب الرهب ، وهو ما يستعمل فى السفر من الإبل ، وأرهب أى طال كمه ، ويقال رجل رهبوت خير من حموت) [1]. والإرهابيون :"وصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية"[2].

وكلمة إرهاب : مشتقة من معنى الرعب والفزع والخوف ، وإن كانت الرهبة فى اللغة العربية لفظا ، استخدم فى المعتاد عند التعبير عن الخوف المشوب بالاحترام ، لا الخوف الفزع الناجم عن تهديد قوى مادية أو حيوانية أو طبيعية يقال رجل رهبوت : أى رجل له مهابة واحترام. وإلى جانب المعاجم اللغوية العامة التى ترجمت كلمة إرهاب إلى اللغة العربية ، هناك المعاجم المتخصصة التى حرصت على إبراز الدلالة الاصطلاحية للفظة الإرهاب[3].

ففى معجم العلوم الاجتماعية نجد أن الإرهاب هو "لغة أحداث الخوف والرعب[4] ، وبوساطة النزعة الإرهابية عند جماعة منظمة أو حزب يسعى إلى أن يحقق أهدافه عن طريق استخدام العنف ضد الأشخاص سواء كانوا أفرادا أم جماعات ممن يعارضون أهداف هذه الجماعة[5].

وفى المجال السياسى "الإرهاب" هو محاولة نشر الذعر والفزع لأغراض سياسية كوسيلة لإشاعة روح الانهزامية والرضوخ لتحقيق أطماعها[6] . هذا بالإضافة

---

[1] راجع ما كتبناه فى مصطلحات البحث ص١٣.

[2] محمد ابن أبى بكر الرازى ، مختار الصحاح ، ط ١١ القاهرة ، ص٢٥٦.

[3] المعجم الوسيط ، ط٢ ، (١٩٧٢) ، ص٣٧.

[4] معجم العلوم الاجتماعية ، (القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، (١٩٧٥) ، مادة إرهاب ، ص٢٧.

[5] أحمد زكى بدوى ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية بيروت ، مكتبة لبنان ١٩٧٤. مادة رهب.

[6] أحمد جلال عز الدين : الإرهاب والعنف السياسى ،(القاهرة) ، دار الحرية ، (١٩٨٥) و ص٢٤.

إلى مدلول الإرهاب الذى ورد فى القرآن الكريم على النحو الذى سبق عرضه فى هـذا البحث.

هنـاك جـدل قـائم حـول تعريـف محـدد للإرهـاب يمكـن أن يكـون موضـع اعتراف جميع دول العـالم بـه ، وذلك أن الاتفاقيـات الدوليـة أو الإقليميـة وكذلـك التشريعات الجديدة تضيف كل يوم أفعالا جديدة تعدها ضمن أعمال الإرهاب ، وهـو أمر يثير الجدل من وقت لآخر حول الحد الفاصل بين أعمال الإرهاب غير المشـروعة وبين أعمال العنف التى تقع دفاعا عن الأوطان وعن كرامة الإنسـان وحقوقـه ، وقـد ظهر هذا الجدل فى عدد من المناسبات فى المحـافل الدوليـة . فالإرهـابى فـى نظـر البعض هو الخارج على الأعراف والقوانين عن طريق بث الرعب ونشـر الخـوف عـن طريق القتل أو الخطف أو النهب والسلب وهو فى نظـر البعـض الآخـر محـارب مـن أجل الحرية.

وقد أدى هذا الاختلاف فى وجهات النظر حول تعريف الإرهاب إلى انقسام اتجاهات الباحثين نحو مشكلة تعريف الإرهاب إلى ثلاثة أقسام رئيسية[1]:

الاتجاه الأول: استبعاد محاولة التعريف :

إذ يرى أصحاب الاتجاه من الباحثين فـى تعريفـهم لظـاهرة الإرهـاب عـدم جدوى تعريف تلك الظاهرة بسبب استقرارها فى الأذهان والخوف من إيجاد كلمـات وصفية مجردة لا تؤدى إلى معنى واقعى وحقيقى بل يؤدى ربما إلى المزيد من الحـيرة والغموض.

الاتجاه الثانى : النظرة المادية للتعريف :

يلجأ أنصار هذا الاتجاه فـى تعريفـهم لظـاهرة الإرهـاب إلى وصـف الأفعـال المادية التى يمكن أن يطلق عليها لفظ الإرهاب بصرف النظر عـن مرتكبيـها ، وطبقـا لهذا المفهوم فإن جميع أفعال الاختطـاف المصحـوب بطلـب فديـة . وجميـع أفعـال اختطاف الطائرات ، وأفعال القتـل المثيرة ، هـى أفعـال إرهابيـة حتـى ولـو يقصـد فاعلوها إنشاء حالة من الرعـب والخـوف . وخـرج هـذا الاتجـاه بمحاولـة للتعريـف وهى: "أن الإرهاب مثل القتل والحريق العمد واستخدام المفرقعـات ولكنـها تختلـف

---

[1] م. ن. ص٢٣.

عن الجرائم التقليدية بأنها تقع بنيه مسبقة بقصد إحداث الذعر والفوضى والخوف العام داخل مجتمع منظم ، وذلك من أجل إحداث نتيجة تتمثل فى تدمير النظام الاجتماعى[1] ويؤخذ على هذا التعريف إغفاله لأمرين مهمين هما :

١- عدم القدرة على تخيل الأفعال الإرهابية مستقبلا نظرا للتقدم الهائل فى الابتكارات العلمية.

٢- ما تهدف إليه الأعمال الإرهابية من تحقيق أغراض سياسية.

الاتجاه الثالث : النظرية الموضوعية للتعريف :

وقد ظهرت موضوعية لتعريف الإرهاب من خلال إسهام اتفاقية عصبة الأمم المتحدة فى عام ١٩٣٧ وما تلاها من دراسات فى تحديد عناصر الإرهاب بعد استبعاد صور العنف السياسى وهى :

١- فعل أو أفعال إرادية ومتعمدة.

٢- القصد منها إحداث حالة من الرعب (أى أن الأفعال محسوبة ومدروسة بقصد خلق حالة من الرعب فى أذهان الشعب أو الجماعة التى تحدد هدف الإرهاب).

٣- محصلة أو نتيجة تتمثل فى القتل أو الجراح الخطيرة أو فقد الحرية ، التى تقع للأشخاص الرمزيين (رؤساء الدول والحكومات وعائلاتهم والموظفين العموميين أو المكلفين بخدمات عامة) أو لغيرهم ممن يحيق الإضرار بهم.

٤- أن تكون الأفعال محسوبة ومدروسة بقصد تهديد الأمن العام وتعرض الكافة للخطر.

كما أن هناك عناصر أخرى للإرهاب أوردتها الباحثة مارتا هاتشنسون Martha Hatchensoun هى[2]:

١- نمط الاستخدام المنظم أو المنسق للعنف.

٢- السلوك الوحشى أو المفاجئ الذى يحدث صدمة.

٣- التحكمية أو الاعتباط.

٤- انتقاء الأهداف.

---

[1] أحمد جلال عز الدين . م . ن ، ص٢٧.

[2] أحمد جلال عز الدين . م . ن ص٢٩.

٥- عدم التفرقة بين خواص الأهداف.

٦- انعدام الرشد أو العقلانية.

٧- النشاط غير الأخلاقى أو غير العادل.

ويصف أحمد جلال عز الدين محاولات التعرف المادية منها الموضوعية بالقصور .. إما لأنها اقتصرت على الجانب المادى (الأفعال) أو الجانب القانونى (الجرائم) ، أو الجانب الأخلاقى أو الجانب السياسى أو الجمع بين بعض هذه الجوانب دون البعض الآخر.

ويرى أن التعريف الأمثل يجب أن يتصف بأمرين هما :

١- التجريد والموضوعية.

٢- والإلمام بالجوانب المختلفة للظاهرة دون إغفال أى منها[١] . وبناء على ذلك يقترح التعريف الآلى : "الإرهاب هو عنف منظم ومتصل بقصد خلق حالة من التهديد العام الموجه إلى دولة أو جماعة سياسية ، والذى ترتكبه جماعة منظمة بقصد تحقيق أهداف سياسية[٢]."

الإرهاب بين الفقه الوضعى والفقه الشرعى :

فى الكثير من المؤتمرات والندوات الدولية حاول فقهاء القانون الجنائى الدولى البحث فى تعريفات مناسبة للإرهاب من خلال كتاباتهم ، فهذا (جى فاتوفيتش : Fatofitch يعرف الإرهاب بأنه "الأعمال التى من طبيعتها أن تثير لدى شخص ما الإحساس بالخوف من خطر ما بأى صورة ، ونظر إليه الفقيه (ليمكين – Leemekin) بمنظور عام على أساس أنه "يكمن فى تخويف الناس بمساعدة أعمال العنف"[٣]. ويراه الفقيه (سوتيل Sotteil) بأنه "عمل إجرامى مصحوب بالرعب أو العنف أو الفزع بقصد تحقيق هدف محدد" بينما حدد (سالداتا Saldatta) للإرهاب مفهومين أحدهما هو : أن الإرهاب يتمثل فى "كل جناية أو جنحة سياسية أو اجتماعية يكون تنفيذها أو فى التعبير عنها ما ينشر الفزع العام ، لأن من صفاتها خلق حالة خطر عام "وهو مفهوم فضفاض نوعا ما.

---

[١] م . ن . ص٣٢.

[٢] م . ن . ص ٤٩.

[٣] محمد مؤنس . م . ن . ص٧٣.

أما الفقيه (جونزبرج – Jhonsbirgh) فإنه يعرف الإرهاب بأنه (الاستعمال العمدى للوسائل القادرة على إحداث خطر عام تتعرض له الحياة أو السلامة الجسدية أو الصحية أو الأموال العامة) أما (واسيورسكى – Wassuorscky) فيعد الإرهاب أسلوبا للعمل الإجرامى يتجه به الفاعل لفرض سيطرته بالرعب على المجتمع أو الدولة بهدف المحافظة أو التعبير أو تدمير الروابط الاجتماعية للنظام العام[١].

ولكن نبيل حلمى يخلص فى تعريفه لمفهوم الإرهاب إلى أنه : "الاستخدام غير المشروع أو التهديد به بوساطة فرد أو مجموعة أو دولة ضد فرد أو جماعة أو دولة ينتج عنها رعب يعرض للخطر أرواحا بشرية أو يهدد حريات أساسية ويكون الغرض منه الضغط على الجماعة أو الدولة لكى تغير سلوكها تجاه موضوع ما[٢].

ويعرفه عادل إسماعيل كما يأتى : "الإرهاب هو نشر حالة من الفزع والرعب داخل دول أو كيان اجتماعى وذلك بوساطة فرد أو مجموعة من الأفراد أو دولة أخرى بقصد التأثير على التوجهات السياسية والمعنوية لهذه الدولة أو ذلك الكيان الاجتماعى باستخدام أدوات ورموز تدمير العنصر البشرى[٣]."

بينما يتفق عبد العزيز الربيعان مع تعريف أحمد جلال عز الدين على أن "الإرهاب هو استراتيجية عنف منظم ومتصل يثأر من خلال جملة من أعمال القتل والاغتيال واختطاف الطائرات واحتجاز الرهائن وزرع المتفجرات أو ما يشابهها من أفعال عنف أو التهديد بها ، وذلك بقصد خلق حالة من الرعب العام ، بهدف تحقيق مطالب سياسية[٤][٥].

---

(١) م . ن. صـ ٧٤.

(٢) نبيل أحمد حلمى ، الإرهاب الدولى ، (القاهرة ، دار النهضة العربية ١٩٨٨) ، صـ ٣٧.

(٣) عادل إسماعيل حلفا ، ظاهرة الإرهاب وخطورتها على الأمن القومى وآثاره ودور الشرطة فى مواجهتهت بحث غير منشور – كلية الدراسات العليا – القاهرة مايو ١٩٨٨، صـ١١.

(٤) أحمد جلال عز الدين : م . ن . صـ ٧٧، صـ١٤.

(٥) عبد العزيز الربيعان : التخطيط الاستراتجيى لمواجه الإرهاب الدولى "دراسة عن دور التعاون العربى فى مواجهة الإرهاب الدولى "– مشروع بحث مقدم استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير – المعهد العالى للعلوم الأمنية ، الرياض ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م ، صـ٢٨.

وجاء تعريف مكتب التحقيقات الفدرالية بالولايات المتحدة الأمريكية[1] للإرهاب بأنه : استعمال القوة أو العنف بصورة غير مشروعة ضد الأفراد أو الممتلكات وذلك بقصد تخويف وإكراه الحكومة والمواطنين أو أى قطاع منها تحقيقا لأهداف وغايات سياسية واجتماعية.[2]"

ولأن الإرهاب .. كما يقول أحمد جلال عز الدين يعد "حربا بغير قواعد ، أو قوانين ، كما أن ضحاياه ليسوا بالضرورة هم أطراف فى الصراع بل أحيانا لا تكون لهم علاقة بالقضية التى من أجلها قام الإرهابيون بعملياتهم . مما يثير الذعر والفزع الإنسانى . كما أن الإرهاب يهدف إلى التأثير على القرار السياسى فى الدولة، أو الدول التى تتعرض له[3] . كما أن الإرهاب لا يمارسه إلا الخصوم فى الرأى لذلك يمكننا أن نخلص إلى الأسباب والدوافع التى تقف وراء ظاهرة الإرهاب، وذلك على النحو الذى تضمنته التعريفات المتعددة لمعنى الإرهاب ومفهومه :

فالإرهاب: حرب بغير قواعد ، ولا قوانين .. إذا فدوافعه فوضوية.

والإرهاب: يوقع الضرر البالغ بأناس ليست لهم علاقة بالقضايا المتعلقة بالإرهابيين. إذا .. فدافعه إثبات عجز السلطات الأمنية عن حماية الأمن ،كما تؤكد أيضا غيبة القواعد التى تحكم السلوك الإرهابى.

الإرهاب: يهدف إلى التأثير على القرار السياسى فى الدولة .. إذا فدوافعه سياسية.

الإرهاب: لا يمارسه إلا الخصوم فى الرأى .. إذا .. فدوافعه اعتقادية حزبية أو عقيدية دينية.

الإرهاب: شكل من أشكال الحرب وهو شكل بديل للحروب التقليدية فى كثير من الأحيان .. إذا فدوافعه إقليمية واقتصادية وسياسية وعقيدية وربما تكون تاريخية أيضا إن ارتبطت بتصفية حسابات قديمة أو ثارات.

الإرهاب: فعل لا ينطبق من حيث المفهوم على أشكال النضال الوطنى لأنه يكون ضد أعداء الوطن شريطة عدم اقترانه باعتداء على الأبرياء غير العسكريين وغير

---

(1) أحمد جلال عز الدين : م . ن. ص ٧٧، ص ١٤.

(2) **Terrorism in the United States 1988, U. S. Departement of Justice Federal Bureau of investigation. P. 34.**

(3) أحمد جلال عز الدين : م. ن. ص ١٦.

الرسميين ولما كانت كل أشكال النضال الوطنى تندرج تحت مفهوم العنف والعصيان المدنى والنشاط السياسى الذى يمارسه شعب يقع تحت الاحتلال أو الحكم العنصرى أو الهيمنة الأجنبية على المؤسسات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية فى وطن من الأوطان تحت مظلة عسكرية أجنبية ، بشرط ألا يوجه ضد المدنيين أو الأبرياء ، أو يقع أساساً داخل الأرض المحتلة أو تحت الحكم العنصرى أو الهيمنة الأجنبية ، فإن ذلك لا يعد من الإرهاب فى شئ ، لأن واجب الوطنيين هو مكافحة الهيمنة الأجنبية بكل أشكالها العسكرية والاقتصادية والثقافية وبذلك يكون عملها ضمن إطار الكفاح الوطنى ، إذا تقيدت بتلك الضوابط التى حددها أحمد جلال عز الدين وهى (عدم توجه الفعل العنيف ضد المدنيين أو الأبرياء) فالنضال الوطنى مشروع وهو عمل تقره الأعراف والقوانين الدولية على المستوى الوضعى ، بعد أن حثتنا عليه الشريعة حماية للعقيدة وتخليصا لأرض ارتفعت عليها راية التوحيد . وإذا وصلنا إلى هذا الوضوح يمكننا أن نبحث فى أسباب الإرهاب ودوافعه ، من خلال استقراء مراحل التطور التاريخى للإرهاب.

بين تاريخ الإرهاب وتاريخ مصطلحه :-

مما سبق يمكن القول إن تاريخ الإرهاب قد زامن تاريخ البشرية ولكن تاريخ مصطلح الإرهاب هو الذى ظهر فيما نستعرضه فى هذا المبحث - فى عصرنا الحديث ابتدعت الثورة الفرنسية تعبير الإرهاب إذ رسمت للإرهاب سياسة لحكمها خلال الفترة اليعقوبية التى استمرت لخمسة عشر عاما (من مارس ١٧٩٣م إلى يوليو ١٧٩٤) بزعامة روبسبيروسان جوست ومارا ودانتون ، وبقية أعضاء لجنة الأمن العام "تلك اللجنة التى ابتدعت ذلك الاسم ، وحكمت فرنسا بالإرهاب المشروع من نظرها، حيث تم إعدام ١٣٦٦ مواطنا بالجيلوتين فى الأسابيع الستة الأخيرة من عهد الإرهاب."

إن نشوء الإرهاب - مصطلحاً - ارتبط بالسياسة ، ففى الخامس من سبتمبر ١٩٣٣م ضم دير الرهبان اليعاقبة ممثلى ثمان وأربعين دائرة قرروا جميعاً (بأنه حان

الوقت لإرهاب كل المتآمرين) ومنذ تلك اللحظة وضع للرعب جدول أعمال ، ومن هنا أصبح لكلمة الرعب معنى جديد ، يتميز بأنه النظام الرسمى والمنهجى للحكومة، وبذلك خلق الإرهاب كنظام للرعب بوساطة التخويف والذعر ووصل إلى معناه "إرهاب Terrorisme " بنفس المحتوى.

السياسة والإرهاب :

إذا فقد شكل الرعب فى أثناء الثورة الفرنسية الوسيلة المشروعة التى تستخدمها الحكومة الثورية للدفاع عن نظامها الاجتماعى ، وعلى ذلك فقد اكتسب الإرهاب الشرعية تستخدمه الحكومة فى حين أنه غير مشروع ويدخل فى إطار الأعمال الإجرامية "عندما استخدمه أعداء الثورة والثوار المناهضون لها اعتبر إجرامياً يفتقد صفة المشروعية برغم عدم وجود فارق بين نظام الرعب والإرهاب من حيث عناصر التخويف"[1].

غير أن هذا المصطلح قد مرّ بعدة مراحل يتوسع حينا ويضيق فى حين آخر، مما ترتب عليه عدم وجود تعريف واحد للإرهاب يمكن الاتفاق عليه فالإرهاب هو "بث الرعب الذى يثير الجسم والعقل ، أى الطريقة التى تحاول بها جماعة منظمة أو حزب أن يحقق أهدافه عن طريق استخدام العنف ، وتوجيه الأعمال ضد الأشخاص سواء كانوا أفراداً أو ممثلين للسلطة ممن يعارضون أهداف هذه الجماعة"[2].

وهذا كما نرى تعريف سياسى أو هو ينسب الإرهاب للعمل السياسى.

والإرهاب هو الاستخدام المنظم للإجراءات الاستثنائية للعنف بغية تحقيق هدف سياسى ، وعلى وجه الخصوص فهو مجموعة أعمال العنف من اعتداءات فردية أو جماعية أو تدميرية ينفذها تنظيم سياسى للتأثير على السكان وخلق مناخ من الاضطراب أو عدم الأمن[3].

---

[1] محمد مؤنس محيى الدين : م . ن. صـ ٨٠، ٨١.

[2] م. ن.

[3] مؤنس محيى الدين ، صـ٧١ عن قاموس "روبير اللغوى.

وهذا أيضا تعريف سياسي للإرهاب . وإذا كان التعريف اللغوى للإرهاب ينصب على الرعب الذى يحدثه فرد ما أو أفراد عن طريق العنف كالقتل والتخريب فإن المعنى الاصطلاحى ينسبه وظيفة عنف يساعد على العمل السياسى.

يقول سعد الجبرين :"فى استعمالها وليس فى معناها وأصلها لأن استعمالها الحالى لم يكن شائعاً فى الأزمنة القديمة"[1].

ويتوج المؤتمر الدولى السادس لتوحيد قانون العقوبات كوبنهاجن ، الذى انعقد فى عام ١٩٣٥ نسبة التعريف الاصطلاحى للإرهاب ، حيث عرفه بأنه "مجموعة لأفعال ترمى إلى إيجاد حالة ذعر وترتكب بوسائل خطيرة المواد والأدوات المتفجرة أو الملتهبة أو السامة أو الوبائية والتى من شأنها أن تحدث خطرا عاما ، وترتكبها العصابات أو الجماعات الإرهابية بقصد تحقيق غايات سياسية داخلية مثل : قلب نظام الحكم ، أو دولية بإرغام الحكومة على اتخاذ قرار بعينه دون تأخير"[2].

ولقد نشأ منهج الإرهاب على يد "نيتشايف (Neatachief) الذى اعتبر من أوائل من قاموا بتقنين منهج الإرهاب واعتماده فى العصر الحديث على مواهبه وطبيعته الشخصية ودراساته – واقتباساته – واجتهاداته ، وتطلعاته الخاصة التى أصبحت مطمعاً شخصيا يوافق – بالدرجة الأولى – هوى كل الأنفس الدكتاتورية عبر التاريخ[3].

ونخلص من ذلك إلى أن الإرهاب قديما مصدره الصهيونية والتحزب الدينى عند بعض المذاهب المسيحية والإسلامية من الخوارج والباطنية والشيعة وغايتها سياسية وأن مصادر الإرهاب الحديث سياسية أيضا.

كما نخلص إلى أن هذه المصادر القديمة للإرهاب قد انحصرت فى فلسفة الفكر الإرهابى الذى يعد الأساس النظرى الذى تبنته الصهيونية ونشرته عبر التاريخ

---

[1] سعد عبد الرحمن الجبرين ، م ، س ، ص١٢.

[2] عبد الله إبراهيم المهنا : الإرهاب الدولى خطورته والتخطيط لمواجهته ، المركز العربى للدراسات الأمنية ، مشروع تخرج من المعهد العالى للعلوم الأمنية بالرياض (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).

[3] السنوسى بلاله : منهج الإرهاب ، دراسة فى نشأة وتطبيقات بعض جوانب الإرهاب السياسى (شيكاغو ، دار الإنقاذ للنشر والإعلام – المحرم ١٤١٢هـ أغسطس ١٩٩١) ، ص٢٥.

فى الأقطار والبلدان فى كل أنحاء العالم القديم ، بوصفه استراتيجية تحكم حياتهم وتقود علاقتهم مع الشعوب غير اليهودية بل مع اليهود أنفسهم الذين يرون اليهودية مجرد دين سماوى لا علاقة له بالسياسة وكذلك الفكر الإرهابى الباطنى عند الخوارج المسلمين وشيعتهم وباطنية بعض الجماعات الإسلامية الذين خرجوا عن شريعة الإسلام قرآنا وسنة.

ويبدو ضروريا الوقوف عند موقف الشريعة الإسلامية من الإرهاب ، حتى يمكننا الوقوف أمام طبيعة الفكر الذى تتبناه الجماعات الإسلامية المعاصرة التى ترهب المجتمعات العربية الإسلامية بزعم طلب سيادة الإسلام للمجتمع العربى شريعة عاملة أو حاكمة لنقطع بما إذا كانت طبيعة فكرهم إرهابية المصدر أم هو نوع من الإرهاب بقصد التخويف تلويحا يستخدم العنف أم استخدام العنف استخداما جزئيا ثم نقيم هذا التوجيه ونرصد سلبياته وأضراره التى أصابت الإسلام.

يقول مؤنس : "إذا كان الإرهابى القديم مفكراً أو سياسياً فإنه اليوم من المجرمين العاديين الأقل ذكاءً تحركهم الفائدة المادية لا التعصب أو العقيدة"[1].

الشريعة الإسلامية والإرهاب :-

أوضح الفكر الإسلامى فى مصدره الأول (القرآن والسنة) صورتين من صور الخروج على السلطة السياسية والنظام الاجتماعى فى الدول الإسلامية ، وهاتين الصورتين هما "جريمتى البغى والحرابة . وتتمثل الجريمة الأولى فى الثورة المسلحة ، أو على الأقل العصيان والتمرد والخروج على السلطة السياسية فى الدولة أما الجريمة الثانية (الحرابة) فيعدها البعض جريمة من جرائم الحدود وتدخل فى نطاق الجرائم العادية ، وتماثل جرائم السطو والسرقات والإرهاب بقصد السرقة وغيرها من الجرائم التى ترتكبها العصابات الإجرامية ، والإرهاب بما أنه تهديد للأمن القومى وتهديد للأمن العام على المستوى الفردى والاجتماعى فإن كل من جريمتى البغى والحرابة تعدّ عملاً إرهابيا كان فردياً أو جماعياً منظماً أو غير منظم.

---

[1] محمد مؤنس : م. ن. صـ٦٥.

جريمة البغى :

هى الصورة التى يمكن أن يدخل تحتها التنظيم الإرهابى فى العصر الحديث ، وهى تعنى الخروج على الحكم باستخدام العنف والقتل وتهديد سلامة الوطن فى الداخل والخارج.

جريمة الحرابة :

هى جريمة جنائية قد تهدد الأمن القومى للدولة وإن كانت تهدد الأمن العام فيه قال تعالى :﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض . ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ﴾ (سورة المائدة : الآيات ٢٣-٢٤).

والقرآن الكريم يستخدم كلمة الإرهاب لتعطى فى كل مرة دلالة مختلفة عن معناها اللغوى (المعجمى).

الإرهاب ومعانيه فى القرآن الكريم:

الإرهاب بمعنى العبادة :

قال تعالى :﴿ يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون ﴾ (سورة البقرة : الآية ٤٠) ، والعبادة أصل فى الإسلام بعد التوحيد.

قال تعالى :﴿ واضمم إليك جناحك من الرهب﴾ (سورة القصص : الآية ٣٢). والخشوع شرط من شروط صحة العبادة فلا توحيد دون تسليم لله ولا عبادة دون خشوع لله.

الإرهاب بمعنى التسليم:

قال تعالى :﴿ ولما سكت عن موسى الغضب . أخذ الألواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ﴾ (سورة الأعراف : الآية ١٥٤). لأن نصوص الألواح حوت العبادات ، وهى مسبوقة بالوحدانية عن طريق الإيمان بأن الله واحد والتسليم بصدق كل ما أنزل سبحانه على موسى موجود فى تلك الألواح وهى أصول العبادات فى الدين اليهودى الذى أوحى إلى موسى (عليه السلام).

الإرهاب بمعنى التوحيد :

قال تعالى : ﴿ وقال لا تتخذوا إلهين اثنين . وإنما هو إله واحد فإياي فارهبون ﴾ (سورة النحل : الآية ٥١) ، فهذا أمر بوحدانية الله وهو أمر ملزم لكل من تبلغ به.

الإرهاب بمعنى التخويف :

ويتمثل فى قوله تعالى: ﴿ لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله . ذلك بأنهم قوم لا يفقهون﴾ (سورة الحشر : الآية ١٣) فالرعب الذى يصيب الكفار من قوة المسلمين أكبر من خوفهم من الله عز وجل.

الإرهاب بمعنى الإدهاش :

قال تعالى : ﴿ قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم ﴾ (سورة الأعراف : الآية ١١٦).

والإدهاش هنا هو فى جذب الناس اجتذابا نحو طاعة سيدهم وهو فرعون الذى أمر السحرة بتحدى موسى وما كان موسى ليندهش فيخشاهم لأنه مأمور من الله سبحانه وتعالى وما كانت دهشة الناس بما صنع سحرة فرعون إلا توطئة لإعلان خضوعهم من جديد لفرعون ، ولو لم تكن دهشة الناس كبيرة لما آتاه سحرة فرعون، لما كانت دهشتهم أكبر لما صنعه موسى فأبطل دهشة الناس وأبطل خضوعهم من جديد إلى فرعون ، مما ترتب عليه إعلانهم الخضوع التام والتسليم لرب موسى ونبذ رب السحرة.

الإرهاب بمعنى الإلزام والإلتزام بفعل الخير :

قال تعالى : ﴿ إنهم يسارعون إلى الخيرات ويدعوننا رغباً ورهبة ﴾ (سورة الأنبياء : الآية ٩٠) . فالمسارعة لفعل الخير كان التزاما من المؤمنين وكان إلزاماً لهم أيضاً ، يفعلون الخير ويدعون الله عن حب وعن خوف.

الإرهاب بمعنى الردع :

قال تعالى :﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل . ترهبون به عدو الله وعدوكم . وآخرين من دونه لا تعلمونهم الله يعلمهم ﴾ (سورة الأنفال : الآية ٦٠) . فالعداوة والاستعداد بالقوة هدفه ردع العدو المتربص بدولة الإسلام ، وهذا تكليف للدولة لكى تجهز جيوشها لجهاد الغزاة والمعتدين ،

والردع يكمن فى مجرد الاستعداد وليس فى الهجوم هو أجراء دفاعى يكشف للعدو عن قوة المواجهة وعنفها ويحبط عزمه ، وهو لا يتحقق بالاستعدادات العسكرية فحسب ولكن بسبعة عناصر منها القوة العسكرية وقوة الاقتصاد ، وتحقق البعد الديموقراطى ومنعة الموقع الجغرافى وهذا ما يعرفه علم التخطيط القومى ويحيط به علماء الاستراتيجية الدفاعية.

الإرهاب بمعنى الحماية :

وجاء فى سورة الكهف ما يفسر الإرهاب بمعنى الحماية :(وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً) (سورة الكهف: الآية ١٨). فالرعب إذن سيملئ به كل من اطلع على أصحاب الكهف الرعب سيكون وسيلة لحمآية أهل الكهف أنفسهم.

ويذهب كل الباحثين الذين تناولوا لفظة الإرهاب من حيث معناها إلى أنها تعنى الرعب والتهديد والتخويف، ونحن نوافق هذا الرأى ، ولكن الغرض من الإرهاب فى أى الذكر الحكيم يختلف من آية لآية أخرى حسب الموقف فإذا كانت (الحرابة) وكان (البغى) إرهابا فيما توصل إليه بعض الباحثين والمفسرين ، وكان موقف القرآن كما مرّ بنا فى سورة المائدة فى آية الحرابة ، فإن موقف الدين الإسلامى من الإرهاب والإرهابيين محدد وواضح:(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض . ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) (المائدة :الآية ٢٣- ٢٤).

ولكى لا ينحرف تفسير أحد مفكرى الإرهاب الدينى المعاصر لهذه الآية تفسيراً يوجه للحكام أنفسهم نورد تفسير أحد أقطاب جماعة الإخوان المسلمين وهو مفكرهم (سيد قطب)[*] لهذه الآية حيث يقول :"(إن الجريمة التى ورد فيها النص هى : الخروج على الإمام المسلم – الذى يحكم على تنفيذ شريعة الله – ورفض أوامره وترويع أهل دار الإسلام والاعتداء على أرواحهم وأموالهم وحرماتهم.

---

[*] ويعد كتابه (معالم فى الطريق) أهم مصدر للفكر الإرهابى الدينى.

كما أن هؤلاء الخارجين عن طاعة الحاكم الذى يحكم بما أنزل الله ، ويحاربون أهل دار الإسلام إنما يحاربون الله ورسوله . والحرب هنا تتحقق بالحرب لشريعة الله ورسوله وللجماعة التى أتقت الله ورسوله والدار التى تنفذ فيها هذه الشريعة[1].

وقوله : "والدار التى تنفذ فيها هذه الشريعة "تؤكد صيانة هذا الحق فى حماية أهل دار الإسلام من الاعتداء على الأرواح والأموال والحرمات ، فالمملكة العربية السعودية – على سبيل المثال – وهو الوطن الأول للإسلام ، والبلد الذى يطبق شريعته لا يهمل حق صيانة أرواح غير المسلمين الذين يقيمون على أرضه ولا يهمل حماية أموالهم وأعراضهم ، ولكنه يصونها ويحوطها بحمايته تطبيقا لشرع الله فلو أن جريمة حرابة وقعت على أجنبى غير مسلم لعوقب الجانى وفق شريعة الله.

إذا فحماية روح كل من أقام فى دار الإسلام مسلماً كان أم غير مسلم قائمة ومنصوصة ومعمول بها.

وكذلك يفهم من تفسير (سيد قطب) لآية الحرابة أنها تشمل (الخروج على الحاكم) أى (البغى) كما تشمل قطع الطريق وتهديد الناس وترويعهم فى أموالهم وفى أرواحهم وفى أعراضهم أى (الحرابة).

والرسول ﷺ وسنته هى المصدر التالى لكتاب الله يقول محذراً من الخروج على الجماعة ومستنا لسنة معاقبته والضرب بيد من حديد على يد الخارجين على الجماعة : "من أتاكم وأمركم جميعاً على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه"[2] وعن عرفجة قال : "سمعت رسول الله ﷺ يقول : "إنه ستكون هنات وهنات ، فمن أراد أن يفرق أم هذه الأمة وهى جميع فاضربوه بالسيف كائنا ما كان"[3].

ويقول عز من قائل : ﴿ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاق ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم

---

[1] سيد قطب فى ظلال القرآن (بيروت ، دار الشريعة ، ١٩٨٠) ، صـ٨٧٨.

[2] صحيح مسلم – جـ٣ (الرياض ، رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد).

[3] صحيح مسلم ،/٤٧٩.

سوء الدار﴾ (سورة الرعد : الآية ٢٥) . إن الله سبحانه ينهى عن الفساد فى الأرض والتلويح بالعقاب ،وقال سبحانه :﴿ من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ﴾ (سورة المائدة : الآية ٣٢).

إن الله سبحانه يقرر أن العدوان على النفس عدوان على خالق النفس هذا هو موقف الإسلام من العدوان على أرواح الناس وأموالهم وحرماتهم ، فقتل النفس هنا قصد به أى نفس ، ويقول عز من قائل :﴿ إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحى نساءهم إنه كان من المفسدين ﴾ (سورة القصص :الآية ٤) . إذا فتفرقة الجماعة واستضعاف طائفة يعد إفساداً فى رأى الإسلام.

ويحذر القرآن الكريم من الخروج على ولى الأمر بالخروج على طاعته:﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول . وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله وبالرسول واليوم الآخر ذلكم خير وأحسن تأويلا﴾ (سورة النساء : الآية ٥٩).

إذا فالاختلاف مع ولى الأمر حول شئ لا يسوغ الخروج عليه بأى حال من الأحوال . وهذا هو حكم الله وفق شريعة الإسلام ، وهو إلزام لمن كان مؤمنا بالله وبالرسول واليوم الآخر ، ومعنى هذا أن الخارج على ولى الأمر خارج على دين الإسلام.

ولأن الجريمة متدرجة من حيث فعلها ومن حيث أثرها أو نتيجتها ومن حيث دافعها لذلك فإن العقوبة تتدرج لتتناسب مع الدرجة التى تندرج تحتها الجريمة ، لذلك تدرجت العقوبة فى آية الحرابة تبعاً لتدرج الجريمة.

تحليل العقوبة فى آية الحرابة :

- كان القتل وكان الصلب وكان القطع من خلاف وكان النفى.
- القتل دون أخذ مال عقوبته قتل القاتل.
- القتل مع أخذ مال عقوبته قتل وصلب.
- أخذ المال وإخافة السبيل دون قتل عقوبته قطع من خلاف.

– إخافة السبيل دون قتل أو أخذ مال عقوبته النفى.

ولقد أقر مؤتمر دبلن ١٩٧٧ النفى عقوبة لجريمة الإرهاب واقترح له مكاناً يتوسط القارة الأوروبية سمى بالسجن الأوروبى[1].

هذا هو موقف الإسلام من الإرهاب وصدق الله العظيم إذ يقول :﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ (سورة الإسراء : الآية ٧٠) . فكيف يستقيم إرهاب بنى آدم لبعضهم البعض مع هذا التكريم ؟ وكيف يجوز القول إن المسلم إرهابى أو أن هناك إرهاب إسلامى ؟ وكيف يجوز لمسلم أن يرهب الناس ويستحل أرواحهم وأموالهم وحرماتهم ويشتت شملهم وقد علم قول رسول الله ﷺ الذى روى عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ إنه قال :"من خرج على الطاعة وفارق الجماعة ومات مات ميتة الجاهلية .. ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة ما ، ويدعو إلى عصبة فقتل ، قتل مقتل جاهلية . ومن خرج على أمتى يضرب برها وفاجرها ، ولا يتحاش من مؤمن ، ولا يفى عهدها فليس منى ولست منه" فكيف يكون مسلماً من لم يمتثل قول رسول الله ﷺ الذى نقل عن ابن عمر "من خرج على الطاعة وفارق الجماعة ومات فميته جاهلية " وقوله ﷺ "من حمل علينا السلاح فليس منا" كيف يعتدى مسلم باسم الإسلام وهو يعلم قول الله﴿ ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها﴾ (سورة الأعراف : الآية ٥٥).

إن من لا يعرف هذه الآيات ويدعى إرشاد المسلمين ويحكم فى أعناق المسلمين وأموالهم وأعراضهم بدون حق الشرع ودون ولاية لا يكون صاحب حق فيما فعل. وبذلك يكون معتديا وخارجاً على حدود ما أمر الله ، وإذا كان قد علم بحكم الله وآياته وأقوال رسوله الكريم فى حكم من خرج على الجماعة وشق عصا الطاعة فهو غير مسلم أيضاً . فكيف ولماذا ينسب فعلهم للإسلام وهو ضد الإسلام ؟ – عقيدة وشرعاً –فى هذا الأمر . إن القرآن يبطل دعوة الإرهاب باسم الدين الإسلامى بنص

---

[1] انظر محمد مؤنس محب الدين ، المرجع السابق ذكره ، ص٦٣.

قوله سبحانه :﴿ وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين ﴾ (سورة القصص : الآية ٨٦).

وقوله :﴿ أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾ (سورة العنكبوت : الآية ٥١). وقوله :﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ ،كيف يكون الإسلام كله قد جاء رحمة للناس أجمعين وكيف يجعله بعض الخارجين على الإسلام بخروجهم على المجتمع وإرهابه ناراً وجحيماً للمجتمع الإسلامى ، وكيف يجوز نسبة فعل هؤلاء الخارجين للإسلام بوصفه ديناً وعقيدة ؟ ومن هم الذين ينتفعون من وراء هذا بإضعاف أمة الإسلام وتفريق وحدة كلمته ورأيه ومجتمعه ، ولماذا تظهر هذه العمليات الإرهابية كلما تقاربت مصالح الدول العربية وتقاربت برامجها فى مجالات التعاون والاقتصاد على وجه الخصوص ، لاشك أن الفكر الصهيونى والفكر الغربى الاستعمارى وراء ذلك لأن من مصلحتهم هذه الانقسامات وذلك الذعر وهذا الخراب الاقتصادى والعقيدى والثقافى.

يقول ل. أ مود وريان :"منذ الستين والإرهاب فى الدول الرأسمالية أخذ بالتزايد ، ولهذه الظاهرة علاقة قوية ومباشرة بمواقف الشعوب ونضالها المستمر ضد الظلم الاجتماعى وضد التميز العنصرى والاحتلال الأجنبى . وكإجراء لوضع حد أو إبطال للنضال لجأت الدوائر الخاصة لدى الحكومات الإمبريالية باستخدام العنف من خلال العلاقات الدولية لقمع حركات التحرر الوطنى وتجريدها من سلاحها الإيدلوجى "أما تنفيذ هذا الإرهاب فيتم عن طريق الخونة والمتآمرين ومجرمى الحرب والعنصرين"[1].

---

[1] – ل . أ. مود جوريان : الإرهاب ، أكاذيب وحقائق ترجمة عن الروسية المهندسان : عبد الرحيم المقدار وماجد بطح (دمشق ، دار دمشق للطباعة والنشر ١٩٨٦) صـ٥.

المبحث الثانى
فى التطور التاريخى لظاهرة الإرهاب

كان الإرهاب فى جذوره العميقة عبر القرون البعيدة عبارة عن أعمال فردية منعزلة وخارجة عن إطار أى تنظيم أو سياسة ما ، ولكن باندلاع الثورة الفرنسية الكبرى عام ١٧٨٩م ظهر كنظام استخدمته الحكومة الشرعية كأسلوب عمل اصطبغ بالصبغة السياسية والتنظيمية[1]."

– الإرهاب الفردي وصوره فيما قبل التاريخ :–

زامن الإرهاب وجود الإنسان على الأرض فمنذ حادثة ولدى آدم (قابيل وهابيل) التى شكلت أول جريمة قتل فى التاريخ البشرى – قتل إنسان لإنسان آخر – وضعت بذرة الإرهاب ، فحيازة ملكية رجل لامرأة أو ملكية إنسان لمال أو لسلطة أو منفعة تستوجب إرهاب الآخرين منذ فجر الضمير الإنسانى ، ولئن كانت حادثة ولدي آدم عليه السلام تندرج تحت غريزة الغيرة أو الانتقام أكثر من كونها بقصد الإرهاب بعد أن تقبل الإله قربان أحدهم دون الآخر(واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق . إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر . قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين) (سورة المائدة : ٢٧).(فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين) (سورة المائدة : ٣٠).

يقول سعد عبد الرحمن الجبرين :"وجريمة قتل قابيل لأخيه هابيل وإن كانت فردية فإننا نجد الإرهاب تمثل فى التهديد الذى سبق القتل ، لأن الإرهابى حاول أن يخلق بعمله خوفاً ورعباً عاماً . وهو ما يقصده عادة الإرهابيون ، وما الحوادث الإرهابية إلا وسيلة لهذه الغاية[2]."

---

[1] م ، س ، ن ص١٣.

[2] سعد عبد الرحمن عبد الله الجبرين : الإرهاب الدولى – نظرة الشريعة الإسلامية إليه ومنهجها فى مواجهته – مشروع بحث مقدم استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير – مخطوط – بالمركز العربى للدراسات الأمنية – المعهد العالى للعلوم الأمنية – (الرياض ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م)– ص١٩.

والإرهاب على اختلاف مراحل تطوره النابعة من تطور أساليب مكافحته هو نشر الخطر العام الهادف إلى تقويض أسس البنيان الاجتماعى الذى تطور عن تقويض الأمن الفردى الذاتى لفرد من أفراد المجتمع بوساطة فرد آخر مرة أو بوساطة جماعة محددة فى المجتمع نفسه ضد فرد منها أو ضد فرد من جماعة أخرى مناوئة لها ، مما دعا إلى استحالة هذا الشكل من أشكال التهديد والخطر إلى نظام من أنظمة الرعب الهادف إلى هدم نظام اجتماعى لإحلال نظام اجتماعى مغاير.

ولا يغيب عنا أن الساعى للهدم فاقد للرغبة فى الحوار ، لعدم قدرة عليه أو ليأس من الطرف الآخر فى الحوار أو الاعتقاد منه بأنه مالك للحقيقة المطلقة ، ومن ثم فهو يعتقد اعتقاداً جازماً أن على الآخرين أن يتبعوه ،وإلا فإنهم لا يستحقون الحياة ، وفى ذلك يقول محمد مؤنس :"الإنسان الذى يعتقد أنه يملك الحقيقة المطلقة هو إنسان شديد الخطر ، لأنه يرفض الحوار مع الآخرين ، كما يرفض أفكارهم ومعتقداتهم"[1].

وإذا تتبعنا تاريخ البشرية فإننا نجد أن أقدم إنسان سيطر عليه الاعتقاد بأنه المالك الأوحد للحقيقة المطلقة هو الإنسان اليهودى ، فحين يعتقد إنسان ما بأن الله قد أمره بالتجسس على الشعوب الأخرى ، وأمره بطرد شعب من أرضه ، ويأمره بقتل الأطفال والنساء ويأمره بالخديعة وبالقسوة ليس بوصفه فرداً ولكن بوصفه شعباً وأمة فإن اعتقاده بذلك لهو الاعتقاد بملكيته دون غيره من الشعوب والأمم للحقيقة المطلقة . ومن ثم فإن حواره مع الأمم الأخرى لا يكون حوار الفكر بل حوار الدم . ولا يستخدم اللغة سبيلاً لمخاطبة الشعوب الأخرى بل يستخدم الرصاص والسلاح.

لقد توارث اليهود عبر التاريخ قيم إرهاب الشعوب الأخرى – غير اليهود – وأصبح العنف والإرهاب هو القيمة الوحيدة التى يتعامل على أساسها اليهودى عبر الأزمان والأجيال فى كل العصور حتى أن هذا الاعتقاد قد شكل العقيدة الشخصية لليهودى فى كل أنحاء الدنيا ، وهو ما يوجه إليه "التلمود"[2] ، وهو ذلك الكتيب

---

[1] محمد مؤنس محب الدين : م . ن ، ص٢٣.

[2] انظر التلمود ، طبعة القاهرة ، هيئة الاستعلامات المصرية.

الذى يحتوى على التعليمات التى يتوجب على كل يهودى فى كل زمان ومكان أن يعمل بها كجزء لا يتجزأ من تعاليم سيدنا موسى عليه السلام ، وقد وضعه عدد من الحاخامات قبل عام ١٥٠ ميلادية ، وأضافوا إليه بعد ذلك عدة تفسيرات أخرى فيما عرف ببروتوكولات صهيون[1].

والجدير بالذكر أن هذا التلمود هو مصدر السلوك اليهودى الإرهابى بل هو بوصفه مصدراً فكرياً للعنف والإرهاب يعد ضمن مقدسات اليهود الفكرية وهو لا يقل تقديساً عن التوراة عندهم.

- بين مصادر الفكر الإرهابى والإرهاب الفكرى :-

الإرهاب بوصفه عملاً عدائياً مخططا ضد الآخرين له مصادره الفكرية (فالتخطيط لا يقوم بدون فكر والفكر هو المصدر الأول لكل تخطيط وفى هذا المبحث نقف عند مصادر الفكر الإرهابى قديماً وحديثاً ومصادر الإرهاب الفكرى تلك التى ارتبطت بالسياسة وكانت العمود الفقرى لأى عمل سياسى ارتبط بالأصولية المتطرفة عند اليهود وعند بعض الإسلاميين والمسيحيين:

يعبر الشاعر الصهيونى شاؤول تشرنجو مسكى خير تعبير عن جو الفكر الإرهابى المتأصل فى العقلية اليهودية بقوله: "

فى كل ليلة ، نصعد ، من قبورنا حيث دفنا.

لنشرب دماء هؤلاء الجزارين.

حتى تسكر أرواحنا.

ترضع من أنهار الدم.

رشفة .. رشفة.

وقطرة .. قطرة"

---

[1] بروتوكولات حكماء صهيون ط٣ ترجمة محمد خليفة التونسى (القاهرة ، دار الكتاب العربى بمصر ١٩٦٤م).

مصادر الفكر الإرهابي عند اليهود :

ويتساءل الكاتب وجيه أبو ذكرى في كتابه (الإرهــابيون الأوائـل)[1]، "مـن أدخل الإرهاب في الشرق الأوسط ؟ مردداً سؤال ياسر عرفات الذي طرحه عليـه فـي تحقيق صحفي أجراه معه أبو ذكرى نفسه.

وإذا كان المصدر الحقيقي لأسـفار العـهد القديـم ليـس الوحـي (ولكـن هـذه الأسفار من وضع أجيال متعـددة ، وأضيفـت إليـها قـرارات اليهوديـة ، فلقـد كـان زعماء اليهود يدفعون بقراراتهم لتصبح جزءاً من أسفار العهد القديم ، ثم تمخض عن العهد القديم ما عرف باسم "التلمود" وبعدها قـرارات برتوكـولات حكمـاء صـهيون ، واصبح هذا الميراث الضخم هو الذي يحدد سلوك اليهود في كل بقاع العـالم ، وعـبر التاريخ الإنساني[2].

يقول رشاد عبد الله الشامي : "إن حاخامات اليهود قـد وصفـوا الـرب بأنـه (رجل حرب)[3] ، وأنه قد أمرهم بالتجسس وبإخلاء الشعوب وبالخديعة وبالقسوة.

أما الأمر بالتجسس الذي زعم اليهود أن الرب (تنزه وعلا) قد أمرهـم بـه ، فقد جاء في أسفارهم : "ثم كلم الرب موسـى قـائلاً :أرسـل رجـالاً ليتجسـسوا علـى أرض كنعان التي أنا معطيها ، بل إن الحاخامات اليهود وهم حكماء الإرهـاب عـبر التاريخ يزعمون أن الـرب يشـرح لهـم طريقـة التجسـس : "انظـروا الأرض مـا هـي ؟ والشعب الساكن فيها أقوى هو أم ضعيف ، قليل أم كثير ، وكيف هي الأرض التـي هو ساكن فيها جيدة أم رديئة ، وما هـي المـدن التـي هـو سـاكن فيـها مخيمـات أم حصون".

ويسجل سفر التثنية[4] ، أمر الـرب بطرد الشـعب غـير اليـهودي : "الـرب إلهك يطرد هؤلاء الشعوب من أمامك ، ويرفع ملوكهم إلى يـدك فتمحـوا اسمـهم مـن تحت السماء" ، "الرب إلهك هو العائد أمامك نـاراً آكلـة ، وهـو يعيدهـم ، ويذلهـم أمامك فتطردهم وتهلكهم سريعاً كلما كلمك الرب."

---

[1] وجيه أبو ذكرى ، الإرهابيون الأوائل – جيراننا الجدد (القاهرة ، مكتبة المصري الحديث ، ١٩٧٧)– ص١٣.

[2] أحمد شلبي ، مقارنة الأديان ، (اليهودية" ، القاهرة) ، ص٢٦٤.

[3] رشاد عبد الله الشامي ، الشخصية اليهودية الإسرائيلية.

[4] التوراة – سفر التثنية.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد وإنما يـأمرهم بقتـل الأطفـال والنسـاء :"فـالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً أو بمضاجعة رجل اقتلوها."

وكذلك يأمرهم الـرب فـي سـفر التثنيـة :"وحـين تقـترب مـن مدينـة لكـي تحاربها استدعها للصلح ، فإن أجابتك لصلح وفتحت لك ، فكـل الشـعب الموجـود فيها يكون للتسخير ويستعبد لك ، وإن لم تسالك بل عملت معك حرباً فحاصرهـا ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحـد السـيف ، وأمـا النسـاء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها ، فتضمنها لنفسك ، وتأكل غنيمـة أعدائك التي أعطاها الرب إلهك ، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منـك جـداً التـي ليس من مدن هذه الأمم هنا ، وأما مدن هذه الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً تستبق منها نسمة ما.

ويدعو سفر (صمويـل) للقسـوة حـين يقـول ، تـولى ودوس صـهيون ، لأنـي أجعل قرنك حديداً ، أجعلها نحاساً فتسحقين شعوباً كثيرة، غنيمتـهم للـرب وتـرد عنهم لكل الأرض.[1]"

وجاء في العهد القديم عن يوشع بن نون وهو أحد القادة العسـكريين الكبـار لا تدع من طفل وشيخ ، حتى البقر والغنم والحمير حد السيف."

"إن تاريخ اليهود لم يتوقف بعد سقوط أورشليم على يد الرومان وإنما استمر على شكل قوميـة الدياسـبورا ، فظـهر أول شـكل للدياسـبورا فـي بـابل (مـن القـرن الخامس إلى القرن الحادى عشر) ثم أسبانيا (مـن القـرن الحـادى عشـر حتـى القـرن الخامس عشر) ثم ألمانيا وبولندا (من القرن السادس عشر حتى الثامن عشر) وقد تنبـأ دوفنوف "douvnouv" بانتقال هذا المركز إلى الولايات المتحدة (وقـد أثبتـت الأيـام صدق نبوءته) [2].

ومن الملاحظ المهمة على ما سجله تـاريخ اليـهود أو حركتـهم القوميـة عـبر التاريخ نجد أنهم دائماً يحومون حول مركز الثقل العالمي ، فحيث تكون هناك دولـة

---

[1] التوراة – سفر صموئيل.

[2] Hons Kohn, Zion and the jewish Notional P. P175 212

أيضا هدى عبد السميع ، "بعض كلاسيكيات الرفض اليهودى للصهيونية " (عالم الفكر الكويتى ، عدد أبريل – مايو – يونيه ١٩٨٣) ص١٥٨، ١٥٩.

قوية مؤثرة على المستوى العالمي يوجد اليهود الصهاينة (اليهود الذين يسعون إلى توكيد أن اليهود شعب يجب أن تكون له أرض ودولة).

على أن تاريخ اليهود ونزعات التعالي المدفوعة بالاعتقاد بملكيتهم للحقيقة المطلقة تدفعهم إلى احتقار الشعوب الأخرى ، وهو ما تسجله عليهم أسفارهم القديمة،كما جاء عند عاموس : "ألستم لي كبني الموشيين يا بني إسرائيل ، ألم أصعد إسرائيل من أرض مصر والفلسطينيين من كفتور والزراميين من قير[1]."

وكذلك تسجل بروتوكولات حكمائهم تعاليم واضحة وصريحة بممارسة الدسيسة والعنف وإشاعة روح التهديد وجو الإرهاب بين الشعوب الأخرى وهذا النص من البرتوكول السابع ينص على ذلك بشكل قاطع : "يجب أن ننشر في سائر الأقطار الفتنة والمنازعات والعداوات المتبادلة .. فبهذه الوسائل سنتحكم في أقدار كل الأقطار وسنصطاد بكل أحابيلنا وشباكنا التي نصبناها في وزارات جميع الحكومات بسياستنا وبالاتفاقات الصناعية والخدمات المالية .. ولكننا فيما يسمى "اللغة الرسمية" سوف نتظاهر بحركات عكس ذلك كي نظهر بمظهر الأمين المتحمل للمسؤولية والمتطفلين والمنقذين للإنسانية "ومن الغريب أن هؤلاء الحكماء الصهاينة يخططون للاستعانة بالصعاليك وبرجال الشرطة في تنفيذ مخططاتهم : "إن ضخامة القوة البوليسية ضرورية لإتمام الخطط السابقة الذكر وأن يكون إلى جانبنا في كل الأقطار طبقة صعاليك ضخمة وكذلك جيش كثير وبوليس مخلص لأغراضنا "والعنف يتولد في المناخ البوليسي وحياة الصعلكة ، فحين تكون هناك دولة بوليسية تقهر مواطنيها وتشيع فيهم روح العدوان والاستكانة تتراكم رغبات الانتقام والتدمير المدمر الذي لا ينفك حين توجد ثغرة في النظام الاجتماعي أو الإجرائي ينفجر فيدمر المجتمع ، خاصة في ظل شيوع الصعلكة في المجتمع فالفقر مع الصعلكة يولدان الإرهاب ، يقول البرتوكول العاشر : "إن حكمنا سيبدأ في اللحظة ذاتها حين يصرخ الناس الذين مزقتهم الخلافات وتعذبوا تحت إفلاس حكامهم – وهذا ما سيكون مدبر على أيدينا – فيصرخون هاتفين: "اخلعوهم".

---

[1] عاموس : ٩/٨.

أما التحريض المباشر على الإرهاب فإن البرتوكول الأول قد نص على "أن العنف وحده هو العامل الرئيسى فى قوة الدولة ، فيجب أن نتمسك بخطة العنف والخديعة لا من أجل المصلحة فحسب بل من أجل الواجبات والنصر أيضا .. إن ما يحقق سعادة البلاد هو أن تكون حكومتها فى قبضة شخص واحد مسؤول ، وغير الاستبداد المطلق لا يمكن أن تقوم حضارة.

وهكذا تشكل البروتوكولات والتلمود والأسفار مصادر الفكر الإرهابى اليهودى (الصهيونى) باعتبار الصهيونية حركة سياسية تتمسح بالدين اليهودى وباعتبار اليهودية دينا قائما على رسالة سماوية حملها موسى ، وهو أمر حرص كثير من مفكرى اليهود أنفسهم على التفريق بينهما.

يقول هنز كوهن "إن ثمة تيارين متعارضين داخل اليهودية :تيار قومى وآخر معادى للقومية . فقد جاء فى التوراة زعماء الشعب اليهودى ذهبوا إلى النبى صموئيل وطلبوا منه أن ينصب عليهم ملكاً – أى أنهم يطلبون أن يكونوا مثل كل الأمم ، وأن تكون لهم حكومة مثل كل الحكومات ودولة مثل كل الدول وحينما رفض النبى أن يفعل ذلك ، أخبره الله أن يساير اليهود لأنهم باصرارهم على أن يكونوا مثل الشعوب الأخرى لم يرفضوا صموئيل وإنما رفضوا الله ذاته – فهم يودون أن يكونوا خدما للدولة بدلاً من أن يقوموا على خدمة الله[1]."

وربما فرقت هذه العبارة فى هذا النص بين أولئك الذين يخدمون الدولة وهم (الصهاينة) ومن يخدمون الله وهم اليهود.

تعريف الصهيونى :

"هو الشخص الذى يؤمن بأن اليهود يكونون شعباً مثل كل الشعوب وأن فلسطين أو إسرائيل هى وطنه القومى . ولذا واجب اليهودى الصهيونى أن ينهى"غربته" وأن يهاجر إلى وطنه القومى فى أول فرصة تسنح له ، فالفكر الصهيونى يضع الوطن القومى فى مقابل المنفى ، فيرى أن الوطن القومى جدير بالبقاء أما المنفى والشتات فلابد من تصفيتهما ، أو الاحتفاظ بهما كشىء تابع

Hons Kohn , Zion and the jewish Notional , P. P.175-212.(1)

باعتبار أن لدولة الصهيونية هى بمثابة المركز لحياة اليهود داخل فلسطين وخارجها[1].

تعريف اليهودى :

تعرف أدبيات جماعة النصاطورى كارت[2] ، (وهى جماعة يهودية معادية للصهيونية) الشعب اليهودى بأنه ليس شعباً بالمعنى المتعارف عليه ، وإنما هو أساس جماعة دينية ظهرت إلى الوجود منذ ثلاثة آلاف عام . يستمد هذا الشعب وجوده من ميثاقه مع الخالق وهو ميثاق دائم لا يمكن فصمه . وحسب هذا الميثاق يلتزم كل اليهود بالتوراة وتعاليمها ، وهى التى يقوم الحاخامات بتفسيرها كل فى جيله ، إن اليهود بهذا المعنى ليسوا شعباً بالمعنى السياسى وهم ليسوا عنصرا مستقلا (كما زعم هتلر) وإنما هم أولاً وأخيراً جماعة دينية."

على العكس من هذا يرى الصهاينة أن اليهود إن هم إلا شعب مثل كل الشعوب يجب أن يحملوا السلاح ويلجأوا للعنف.

نخلص مما تقدم إلى أن المجتمعات القديمة قد عرفت الإرهاب ،واتخذته جماعات منظمة منها أسلوب إزاحة الآخرين جماعات وشعوباً ، كما أخبرتنا به أسفار اليهودية ، خاصة تلك التى تؤرخ للحياة العسكرية اليهودية القديمة فى أرض كنعان ، وكذلك عرفت المجتمعات المصرية القديمة ألونا من التهديد والتخويف للأفراد وللجماعات ، وذلك الذى مارسته الدولة بصفتها السلطة الحاكمة سواء بعد سلطة الفرعون وأمرائه فى المناطق والبلاد أو بوساطة الكهنة وسلطاتهم المطلقة،وسواء أخذ الإرهاب شكل مصادرة الممتلكات أو النفى أو القتل الفردى أو الجماعى أو الحبس فقد كان لونا من ألوان العنف بقصد التخويف والتهديد والإرهاب ردعا لمن وقع عليه التهديد أو ردعاً لغيره من الأفراد أو الجماعات غير المرضى عنها من الدولة ،والقرآن يحدثنا عن السحرة الذين دفع بهم فرعون وملؤه بتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف وتصليبهم فى جذوع النخل :﴿ قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف

---

[1] د. هدى عبد السميع ، "بعض كلاسيكيات الرفض اليهودى للصهيونية" (عالم الفكر) الكويت ، عدد ابريل – مايو- يونيه ١٩٨٣)ص١٤٩.

[2] Jews not Zionists (new ,k ;A merican Netutei Karta.

تعلمون. لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين ﴾ (سورة الأعراف : ١٢٤).

غير أن محاولة فرعون لإرهاب السحرة الذين آمنوا بإله موسى لم تفلح: ﴿ قالوا إنا إلى ربنا منقلبون وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين﴾ (سورة الأعراف : ١٢٦).

ولما لم يفلح فرعون بإرهابه لمن اتبعوا موسى وآمنوا بالله الواحد ربا خشى ملؤه من الكهنة والأمراء أن تزول هيبتهم ويمحى سلطانهم بعدرى دخول غير السحرة فى دين موسى لذلك يحضّون على المزيد من العمل التهديدى الإرهابى.

﴿ وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحى نساءهم وإنا فوقهم قاهرون ﴾ (سورة الأعراف : ١٢٨-١٢٩).

والمتأمل للآية الكريمة يجد أن فرعون (موسى) ذلك مدفوع فى قراره بمن حوله من الملأ – رجاله من الأشراف والوزراء والأمراء والكهنة فهم أصحاب المشورة والرأى وهم الذين دفعوا الفرعون لاتخاذ القرار بالتهديد والإرهاب ثم التنكيل.

ومع كل ذلك فإن الإرهاب والتنكيل لم يزحزح هؤلاء السحرة عن إيمانهم برب موسى لأنه واقع عليهم من قبل أن يلقوا موسى ويؤمنوا به : ﴿ قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا وإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعلمون ﴾ (سورة الأعراف : الآية ١٢٩).

لقد دار صراع دموى بين أحزاب الكهنة الفراعين كل يدفع عن عقيدته الدينية ومصالح كل فئة منها ولاشك أن تنكيل الكهنة بفراعين الأسرة الواحدة والعشرين حيث اختفى (إخناتون) تماما ولم يعثر على جثته مطلقاً وكذلك قتل من خلفه ، وهو زوج ابنته (توت عنخ آمون) بالسم.

هذه بعض ملامح تشير إلى بعض المصادر الفكرية للإرهاب فى المجتمعات القديمة ولقد لعب الأدب القديم وكذلك الأدب فى المجتمع اليهودى فى الشتات وتأثيرات الفكر الصهيونى عليه دوراً كبيراً بوصفه مصدراً إعلامياً وتحريضاً للعنف

والتهديد والإرهاب . وهذا ما تكشفه القراءة التحليلية لبعض النصـوص الشـعرية مـن حيث توجهاتها الفكرية التحريضية المباشرة ضد الشعوب الأخرى غير اليهودية.

المصادر الأدبية ودورها الإعلامى فى الفكر الإرهابى الصهيونى :

ولأن الأدب مرآة الشعوب التى تعكس فكرها ومشاعرها فلقد كـان لـه دوره فى عكس الحياة الفكرية للحركة الإرهابية الصهيونية فى مقابل اليهودية كدين وفـق تعاليم موسى : يقول الشـاعر الصـهيونى دافيـد فريشـمان "Frishman" وهـو يصـور موسى – (جيل مـا قبـل الصهيونيـة – يقـدم نصائحـه ليسـوع الشـاب – فـى جيـل الصهيونية):

"قم أنت واعبر نهر الأردن
وأنه بحكمة آخر أعمالى"
فأنا عرفتك لا يضعف – قلبك
لرؤية رجل فاشل
فقط لا تختر طبق الجمر
"بيدك القوية ، وبيأس قلبك
تعرف كيف تثقل نيرانهم
فيكونوا عبيداً إلى الأبد
يلعقون لعابك
فقط لا تختر طبق الجمر"
"ستسير مختالاً على رؤوس الفقراء
ويكثر عبيدك ويكون لك إماء
وحينما تختار طريق الهسكالاه
حينئذ ستنجح ، وستسوس البؤساء بالقوة
ستوبخهم فينسوا آلامهم
ستوبخهم فينسوا ثأرهم"
"وإذا كان هناك قبس واحد فى قلبك
أو حينما تنتابك الهواجس

حينئذ ، دمرها أيضا

ولا تكن مثلى أباً.

يقول أحمد حماد فى تحليله لهذه القصيدة "لقد كتب دافيد فرشمان (١٨٥٩– ١٩٩٢) قصيدة باسم (طبقين) يدور محورها عن قصة هجائية عن موسى ، حينما كان طفلا فى قصر فرعون ، وبينما كان فرعون يداعبه مدّ يده ورفع التاج من على رأسه ، فاعتبر ذلك فالاً سيئاً ، إلا أنهم لكى يتأكدوا من أنه يعى ما يفعل وضعوا أمامه طبقين أحدهما به جمر ملتهب والآخر به ذهب خالص ، فمد موسى يده إلى طبق الجمر بعد أن أوصته الملائكة بذلك كان هذا سببا فى أنه كان يتلعثم فى النطق بعد أن حرقه الجمر"[1].

والإيحاء خلف الصورة واضح فلئن أمسك موسى طفلاً بالجمرة فخدع فرعون وأزال شكه فيه فإن الجيل الجديد يجب أن يكون جيل مواجهة ولا يخشى شيئا بل يواجه عدوه بحسم:

"بيدك القوية وبيأس قلبك

تعرف كيف تثقل نيرانها

فيكونوا عبيدا لك إلى الأبد

يلعقون لعابك"

وهذا مشروط بألا يفعل فعلة موسى : "فقط لا تختر طبق الجمر" وبديهى أن لا أحد يرغب بإرادته أن يصبح عبداً لآخر من جنس غير جنسه أو لأحد من جنسه، ولكن العبودية تكون رغماً عنه ، تتحقق بهزيمته أو انتكاسة عظمى وقد مضى زمن العبودية المباشرة – تاريخياً – وظهرت أشكال غير مباشرة للعبودية للمال أو للحزب أو للدولة وإن كانت عبودية المال وأحيانا الحزب السياسى أو الاتجاه التعصبى السياسى أو الدينى تبدأ بالرضا والتسليم ثم تستحيل إلى عكس ذلك فيما بعد – إلى الانحياز عن طريق الإلزام. إذ تصبح الدول الضعيفة التابعة دول أقنان لأمريكا تحت اسم العولمة الاقتصادية – التبعية –.

---

[1] أحمد حماد ، "توظيف الشخصية الدينية فى الأدب لخدمة الفكرة الصهيونية " (علم الفكر) (الكويت عن وزارة الإعلام الكويتية ، أبريل – مايو – يونيه ١٩٨٣).

أن العبودية الحزبية تتم بالتغرير وبالانبهار وبعد الفهم غالبـاً أو بالمنفعـة أو بالانحياز الطبقى أو الدينى الذى يغلفّه الالتزام شبه الحر ثم يتطور إلى الإلـزام الـذى لا فكاك منه تقية عنف أو انتقام أو تهديد أو خوف.

والشاعر الصهيونى يحض الشباب الصهيونى على ألا يتراخى مثلما تراخـى أسلافه الصهاينة :

لا أستطيع ، من الآن لم أعد أستطيع العمل
ولكنك أنت يا تلميذى موفور الصحة
وروحك تفيض بدم الشباب
جسدك غض ! ! ورثنى
واعبر نهر الأردن .. مالك ارتعدت ؟
لا تجعلنى أرى أن سلامى قد ضاع منى.

الشاعر يمثل لجيله من رواد الحركة الصهيونية الحديثـة فـيراهم قـد فشـلوا لأنهم جيل حالم .. كان دوره دوراً تمهيدياً – نظرياً.

"لا تاخذنى مثالاً لك
فأنا رجل أحلام
رؤاى وأحلامى
انتهت ، زالت – ولكن أنت
أمطرت عليك السماء هبات عظيمة
فى يدك مصيرك ، والمستقبل الآن
ولأنك رجل عملى ، عامل وقوى"

فإذا كانت تلك مصادر الفكر الإرهابى فى المجتمعات القديمة ، وهى تشـير إلى حاخامات اليهود الصهاينة ، فـإن مصـادر الفكـر الإرهـابى الحديـث – اسـتقراء لنصوص البروتوكولات الصهيونية نفسها – تؤكد أن أغلب المصادر الفكرية للإرهـاب فى عصرنا الحديث والمعاصر هى التوجيهات البروتوكولاتية الصهيونية أيضا ، وذلك ما ينص عليه صراحة البروتوكول الثالث ، والثانى ، والعاشر "وقد شجعنا الأحزاب وجعلنا السلطة هدف كل طموح إلى الرفعة وقد أقمنا ميـادين تشـتجر فيـها الحـروب

الحزبية بلا ضوابط ولا التزامات وسرعان ما ستنطلق الفوضى ويظهر الإفلاس فى كل مكان[1]."

كما جاء فى البروتوكول الثالث نفسه :"وتحت حمايتنا أباد الرعاع الأرستقراطية القديمة والآن يقع الشعب بعد أن حطم امتيازات الأرستقراطية تحت نيران الماكرين من المستغلين والأغنياء المحدثين."

أما البروتوكول السابع ففيه إدانة واضحة لأوروبا :"وبمساعدة أوروبا يجب أن ننشر فى سائر الأقطار الفتنة والمنازعات والعداوات المتبادلة فإن فى هذا فائدة مزدوجة.

أولاً :

سنتحكم فى أقدار كل الأقطار حتى تعرف المعرفة أن لنا القدرة على خلق الاضطرابات كما نريد.

ثانياً:

فبالمكائد والدسائس سوف نصطاد بكل أحابيلنا وشباكنا التى نصبناها فى وزارات جميع الحكومات ولم نحبكها بسياستنا فحسب بل بالاتفاقيات الصناعية والخدمات المالية أيضا.

والمحلل لهذه النصوص البروتوكولية دون استقراء للواقع السياسى الدولى منذ صدور تلك البروتوكولات ووضعها موضع التنفيذ سوف يرى فيها دعاية للعقلية الصهيونية ، وحماية للعبقرية ذات القدرات الخارقة والإدارة الصلبة النافذة فى جميع القارات رغماً عن أنوف جميع الحكام فى العالم ، على مر العصور والأزمان،فهم الذين يضعون الحكام ويولدون الثورات ، ويحركون الطلاب والعمال والأساتذة والوزراء والمحامين والقادة ويحضون على الحروب وعلى استكانة الشعوب أنهم يحركون الدولة قبل أن تكون لهم دولة – إن ذلك الأمر خارق للمنطق العقلى على المستوى الحياتى . فرفض التوسعات وتهجير اليهود من روسيا وإفريقيا إلى ارض فلسطين التى غصبوها ودور الصهيونية فى إزكاء حركات العنف والانقسامات والمؤامرات على الكثير من المؤسسات المالية والهيئات الإعلامية الدولية ، يفسر دون

---

[1] البروتوكول الثالث.

شك زعمهم في المتون البرتوكولية الصهيونيـة عـن دور اليـهود الصهاينـة فـي قيـادة العالم ورسم سياسات الدولة والتحكم في مصائر شعوبها أو كذب ما زعموه.

غير أن الكثير من الكتاب المسلمين يقطعون بصدق ذلك فـي مباشـرة حـادة، وربما بانفعال يخـرج كتاباتـهم – ربمـا – عـن المنهجيـة ، حيـث يكتبـون عـن دور اليهود والصهيونية ، فهذا ماجد كيلاني ، ينسب كل فتنة وكل خراب أو انقسام أو انقلاب ، وكل كتابة صحفيـة نـاقدة فـي أي وطـن مـن الأوطـان العربيـة فيمـا بعـد انفصالهـا عـن الدولـة العثمانيـة فـي تركيـا إلى الحركـة الصهيونيـة العالميـة وإلى بروتوكـولات حكمـاء صـهيون فـهو يقتطـف فقـرة مـن أحـد بروتوكولاتـهم حيـث يقول: "ومن الوسائل العظيمة الخطورة لإفساد هيئاتـهم أن تسـخر وكـلاء ذوي مراكـز عالية يلوثون غيرهم خـلال نشـاطهم الهـدام بـأن يكشـفوا أو ينمـوا ميولهـم الفاسـدة الخاصة إلى إساءة استعمال السلطة والانطلاق مع الرشوة"[1].

ويتمّحل ماجد كيلاني[2] في تعليقه على تلـك الفقـرة فيقـول هـذا عـدا عـن الثورات الداخلية التي أزكاها زبانية البروتوكوليين وأجرت مـن دمـاء هـذه الأمـة مـا يكفي لرد الأعداء عنها في كل ميدان : ففي اليمـن وقـع الشـعبان اليمنـي والمصـري تحت مذبحة كبرى ، وفي شمال العراق قامت ثورة الأكراد ، وفي جنـوب السـودان راح المبشرون يحرضون الأهالي على الثورة ونشـر الاضطرابـات ، وكذلـك الأمـر علـى حدود دولة المغرب العربي.

هذه هي الأوضاع العربية والإسلامية وهي تتفق مع المخطط البروتوكولي اتفاقاً تاماً . بل إن ماجد كيلاني ينسـب حركـة عبـد الرحمـن الكواكبـي ودعوتـه للقوميـة العربية في مواجهة الاستعمار الفرنسي لسوريا ولبنان على أيامه للصهيونية وللغرب" ومضت سلطات الغرب ترعى هذه القوميـة وتحمـي أنصارهـا الهـاربين مـن سـلطات الدولة العثمانية وقد زادتهم هذه الحماية نشاطاً ، ومن أمثلة ذلك ما قام به كرومـر ،

[1] بروتوكولات حكماء صهيون ، ترجمة محمد خليفة التونسي ، م . ن ، البروتوكول الثالث.

[2] ماجد الكيلاني ، الخطر الصهيوني على العالم الإسلامي (المملكة العربية السعودية) الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ص ١٦٧-١٦٨.

وسابقة كتشنر من حماية القوميين الهاربين من الشام إلى مصر حتى الكواكبي نفسه نال هذه الحماية حتى آخر حياته.

وفي رأيي أن ماجد كيلاني يتمحّل الرأي - هنا أيضا - لأن العداء التاريخي بين إنجلترا وفرنسا دفع فرنسا إلى احتلال مصر لتقطع الطريق على بريطانيا التي سيطرت على الهند ، وليس هنالك شك أن إنجلترا ممثلة في ممثلها في مصر اللورد كرومر أو اللورد كتشنر يهمها طرد فرنسا من مناطق النفوذ التي تحتلها في الشام ، وحين يفتح الحاكم العسكري البريطاني أبواب مصر المحتلة لمناضل عربي سوري مناهض للاحتلال الفرنسي لسوريا فلم يكن ذلك حباً للشعب العربي في سوريا أو في غيرها ولكنه إمعان في الكيد للفرنسيين ، ورغبة في تشجيع كل معارض لهم ومناضل لوجودهم ، ويبلغ تحامل الكاتب مداه في قوله: "ولكن في الوقت الذي كانت سلطات البروتوكوليين ترعى هذه القومية "القومية الكويكبية" كانت تبشر بقومية عربية أخرى تستمد مفهومها من قوميات الغرب[1]".

تلك تفسيرات تشكل مصدراً من مصادر الفكر الإرهابي عند العرب المنتمين للحركة الأصولية الإسلامية حيث يرى الأصوليون أن كل إرهاب أو خراب يقع على العرب هو مؤامرة من الغرب ضد الإسلام ، وهو أمر سنقف عنده ونحن نناقش مصادر الفكر الإرهابي ومصادر الإرهاب الفكري عند الأصوليين العرب.

على أنه من المهم التفريق بين مثل هذه الأقوال أو التمحلات الفكرية بتحميل الأمر أكثر مما يحتمل بما يظهر التلفيق ومن ثم ينفي عنه دوره التأثيري أو الإقناعي وغالباً ما يتخذ وسيلة إعلامية مضادة تستخدم ضد انتماء صاحبها - للفكر الإرهابي - فهذا الذي يطرحه ماجد الكيلاني وغيره في عدد من الكتب التي تصدر عن دور نشر في بلد إسلامي كبير مثل المملكة العربية السعودية يدخل ضمن أعمال الإرهاب الفكري وليس ضمن مصادر الفكر الإرهابي ، فالفكر الإرهابي فكر مخطط وحاض على الإرهاب ، ولكن الإرهاب الفكري هو الحض على مقاومة كل فكر آخر بهدف كفه ومنعه وإبطال جهد الغير عن التفكير بتهديداتهم واتهامهم ولو بالباطل.

---

[1] ماجد كيلاني ، م . ن، ص١٥٥.

أما الفكر الإرهابى فيبلوره ما قالـه قـادة إسـرائيل ، ففـى "آب ١٩٦٧"قـال موشى ديان : "إذ نملك التوراة ، وإذا نعتبر أنفسنا شـعب التـوراة ، فلابـد أن نملـك الأرض التوراتية أيضا ، أرض الحكماء والآباء"[1].

ولكن بن جوريون مؤسس الدولة العبرية يوضح عمق الفكـر الإرهـابى للدولـة الصهيونية : لننظر فى الإعلان الأمريكـى للاسـتقلال إنـه لا يحتـوى علـى أى ذكـر للحدود الإقليمية ، فلسنا مجبرين على تعيين حدود للدولة"[2].

ويعلـق المفكـر الفرنســى المســلم (روجيــه جــارودى) علــى تصريــح بــن غوريون: "إنه لذو دلالة كبيرة أن يشير بن إلى "السابقة" الأمريكية التى ظلت الحدود فيها متحركة طيلة قرن من الزمن (حتـى المحيـط الهـادى ، قبـل أن يعلـن "إقفـال الحدود "أن" مطاردة الهنود" قد دفعتهم إلى الاستيلاء على أراضيهم"[3].

والفكر الإرهابى لا يتوقف بموت مفكر إرهابى لأن الأفكار تتوارثها الأجيــال لا كما تورث الأرض ولكنها ميراث مشاع ، وهى ملك لكل عــابر سـبيل يبـدى ميلـه إليها ففكرة الغصب قد صاحبت اليهود منـذ نشـأتهم ، يذكـر (ابـن عبـد الـبر) فـى كتابه عن (فتح مصر والمغرب) أن اليهود ليلة رحيلهم مع موسى من مصر قد عمـدت نساؤهم إلى سؤال المصريات من جاراتهن أن يعرنهن – كـل علـى حـدة – حليهـن ، وهكذا رحلت نساء اليهود بحلى جارتهن المصريات فى موكب موسى.

وغصـب أبنـاء صـهيون ومـن ينتمـون لليـهود أرض فلسـطين وتوسـعوا فـى الاستيلاء على الأرض العربية ، تحقيقا لعقيدة الاستحواز على ممتلكات الغير غصباً.

ويقول مناحم بيجن فى الكنسيت الإسرائيلى[4] ، إننى على يقين أنـه لابـد من شن حرب وقائية ضد الدول العربية دون أى تردد ، فنحن بذلك نحقق هدفين :

---

(1) جريدة جيروز اليم بوست فى ١٠آب ١٩٦٧.

(2) مذكرات بن جوريون فى ١٤ آيار ١٩٤٨ (أوردها مخائيل بارزها فى The Aimed Prophet.

(3) جارودى ، إسرائيل بين اليهودية والصهيونية ، ترجمة حسين حيدر ، (بيروت ، دار التضامن ، ١٩٩٠) صـ١٥٦.

(4) مناحيم بيجن ، إعلانه فى الكنسيت الإسرائيلى فى ١٢ تشرين الأول ١٩٥٥.

أولاً : تدمير القدرة العربية

ثانياً : توسيع أراضينا

أما الجنرال هود فيقول : بعد حرب حزيران ١٩٦٧ : "إن ستة عشر عاماً من أعمال التحضير قد نفذت فى ثمانين دقيقة""كنا نعيش مع هذه الخطة ، ونقتات من هذه الخطة ونعمل على إتقانها باستمرار"[١].

هذا هو الفكر الإرهابى :

يقوم على التخطيط والدقة والدراسات المتأنية والعمل المرحلى المنظم والمستكشف والدؤوب فى سرية وحيطة وحزم ومفاجأة ،وعلى العكس من ذلك.

الإرهاب الفكرى :

الذى يتسم بعدم المنهجية والتسرع والانفعال والتبسيط وهدفه تشهيرى ودعائى ، ولا يؤدى إلى تغيير حقيقى للأوضاع أو الأحوال التى يتناولها . وإنما بأعيرة الرصاص الصوتية الزائفة ، يقتصر دورها على لفت النظر والتهديد دون فعل من أى نوع ، فى حين يتحول الفكر الإرهابى إلى تجسيد واقعى فاعل وهو قائم فى قيام دولة عبرية على أرض فلسطين العربية وما تلا ذلك من توسعات . ففى عام ١٩٧٢ ، أجابت جولدا مائير – رئيسة وزراء إسرائيل آنذاك – فى مقابلة صحيفة، على السؤال الآتى : "أية أرض تعتبرينها ضرورية لأمتكم ؟" وجاء ردها مثالاً صادقاً يعكس طبيعة الفكر الإرهابى وفلسفته التى يعتنقها اليهود منذ خروجهم من مصر الفرعونية ، تقول فى إجابتها "إذا كنتم تقصدون أن نرسم خطاً لحدودنا ، فإن هذا لم نقم به وسنقوم به حين يصبح لابد من ذلك ، لكن إحدى النقاط الأساسية فى سياسة إسرائيل أنه لا يمكن العودة إلى حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧ فى معاهدة الصلح ، ولابد من إحداث تعديلات فى الحدود ، إننا نريد تغييرات حدودنا ، فى حدودنا كلها لأجل أمننا"[٢].

وإذا كان الفعل الإرهابى يتحدد بأربعة عناصر لابد من توافرها وهى :-

أ- عنصر الرعب.

---

[١] الجنرال مورد خاى هود – قائد سلاح الطيران فى حرب يونيو ١٩٦٧ فى (صنداى تايمس) – لندن ١٦ يوليو ١٩٦٧ ص٧.

[٢] جولدا مائير ، معاريف فى ٧ تموز ١٩٦٨.

ب- عنصر المقابلة (وجود طلب للفاعل أيا ما كان هذا الطلب).

جـ- الاستمرارية : بمعنى أن الرعب يظل مستمرا فى النفس لفترة زمنية ولا ينتهى بانتهاء أثر الفعل ، وإلا اعتبر الفعل مجرد جريمة معينة.

د- أن تصحبه دعاية تسهم فى إشاعة الرعب فى النفوس.

فإن تلك العناصر كلها متحققة فيما تخطط له العقلية الإرهابية الصهيونية - الإسرائيلية - هذا ما تؤكده تصريحات زعمائهم ومفكريهم على نحو ما استعرضناه.

وإذا كان هدف الإرهاب هو تحقيق مصالح مستقبلية ، مما يستدعى اللجوء إلى عدد من العمليات الإرهابية ، المتكررة من أجل تحقيق تلك المصالح فإن إسرائيل لا تتوقف عن عملياتها الإرهابية ضد العرب أفراداً ودولاً.

ويتمثل عنصر المقابل فى الفكر الإرهابى الإسرائيلى فيما أورده شاريت "Sharreit" فى مذكراته : "إن رئيس الأركان يؤيد فكرة شراء ضابط (لبنانى) يقبل أن يكون دمية فى أيدينا ، بحيث يكون فى وسع الجيش الإسرائيلى أن يظهر كأنه يستجيب لنداء تحرير لبنان من مضطهديه المسلمين"[1].

فالتخطيط ضرورة سابقة على الإرهاب لتحديد الأسس النظرية للعمليات الإرهابية تحديد المطلوب من وراء كل عملية إرهابية وهدف العمليات الإرهابية وتوكيد سبل استمرارها وكيفية تحقيق الرعب من وراء تنفيذها . إن الإرهاب هو اختراع يهودى صهيونى حاييم وايزمان فى رسالة إلى مؤتمر فرساى فى عام ١٩١٩ . يقول : "لابد أن تشمل حدود دولة إسرائيل لبنان الجنوبى بأكمله للاستفادة من ثرواته الطبيعية"[2].

إن التخطيط ضرورة حتمية للإرهاب فلا إرهاب فى مجال السياسة دون تخطيط وهو ما أظهرته رسالة وايزمان يخطط لضم لبنان منذ عام ١٩١٩ وتحققه إسرائيل سنة ١٩٨٢. ولا تخرج منه إلا مجبرة تحت وطأة سلاح مجاهدى حزب الله ، الذين أخرجوا الصهاينة أذلاء من أرض لبنان. وما يزال ردع جند حزب الله المقاتلين يشكل قوة ردع للدولة الصهيونية .

---

(1) يوميات موشيه شاريت فى ١٦ حزيران (يونيو) - ١٩٥٥ وص ٩٩٦.

(2) جيروزاليم بوست - فى عدد ٢٤٤ حزيران ١٩٨٢.

المبحث الثالث

أهم حوادث الإرهاب ودوافعه فى التاريخ القديم

إن الباحث فى التاريخ القديم عن مظاهر الإرهاب سوف يلجأ للعهد القديم والعهد الجديد (الإنجيل) والقرآن الكريم ، ولقد قص علينا القرآن الكريم قصة ولدي آدم وهى أول جريمة قتل عمد ارتكبت على وجه الأرض ، قال تعالى: ﴿ إنما تقبل الله من المتقين . إن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك . إنى أخاف الله رب العالمين . إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار . وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين﴾ (سورة المائدة : الآيات ٢٧-٣٠)[*].

بين صور الإرهاب الدينى وصور الإرهاب السياسى عند اليهود :

سجلت التوراة فى أسفارها حوادث الإرهاب التى وقعت من اليهود ضد بعضهم بعضًا شعباً وملوكاً وحكاماً ، كما سجلت إرهاب اليهود لغيرهم من الشعوب الأخرى الوثنية ، تقص آيات سفر الملوك الأول لوناً من ألوان الإرهاب اليهودى ضد بعضهم بعضًا حيث يظهر "يربعام" وتحت لوائه الجزء الأكبر من الشعب الذى تمرد على "رحبعام" مثلما تمرد عليه هو الآخر فتذكر القصة التوراتية أنه لما "..رأى كل إسرائيل أن الملك لم يسمع ، رد الشعب جواباً على الملك قائلين أيقسم لنا فى داود، "أى بيت داود" ولا نصيب لنا فى ابن يس ، إلى خيامك يا إسرائيل ، الآن أنظر إلى بيتك يا داود ، وذهب إسرائيل إلى خيامهم ، وأما بنو إسرائيل الساكنون فى مدن يهوذا فملك عليهم رحبعام ، ثم أرسل الملك رحبعام "ادورام" الذى على التسخير فرجمه جميع إسرائيل بالحجارة فمات ، فبادر الملك رحبعام وصعد إلى المركبة ليهرب إلى أورشليم فعصى إسرائيل على بيت داود إلى هذا اليوم[1].

---

[*] حددنا من قبل فى القرآن الكريم مواضع مفهوم الإرهاب ومفاهيمها – هذا الفصل الصفحات ٣٨- ٣٩ – ٤٠- ٤١.

[1] – سفر الملوك الأول – الصحاح الثانى عشر : ١٦-٢٠.

ويذكر الإصحاح الرابع عشر أنه "بينما كانت الجماعات التى تسمت باسم إسرائيل قد جمعت نفسها واستقرت بعض الشيء فى منطقة "نابلس" وكانت تسميها "السامرة" كعاصمة لجماعات إسرائيل ، وابتدأت السامرة تدخل حروباً ضد أورشليم واقتتلت (يهوذا) وإسرائيل كما يقول سفر الملوك الأول.

يقول صابر طعيمة : "ومن عجب أن آيات سفر الملوك الأول قد تحدثت عن هذه المملكة المنشقة التى تكونت بتمرد جماعات بنى إسرائيل حين أصبحت ذات اتجاهات فى تاريخ بنى إسرائيل قد شاع فيها الفساد والانحلال وسرى إلى حياة كل الأفراد والجماعات روح التحليل والتمرد من كل القيم التى يمكن أن تكون بين أيدي قلة من القوم وأصبح حال هذه الفئة المسماة بـ"إسرائيل" فى السامرة فى مواجهة "اليهود"فى أورشليم"[1].

ونتيجة لانقسام الجماعتين اليهوديتين وممارسة كل جماعة منها للإرهاب ضد الأخرى فقد مكنتا الملك الفرعونى من هزيمة اليهود : "فى السنة الخامسة للملك رحبعام صعد شيشنق ملك مصر إلى أورشليم وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وأخذ كل شئ"[2].

إنه فى العام الخامس من بداية هذا الانقسام الذى طرأ على الحال الذى تركه سليمان أن قد جاء الفرعون المصرى "شيشنق" ملك الأسرة الثانية والعشرين المصرية بعد أن سبقه فى تمزيق الكيان المدعى القائم على القتال والصراع والقهر والغلبة الثائر الذى احتمى بأرض مصر وأخذ منها العتاد والعدة وعبأ الجيش وعاد إلى أرض الصراع الإسرائيلى ليمزق نعرة الجماعات المسيطرة على جمهور الشعب المجهد"[3].

وإلى جانب الشكل الجماعى للإرهاب فإن اليهود أفراداً وحكاماً قد نكلوا باليهود شعباً وجماعات . فحول مقتل ملوك اليهود يذكر سفر الملوك الثانى أن "يواش" بن أخذيا قد مات قتيلاً بعد ٤٠ سنة قضاها حاكماً لليهود وقتل ابنه

---

(١) – صابر طعيمة التاريخ اليهودى العام جـ١ ط ثالثة (بيروت ، دار الجيل ١٤١١هـ- ١٩٩١م) صـ٢٥١.

(٢) – سفر الملوك الأول – الإصحاح الرابع عشر : ٢٥-٢٦.

(٣) – م ، س ، ن.

"امصيا بن يواش" بعد حكم ٢٩ سنة وولى "عزويا بن امصيا واستمر متسلطاً على القوم حوالى ٥٢ عاماً[1] ،وتسلم بعده عزرياً ملك مخيم جاد وظل عشر سنين فى السامرة وعمل الشر فى عين الرب".

ويظهر تآمر حكام إسرائيل على شعوبهم واضحاً فيما ذكره الإصحاح الخامس عشر من السفر نفسه "فجاء" ملك أشور على الأرض فأعطى منحيم ألف ألف وزنة من الفضة لتكون يده معه ليثبت المملكة فى يده ووضع منحيم الفضة على إسرائيل على جميع جبابرة البأس لملك آشور خمسين شاقل فضة على كل رجل".

ثم لقد كانت بداية السيطرة الأجنبية الأشورية على جماعات إسرائيل حوالى عام ٧١٢ أو ٧١٣ق . م على طول امتداد الأرض من العراق حتى فلسطين كلها شمالها ، وشرقها وجنوبها حتى ضاعت هذه الإمبراطورية الأشورية حوالى عام ٥٨٦ ق. م حين سقطت تماما على يد نبوخذ نصر "بختنصر" الملك الكلدانى البابلى الشجاع الذى قاد عمليات القضاء على إمبراطورية "أشور" فى الفترة التى كانت فيها أشور منذ سيطرتها ٧١٢ ق .م حتى عام ٥٨٦ ق . م قد أقامت مجموعات من الرجال الإسرائيليين على الجماعات الإسرائيلية التى كانت قد ذابت شخصيتها عقب السيطرة الأشورية.

ويذكر الإصحاح أن "صديقيا يواقيم" الذى لم يكن قد مضى على القيام بما كلف به فى ظل السيادة الأشورية سوى ثلاثة أشهر فقط ، إلا ووقع عليه هو والدولة صاحبة السيادة عليه وعلى جماعته التى كانت قد نصبته فى أيدى البابليين وقد قتله" بنوخذنصّر" ونهب مدينة أورشليم "القدس" ودمرها وسبى أهلها جميعاً وأخذهم إلى "بابل" وأقام على أورشليم واليا من قبل البابليين".

وكذلك يذكر تاريخ اليهود أن هناك طوائف يهودية من الغلاة المتطرفين ومنهم "لاساة" وهم متطرفون ومبالغون فى السلوك المتقشف والقناعة المفرطة الزائفة إلى حد الصنعة الدينية المبتذلة"[2].

---

[1] – سفر الملوك الثانى ، الإصحاح الخامس عشر.

[2] – انظر حسن ظاظا ، الفكر الدينى الإسرائيلى ، أطواره ومذاهبه ، محاضرات بمعهد البحوث والدراسات العربية – القاهرة – ١٩٧١ ص٢٤٨–٢٦٤.

أما طائفة اليهود الفريزيين فقد كانوا دائما حريصين على غرس بذور الصهيونية فى نفوس عموم الأرض وتوجيههم إلى احتقار الأمم والأجناس والأديان الأخرى ، وحضهم جهراً أحياناً وسراً أحياناً على رفض أية حكومة أجنبية غير يهودية تهيمن عليهم ومن هنا كانوا دائماً وراء القلاقل والاضطرابات والثورات وأعمال التخريب والمؤامرات التى ظل اليهود يقومون بها فى منطقة الشرق الأوسط ، وكانوا إذ ذاك قلة قليلة جداً وسط ملايين كثيرة من السكان الآخرين ، فى كل هذه المنطقة بما فيها فلسطين ، طوال العهدين اليونانى والرومانى حتى انتهت بتشريدهم نهائيا على يد تيتوس ثم هدريان "Tetous & Hadderian"[1].

فالفريزيون بتعصبهم وتشددهم مسؤولون عن "الدياسبورا" وهى التشريد الرومانى لليهود الذى استمر إلى ما بعد وعد بلفور ، وهم أيضاً مسؤولون أمام الرأى العام عن كل التفاسير التى وجهوا بها النصوص المقدسة وجهة الصهيونية السياسية فى العصر الحديث ولعلهم فى ذلك لم يكونوا أقل خطرا على الإنسانية من تآمرهم لصلب المسيح عليه السلام[2].

وتنسب إلى التطرف اليهودى القديم فرقة القنائيين . وهم فى الواقع ليسوا فرقة بمفهوم هذه الكلمة فى تاريخ الأديان ، وإنما هم شعبة من الفريزيين يمتازون بالتطرف الشديد والعنف ، بحيث يمكن وصفهم بأنهم سياسيا ودينيا "غلاة اليهود "وكلمة" قناء التى يتسمى بها كل فرد من هذه الجماعة الدينية معناها فى استعمال العبريين "الغيور" أو "صاحب الحمية" وهى الكلمة التى وصف بها الله نفسه فى الوصايا العشر عند النهى عن اتخاذ آلهة أخرى وكان الاستعمال القديم لهذه المادة فى اللغة العبرية قد اصطبغ بمعنى الجهاد فى سبيل الله ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بقوة وجرأة وأن يقف المرء فى المجتمع مناضلا لا تأخذه فى الله لومة لائم، [3] ويسجل سفر العدد[4] ، واقعة تاريخية تكشف عن الطابع الإرهابى لهذه

---

(1) – راجع صابر طعيمة ، م ، ن ص ٢٧٥.

(2)– راجع صابر طعيمة ، م ، ن ص ٢٧٥.

(3)– حسن ظاظا ، م ، ن.

(4) – سفر العدد : ٢٥/٦–١٣.

الفرقة (القنائية) فتصف ما حدث من فنحاس بن العازر بن هارون الكـاهن مـع ذلـك الرجل الإسرائيلى الذى خالف شريعة بنى إسـرائيل وتـزوج مـن أجنبيـة وكيـف أن فنحاس قد غار لله وقتل الرجل وامرأته غير اليهودية أمام عينى موسى نفسـه : "وإذا رجل من بنى إسرائيل قد جاء وقدم إلى إخوانه (زوجته) المدينية أمـام عينـى موسـى وأعين كل جماعة بنى إسرائيل ، وهم باكون لدى باب خيمة الاجتمـاع . فلما رأى ذلك فنحاس بن العازر بن هارون الكاهن قام وسط الجماعة وأخذ رمحا بيـده ودخـل وراء الرجل الإسرائيلى إلى القبة وطعن الرجل الإسرائيلى كمـا طعـن المرأة فـى بطـن كليهما ، فامتنع الوباء عن بنى إسرائيل وكان الذين ماتوا بالوباء أربعة وعشـرين ألفا فكلم الرب موسى قائلا : "فنحاس بـن العـازر بـن هـارون قـد رد سـخطى عـن بنـى إسرائيل ، بكونه غار غيرتى فى وسطهم حتى لا أفنى من بعده ميثاق كهنوت أبـدى ، لأجل أنه غار لله ، وكفر عن بنى إسرائيل."

وواضح من هذه القصة أن ذلـك "القنـاء" القديـم المعـاصر لموسـى ، فنحـاس كانت غيرته للرب دموية جداً ، لم يتحرج فيـها عـن القتـل ، بـل عـن قتـل اثنـين أحدهما من إخوانه بنى إسرائيل وامرأة غريبة ضعيفة هى الزوجة المدينية ، أما مبرر هذا القتل فالعصبية العنصرية التى "جعلت فنحاس الكاهن يرى فى الزواج بأجنبيـة جريمة ما بعدها جريمة ، بل جعل معاصرية من بنـى إسـرائيل حسـب هـذه القصـة يسندون الأوبئة والطواعين التى تفتك بعشرات الألـوف مـن أبنـاء شـعب الله المختـار لتكفهم عن الزواج من الأجنبيات حفاظا على النقاوة العرقية . وهذا إرهاب عرقى[1].

ولقد جعلت فرقة (القنائين) التى تكونت فى الفترة المحيطـة بمولـد المسـيح تستوحى من الأمثال والحكايات دستوراً للعنف والتطرف والمغالاة.

ولقد وصل التطرف إلى مداه عند هؤلاء القنائين فقد جاء فى بـاب القضـاء : إن من يسرق أدوات الخدمة الدينية ومن يعمل عملا سحريا للإضـرار ، ومـن يـتزوج

---

[1] نصت عليه اصحاحاتهم :"وانفصلوا عن شعوب الأرض وعن النساء الغريبة" عزرا الإصحاح العاشر (الآية ١١).

"واستحلفتهم بالله قائلا لا تعطوا بناتكم لبنيهم ولا تأخذوا من بناتهم لبنيكم ولا لأنفسكم" . (نحميا الإصحاح ١٣-٢٣).

"وانتهوا من كل الرجال الذين اتخذوا نساء غريبة فى اليوم الأول من الشهر الأول" (عزرا . الإصحاح ١٦-١٧).

بامرأة آرامية فإن القنائين ، كانوا يقتلونه ، وأما الكاهن إلى قام بالخدمة الدينية وهو فى حالة نجاسة فإن إخوانه الكهنة يحضرونه ويقدمونــه الـذى المحكمـة بـل يـأتى صغارهم ويخرجونه ويهشمون رأسه. ولم يتوقف الأمـر عنـد الإرهـاب المباشـر ، بـل تعداه إلى القضاء فلقد أصبح قضاء القنائين مضرب الأمثال فى القسوة مما جعلـهم فـى أيام هيرودس ، حوالى ميلاد المسيح ، يعتبرون فرقة قائمة بذاتها ، وجعل الفريزيين الذين لا يختلفون عنهم من الناحية الاعتقاديـة أو التشـريعية يعادونـهم بسـبب هـذا الغلـو والإرهـاب الـذى اشـتهروا بـه لدرجــة أنــهم كـانوا يسـمون "سـيقارين" أو "سيقاريقيين"[*] كما أنهم سموا فى بعض الوثائق :"بويونـاى "أى "الخـارجين علـى القانون والمتمردين.

كمـا أن المـؤرخ اليـهودى "يوسـفوس (Yousefous) المعـاصر لهـم يصـف القنائين بالجماعة التى تمتاز بتمسكها بفكرة الوطن اليهودى الحر المسـتقل ، وكـانوا لا يعترفون برئيس أو سيد إلا الله وكانوا يفضلون الخروج على القانون ، بل يفضلـون الموت لهم ولذويهم على أن يبايعوا حاكمـا أجنبيـا . ويعـزو يوسـيفوس نشـأة حـزب القنائين فى صورته الرهيبة المعروفة إلى الحوادث التى وقعت فى السـنة السادسـة أو السابعة من ميلاد المسـيح ، والتـى انتـهت بعـزل "ارخيـلاوس Erchilaaws" عـن الإمارة على اليهود هوابن هيرودس Herodous" وخليفتـه وصـدور مرسـوم رومـانى باعتبار فلسطين رومانية ليست ذات كيان ذاتى[1].

الإرهاب المتبادل بين الحكم الرومانى واليهود :

ولما كان العنف يولد العنف ، تبعا للقانون الطبيعى القائل "إن لكل فعل رد فعل مساو له فـإن "يوسـيفوس يعلـل ذلـك العنـف بعنـف السـلطات الرومانيـة ضـد اليهود: وقد بدأت هذه الحـوادث بـأمر السـلطات الرومانيـة بعمـل تعـداد إحصـائى لليهود الموجودين فى فلسطين إذ ذاك ، فقام أحد القنائين واسمه "يهوذادى جمـلا" المعروف بيهوذا الجليلى نسبة إلى مقاطعة الجليل بشمال فلسطين واتفق سرا مع أحد

[*] وهى كلمة يهودية من ألفاظ التلمود معناها "الإرهابيون" أو "الفارسيون" أو قطاع الطرق" راجع حسن ظاظا، م ، ن وكذلك صابر طعيمة ، م ، ن ، ص٢٧٩ ، وكذلك انظر (دائرة المعارف العبرية) مج التاسع.

[1] – انظر يوسيفوس ، "تواريخ اليهود" ، وكتابه الآخر "حرب اليهود" عن دائرة المعارف العبرية ، ٣٢٠/٩.

الفريزيين واسمه "صدوق" على إشعال نار الثورة ، ولكنه لم ينجح هو وصاحبه إلا فى استقطاب بعض المتطرفين وتكوين عدد محدود من العصابات ، وبمجرد علم الرومان بذلك هبوا لقمع هذا التمرد ونجحوا فى إبادة هذه العصابات.

وهناك الصدوقيون الذين ينتسبون فى – زعمهم – إلى صدوق كاهن داود ، وهم فرقة دينية عاصرت الفريزيين من (صدوقيم) ومعناها أهل العدل – وكانوا معاديين للفريزيين والمسيحيين ، وصفهم التلمود بالأبقوريين لأن مفهوم هذه الصفة عند اليهود التلموديين ينطبق على من يصاب بالشك فى الحقائق وعدم تصديق الروايات الشفوية مع الإنفكاك من قيود الدين والأخلاق ، وتعرف هذه الطائفة بما يأتى :

أ- إنها لا تؤمن بقيام الأموات من القبور.

ب- لا تؤمن بالحياة الأبدية للبشر بأفرادهم وأشخاصهم كما كانوا فى الدنيا.

جـ- ترفض – تبعا لذلك – الثواب والعقاب فى الآخرة.

د- تنكر وجود الملائكة والشياطين.

هـ- تنكر القضاء وما كتب للإنسان أو ما كتب عليه فى اللوح المحفوظ.

و- وتقول تبعاً لذلك بأن الإنسان خالق أفعال نفسه ، حر التصرف وبذلك هو مسؤول.

ز- تؤمن بقدسية العهد القديم ولا تؤمن بالتلمود ونحوه.

هذه الفرقة تعبر عن عقيدة الخاصة والمثقفين والطبقة الأرستقراطية[*] ، ولذلك فإنها على الرغم من عدم وضوح فكرة المسيح المنتظر فى عقائدهم ربما كانوا يؤمنون بها من خلال تأويلهم لنصوص معينة معروفة من العهد القديم وبخاصة سفر اشعيا ولكنهم لم يبرزوا هذه الفكرة ، ولم يلجوا عليها ، لما رأوه من تحولها إلى نوع من الدجل والتهريج الدينى بين الجهلة والعوام ولعل ذلك هو الذى حدد موقفهم العدائى المعروف من المسيح ، فاشتركوا مع الفريزيين فى مقاومته ومعاداته حتى كان من أمره ما كان[1].

---

[*] هم أشبه بطائفة من العلمانية.

[1] – انظر حسن ظاظا ، م ، ن ص ٢٦٠-٢٦٤.

أساليب القتل الإرهابي عند اليهود :

ما أشبه اليوم بالبارحة ، فإذا كان الغدر والمباغتة والدموية هى من أهم صفات الإرهابى الحديث فإن الأساليب نفسها والصفات بعينها هى التى ابتدعها القنائيون من الإرهابيين القدامى : "أصبحت حركة القنائيين حركة سرية تعتمد على الاغتيال ، وكان ضحاياها من بين اليهود المتعاونين مع الرومان وخصوصاً الفريزيين. ألا يحدث ذلك نفسه بين الجماعات اليهودية فى فلسطين من اليهودية دينياً – الآن – ألا يحدث مع جماعة "حماس" الفلسطينية مع الفلسطينيين المشتبه فى تعاملهم مع الحكومة الإسرائيلية فى فلسطين المحتلة وألا يحدث ذلك مع المنتسبين للأصولية الإسلامية فى عالمنا العربى فى مصر أو فى الجزائر أو اليمن أو فى فلسطين وفى الأردن وفى السودان؟

إن أساليب القتل عند الإرهابيين واحدة عبر العصور فقديماً كان الواحد من القنائين يمر أحياناً بسرعة البرق وخنجره فى يده ، فيقتل الشخص المتفق عليه بطعنة واحدة ثم يختفى ، وهذا نفسه أحد أساليب الإرهاب الحديث.

الغلو المسيحي بين الفكر الإرهابي والإرهاب الفكري :

مما يتضح من استقراء تاريخ المسيحية أن الإرهاب الفكرى هو الأكثر ظهوراً على المغالين من المسيحيين الأول على الفكر الإرهابى ، فإن كان هناك ثمة بقايا من الفكر الإرهابى فإنها تكون مما خلفة الإرهابيون اليهود الذين عاصروا المسيح حتى نالوه بل يبدو من الإنصاف القول إن الإرهاب الذى وقع من الحكام الوثنين . الرومان – ضد المسيحيين فى نشأة المسيحية كان فظيعاً ، فالمستقرئ لتاريخ المسيحية ونشأتها يعلم أن زيارة الإمبراطور الرومانى "دقلديانوس" "Duckledianous" للإسكندرية البطلمية قد كلفت المسيحية عشرة آلاف ذبيحاً ذبحهم حاكمها : "بستموس Pestemous " حول عمود "بومبى Pombay" المعروف الآن بعمود السوارى احتفالاً بزيارة الإمبراطور ، دقلديانوس" للإسكندرية[1]، ومما فعله غيره من بعد فظيع ، غير أن المسيحيين المتزمتين الأوائل قد اقتصروا فى تزمتهم الإيجابى على الكتابات ذات التوجه الخاص على تفكير الغير من المفكرين والفلاسفة والعلماء والفنانين والشعراء القدامى باستثناء حادثة كل

---

(1) – راجع مجتمع الإسكندرية مجموعة دراسات لعدد من أساتذة الحضارة اليونانية بجامعة الإسكندرية ، وجمع ونشر عن طريق محافظة الإسكندرية أعيد نشره عن طريق كلية الآداب جامعة الإسكندرية ٢٠٠٣ م .

كهنة معبد وادى النطرون للعالمة العلمانية السكندرية (هيباثيا) فى المنطقة التى تعرف الآن بمحطة الرمل حوالى ٣٠٠ سنة بعد الميلاد.

إن رمى أعقل الوثنيين وأفضلهم بالجهل أو عدم التصديق بالحقيقة الإلهية يبدو فى العصر الحاضر إساءة وإمتهانا للعقل والإنسانية ، ولكن الكنيسة الأولى التى كان إيمانها أثبت قواماً حكمت دون تردد بالعذاب الأبدى على أكبر عدد من الجنس البشرى وقد يكون هناك أمل كريم فى التسامح مع سقراط أو بعض الحكماء الأقدمين الآخرين الذين استفتوا العقل قبل ظهور الإنجيل ولكن تأكد بالإجماع أن أولئك الذين أصروا فى عناد ، منذ ولادة المسيح أو وفاته على عبادة الشياطين والجن، لا يستحقون وليس لهم أن يتوقعوا ، العفو من الإله الذى استثير غضبه ، ويبدؤون هذه المشاعر القاسية التى لم تكن معروفة فى العالم القديم نفثت روحاً من المرارة فى نظام كان يسوده الحب والانسجام.

كثيراً ما مزق الخلاف فى العقيدة الدينية ، وروابط الدم والإخاء والصداقة حتى ورأى المسيحيون أنهم يرزحون فى هذه الدنيا تحت تأثير الوثنيين فاضلهم أحياناً حنقهم وكبرياؤهم الروحى وأغوتهم نشوة الفرح بالانتصار فى المستقبل[1].

ويظهر الإرهاب الفكرى المسيحى فيما كتبه أحد كبار آباء الكنيسة اللاتينية ترتوليان Teartolyan [2]،ويدين فيها الأدباء والشعراء والفنانين والمسرحيين : "إنك مولع بالمشاهد ، فتوقع أعظم المشاهد فى المحاكمة الأزلية الأخيرة ، كم أعجب ، كم أضحك ، كم ابتهج ، كم أطرب واتهلل حين أرى الكثير من الملوك المتكبرين والآلهة الوهمية يئنون فى أعمق مهاوى الظلام والكثير من الحكام الذين اضطهدوا اسم الله يذوبون فى نار أشد سعيراً مما أشعلوا ضد المسيحيين والكثير من الفلاسفة الحكماء يصلون مع تلاميذهم المخدوعين ناراً حامية ، وكثيرا من الشعراء المشهورين يرتعدون فرقاً أمام محكمة المسيح - لا محكمة مينوس[3]"[4].

---

(1) - صابر طعيمة ، م ، س ، ص٢٩٩.

(2) - ترتوليان (١٦٠-٢٢٥م) عاش معظم حياته فى قرطاجة - المستعمرة اليونانية فى إفريقيا ، وهو من أباء الكنيسة اللاتينية وله مؤلفات متشددة باليونانية واللاتينية.

(3) انظر كتاب المشاهد الذى يهاجم فيه مآسى الكاتب المسرحى يوربيدوس.

(4) وكذلك تجد فى الكوميديا الإلهية لدانتى الليجيرى من مظاهر الإرهاب الفكرى فى تصويره لنبى الإسلام ﷺ حيث يضعه فى الدرك الخامس من النار ، (راجع ترجمة حسن عثمان ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٨).
وكذلك نجد فى مصرحية درايدن (تيمورلنك) وفى المسرحية (القديس نيقولا) من العصور الوسطى تهجمًا على الدين الإسلامى والمسلمين .

المبحث الرابع
الإرهاب ودوافعه فى التاريخ الإسلامى

المسلمون والإرهاب القديم:

علمنا أن كل دعوة جديدة تصطدم بالمعارضة التى بين الشدة والتوسط فلقد جوبهت اليهودية بالمعارضة والحرب من الوثنية الفرعونية ثم من الوثنية الآشورية والبابلية والرومانية ، ثم جوبهت المسيحية من التعصب اليهودى الصهيونى ، على نحو ما عرضنا فيما سبق وكان من أمره ما انتهى إليه أمر المسيح عليه السلام على نحو ما أخبرنا به القرآن الكريم ، وكذلك جوبهت من الوثنية الرومانية التى كانت تحكم العالم – آنذاك – وكذلك أرهبت اليهود والكفار المسلمين – طليعة المسلمين فى الجزيرة العربية ، ولقد بدأ الإرهاب ضد المسلمين الأول فردياً مثل حالة بلال رضى الله عنه مع أمية بن خلف وحالة آل ياسر وغيرهم ، ثم تطور فأصبح إرهاباً جماعياً اتسم بالخديعة والخسة والدموية ، ومثال ذلك قصة الفتاة العربية التى ذهبت لصائغ يهودى فتعرض لها مجموعة من اليهود الذين كانوا عند الصائغ وأصروا على أن تكشف لهم عن وجهها وضيقوا عليها الطريق وعاونهم فى ذلك الصائغ اليهودى اللئيم الذى أدرك إصرار الفتاة وعدم تنازلها على أن تكشف لليهود عن وجهها فاختلس لحظة وعقد طرف ثوبها إلى ظهرها فلما قامت انكشفت عورتها "وترتب على ذلك غيرة شاب عربى دخل فى عراك مع اليهودى وقتله فما كان من اليهود إلا أن قتلوا الشاب فغضب المسلمون ، احتمى بنو قينقاع فى حصونهم ولكن المسلمين حاصروا بنى قينقاع فى ٧٠٠ مقاتل ٣٠٠ دراع ، ٤٠٠ أسر.

من أشكال الإرهاب الجماعى الوثنى ضد المسلمين الأوائل:

وقد وقع على المسلمين موقفان هزا كيان المجتمع الإسلامى الصغير إذ كان بعض "بنى لحيان من هذيل" – وكانت تقيم فى منطقة من الحجاز بين مكة والطائف وكان موقعها إلى مكة أقرب – ، وكان أن "بعض بنى الهون ابن خزيمة بن مدركة ، فجعلوا لهم إبلاً على أن يطلبوا رسول الله ﷺ ، فيخرج إليهم نفر من أصحابه فجاء سبعة من هؤلاء إلى المدينة ، فأظهروا الإسلام واقترحوا عليه أن يرسل

معهم نفراً من أصحابه ، يفقهونهم فى الدين ، ويقرئونهم القرآن ،ويعلمونهم شـرائع الإسلام فبعث معهم ستة من الصحابة ، هم عاصم بن ثابت الأنصـارى ، ومرثـد بـن أبى مرثد الغنوى ، وحبيب بن عدى الأوسى البدرى ، وزيد بن الدثنـة ، وعبـد الله بن طارق ، وخالد بن البكير ، فغـادروا المدينـة فـى شـهر صفـر مـن السـنة الرابعـة قاصدين هذيل لتعليمهم.

وأخذ القوم السرية فجأة حينما بلغت "ماء الرجيع" قرب هذيل ، وأحـاطوا برجالها ، فهرعوا إلى سلاحهم للدفاع عن أنفسهم ، فقالوا لهم ، لا نريـد قتـالكم ، فلم يطمئنوا إليهم وقالوا :والله لا نقبل من مشرك عهداً ، وقاتل خالد وعاصم ومرثـد حتى قتلوا واستسلم الثلاثة الآخرون فقيدوهم وقصدوا بهم مكـة لبيعـهم مـن أهلـها ، وقبل أن يلغوها تخلص عبد الله بن طارق منـهم ، وانتضـى سـيفه لقتـالهم ، فرمـوه بالحجارة فقتلوه فلم يبق معهم سوى حبيب وزيد فباعوهما من أهل مكة ، فقتلوهما، وحزن المسلمون على المصير السيء الذى حل لإخوانهم.

وهذا الذى كان من أمر "هذيل" وعملائـهم الذيـن خدعـوا ، أو شـاركوا فـى الخديعة قد أصابوا من الإسلام بعد هزيمة أحـد كثـيراً ، فشـكل هـذا تـهديداً كبـيراً للمسلمين – لولا قوة الإيمان.

حادث بعث بئر معونة :

شكل آخر من أشكال الإرهاب الجماعى ضد المسلمين :

ويعرف التـاريخ الإسـلامى حادثـاً إرهابيـاً هـو حـادث "بعـث بـئر معونـة" وخلاصته :أنه قد وفد على المدينة من السنة الرابعة للهجرة فى شـهر صفـر ، وفـى مقدمته "أبو براء عامر بن مالك بن جعفر العامرى" ويعرف بملاعب الأسنة ، فعرض عليه النبى ﷺ الإسلام فوقف موقفاً ، ولم يفصح فيـه عمـا فـى دخيلـة نفسـه ،إذ لم يقبل ولم يرفض ، وقال : يا محمد إنـى أرى أن أمـرك هنـا حسـناً وشـريفاً وقومـى خلفى ، فلو أنك بعثت نفراً من أصحابك لرجوت أن يتبعوا أمرك ، ويرد عليه ﷺ : أخشى عليهم أهل نجد ، ويقول الرجل الأفعوان أنا جار.

وأملاً فى أن يصنع رسول الله ﷺ أرضـاً جديـدة ، للدعـوة وللرجـال ، وثـق النبى بهذا الرجل ، أبى براء عامر بن مالك بن جعفر العامرى " والذى كـان يعـرف

(بملاعب الأسنة) ، فانتدب سبعين من قراء القرآن الكريم وكانوا يحفظونه ، ويرتلونه في المسجد ، وكان شيخ القراء (منذر بن عمرو) معهم فسارع مع جموع القراء إلى نجد للتبشير بالدين والدعوة إليه.

وسار البعث الإسلامي إلى شرقي المدينة ، حيث (نجد) ولما وصل القوم إلى منطقة "بئر معونة" في الأرض التي تقع بين أرض بني عامر و"حرة بني سليم" أرسل المنذر بن عمرو رئيس البعث كتاباً إلى عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري ، والذي يعرف بملاعب الأسنة ، وحمل كتاب المنذر بن عمرو "حرام بن ملحان" وكانت المفاجأة أن يقوم عامر بن مالك بقتل الرسول الذي يحمل الكتاب دون أن ينظر ما جاء فيه ، وأراد على الفور أن يعبئ قومه من بني عامر لكي يقوم معه بقتل البعث المتجه إليهم من قبل المسلمين ، وكان موقفهم منه الرفض بعد أن قالوا له : لن نخفر لأبي براء عهداً ، إلا أن الرجل لجأ إلى بعض القبائل المجاورة من سليم وزكوان ورعل ، بعد رفض قومه له ، واستطاع أن يستنفر هذه القبائل لقتال المسلمين ، فاستجابته ، وبعد غيبة رسول المنذر بن عمرو رئيس البعث ، فأخذ البعث واتجه إلى بني عامر ، وفي الطريق لقيهم عامر بن الطفيل بمن معه من القبائل ، وفوجئ المسلمون بالمؤامرة وبالحرب وبالانقضاض عليهم وبأنهم في معركة دامية تقتضي الموقف الفدائي البطل وكانت معركة رهيبة بين الطرفين لم تسعف الشجاعة التي في قيادة عامر بن طفيل فقتلوا المسلمين جميعاً ، ولم ينج من المسلمين سوى واحد هو عمرو بن أمية الضمري ، فقد أطلق سراحه عامر بن طفيل فداء عن والدته بعدما حز ناحيته.

ولقد كانت تلك الحوادث بمثابة إرهاب للدعوة لكي يتراجع عنها من أمر بها ، ويرتد عن دين الله ، ولكن هيهات فالإيمان قد أصبح يجري عند كل مسلم من أولئك الأوائل مجرى الدم في العروق.

إرهاب المسلمين للمسلمين (قديماً):

إذا كان الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية (كما يحلو لأصحاب النهج الديموقراطي في الفكر)، فإن الخلاف يفسد كل قضية ، والمفترض أن ليس للمسلمين سوى قضية واحدة هي الأصل في كل القضايا الإسلامية تلك هي قضية التوحيد التي

حين تتحقق يكون هناك التزام بالعبادات وبالتشريع فتواصل التوحيد بالله الواحد يتحقق بالعبادات وحماية الدين يتحقق بالتشريع وتدارس التشريع والعبادات وجوهر الوحدانية يحصن الدعوة والدعاة.

ولما كان الدين الإسلامى دين توسط لا مكان فيه لشطط ، فإن الحفاظ على الفلسفة الذهبية تلك تقضى بتدارس أمور الدين وقضاياه وقيمه والعدل فى الفهم وفى الدعوة وفى الحكم والتعامل ، وبذلك يكون الغلو فى الفهم ، ذلك الذى يؤدى إلى الغلو فى المسلك الدينى فى التفكير وفى العقل الأمر الذى يترتب عليه رد فعل فيه غلو يتساوى مع ذلك الغلو فى التفكير وفى العقل الأمر ينتج عنه سلسلة لا نهائية من الأفعال المغالية وردودها المغالية ، التى ما تلبث تتدرج وتتصاعد لتصبح عنفاً بشكل تهديداً للمجتمعات الإسلامية نفسها – حيث تبدأ المسألة بالاختلاف – المفترض ألا يفسد للود قضية عند الديمقراطيين – غير أن الوقوف عند أمر يعنيه وقوفاً إتباعياً غير دارس أو غير مستوعب للنص أو للتشريع وغير متشرب لروح ذلك النص التشريعى يؤدى إلى التحجر فى حين أن الدين يسر ، وهو أمر سريعاً ما يتحول بالمؤمن نفسه إلى حالة من حالات الخروج عن الدين نفسه ، ومن ثم يكون فى وضع أكثر تهيؤا للخروج على الدين ، ولقد نهى سبحانه عن الافتراق والاختلاف بقوله : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ (سورة آل عمران : الآية ١٠٥) وحذر من سلوك طرق من سبق من الأمم بقوله :﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾ ولقد برأت ساحة نبينا محمد ﷺ ممن فرقوا دينهم :﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شئ ، وإنما أمرهم إلى الله ينبئهم بما كانوا يفعلون ﴾ (سورة الأنعام : الآية ١٥٩).

ولا شك أن أول من عمل على بث الفرقة بين صفوف المسلمين من بين المسلمين هم أولئك الذين تحول اختلافهم فى تفسير نص شرعى إلى خلاف مع تلك الشريعة حين يذهبون فى غيهم فيكفرون مسلماً لم يوافقهم على رأى راؤه وتعصبوا له خارج فهم الدين الذى يدعو إلى التوسط ، ومن ثم أحلوا دم الذى لم يذهب مذهبهم الخارج عن الإسلام وأحلوا ماله وعرضه . مخالفين قول الله عز وجل وشرعه.

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : رسول الله ﷺ : لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله الله وأنى رسول الله ، إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة[1].

ولقد شهدت الدولة الإسلامية عددا من الجماعات الخارجة على نظمها ، وعلى أمرائها وحكامها فكان منهم الخوارج ومنهم القرامطة ومنهم الزنج مخالفين نصوص الحديث الشريف فيما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : "ما رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر ، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات مات ميته جاهلية"[2]. وكذلك ما روى عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه"[3]، وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : "لم يكن الله ليجمع أمتى – أو قال أمة محمد على ضلالة ، ويد الله مع الجماعة ، ومن شذ ، شذ فى النار"[4] . وعن عمر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : "عليكم بالجماعة ، وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد ، ومن أراد بحبوبة الجنة فليلزم الجماعة ومن سرته حسنته وساءته سيئته فذلكم المؤمن[5].

---

[1] – رواه البخارى (٦/٩) كتاب الدايات ، باب قول الله (النفس بالنفس) رواه مسلم (٣-١٣٠٢) كتاب التسامح باب ما يباح به دم مسلم ، وأبو داود (٤٣٥٢) كتاب الحدود . باب الحكم فيمن ارتد والنسائى (٩٠/٧) كتاب تحريم الدم الحكم فيمن ارتد ، والترمذى ١٤٠٢ كتاب الدايات ، لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث ، وابن ماجة (٦٥٣٤) كتاب الحدود باب لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث ، وأحمد (٣٨٢/١، ٤٢٨).

[2] – رواه البخارى (٥٩/٩) كتاب الفتن ، باب قول النبى (ص) سترون بعدى أمورا تكرهونها ، ومسلم (١٤٧٧/٣) كتاب الإمارة : باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ، والدارمى (٢٤/٢) كتاب السيرة : باب لزوم طاعة والجماعة وأحمد (٢٧٥/١، ٣١٠).

[3] – انظر – سيرة إعلام النبلاء ج٢ ، والتهذيب ج١٢ ، صـ٩٠ والإعلام ج١٢ ، صـ١٤٠.

[4] – رواه الترمذى (٢٨٦٣، ٢٨٦٤) وأحمد (١٣٠/٤. ٢. ٢، ٥/ ٣٤٤) ،والحاكم (١١٧/١/١١٨) وابن حبان (١٥٥٠ موارد).

[5] – رواه الترمذى (٢١٦٧) كتاب الفتن ، باب ما جاء فى لزوم الجماعة ، وابن أبى عاصم حديث رقم ٨٠ واللالكائى فى شرح أصول الاعتقاد (١٠٦/١) ، والحاكم (١١٥/١-١١٦).

التركيب السكاني ومنابع الصراع والتهديد في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام :

عرف تاريخ العرب للمنطقة الشرقية بشبه الجزيرة العربية منذ القدم توجهات العنف والتهديد لدى سكانها ، وقد عكست أشعار بعض الشعراء من قبائلها ذلك التوجه الإرهابي[1].

يقول الشاعر عمرو بن أسوى :

لقيت شن إيادا بالقنا طبقاً وافق شن طبقه

أى أن قبيلة "شن" قد واجهت قبيلة "إياد" وأطبقت عليها إطباقاً يتفق وطبيعة الشدة والعنف والإطباق على العدو إطباقاً صارما وشريراً عرفت به قبيلة "شن" ويتضح ذلك المعنى أيضاً في قول شاعر آخر :

شحطنا إياداً عن وقاع فقلصت وبكراً نفينا عن حياض المشقر

وترجع أسباب عنف الصراع وضراوة التهديد والإرهاب بين قبائل المناطق الشرقية إلى طبيعة التركيبة السكانية للمنطقة حيث يرى البلاذري بأن أغلب القبائل التي نوحت إلى هذه المنطقة كانت تقيم في باديتها حتى ظهور الإسلام ، على الرغم من سيطرتها في بعض الأحيان بينما غالبية السكان في المدن وفي القرى تتألف من مختلف الطوائف والملل والأجناس وهم الحضر الذين ترجع إليهم ملكية الأرض ، وهؤلاء يشكلون جاليات متنوعة ، غير عربية الأصل ، قطنت هذه البلاد قديماً قبل أن تتغلب عليها العناصر العربية فتذيبها في بوتقتها ، وكانت المدن في ذلك العهد تزخر بخليط من السكان كالأنباط* وهم جالية من الكلدن والسريان والزط* وهم جالية من الهنود والسودان تعمل في الفلاحة والصناعة وفئة أخرى تسمى السبايحة* وهم جالية من السند ، كما توجد فئة تسمى الجرامقة* وهم جالية من العجم والأنباط

---

(1) – راجع جواد علي ، العرب قبل الإسلام ٣٠١/٤. وتاريخ الطبري ٤٣٧/١.

– من أهل بابل القدماء وهم بنو نبيط بن آشور بن سام (نهاية الأرب للنويري – ص٢٨).

* – جمع زطي وهم جيل أسود من السودان أو الهند (ينبذ بهذه اللفظة السالفة – على اللسان العامي المعاصر).

* – جمع سبيحي وهم المرتزقة من حملة السلاح يستأجرون للقتال.

* – جمع جرمقاني وهم جيل من الناس ومنهم جرامقة الموصل وجرامقة الشام.

بالإضافة إلى الجالية الفارسية ، التى كانت تتمتع بنفوذ سياسى ومكانة اجتماعية لاسيما حين تسيطر الدولة الفارسية على البلاد[1].

وهذه الجاليات كانت لها تقاليدها ودياناتها كالمجوسية واليهودية والنصرانية والوثنية ،وهى معروفة حتى بعد ظهور الإسلام ، وكانت تتمتع بالمراكز الإدارية والجاه والنفوذ ، وتسيطر على الحياة الاقتصادية ، لذلك كانت العناصر العربية ببساطة حياتها وصفاء نفوسها أكثر استجابة للدعوة الإسلامية وأسهل تقبلاً، على العكس من تلك الجاليات الحضارية التى لها جذور دينية راسخة وعقائد متوارثة ، فلم تستطع التخلى عن ديانتها فقبلت دفع الجزية ، وفى حادثة الردة انحازت تلك الجاليات إلى المرتدين ، وانضمت إلى جيش الحطم بن خزيعة زعيم بكر بن وائل وحاربت إلى جانبه ضد بنى عبد القيس ، التى بقيت على إسلامها بزعامة الجارود بن المعلى العبدى كما تحدثنا به أخبار الردة[2].

ولاشك أن للظلم والاضطهاد والعسف الطائفى دوراً فى بزوغ دور التهديد والعنف كرد فعل لذلك ولاشك آن تجمع هذا التركيب السكانى لهذه المناطق على شاطئ الخليج (شرق شبه الجزيرة) بشكله المتناقض من حيث الجنس والعقيدة والعادات والتوجهات قد كانت نتاجاً لنزوح المضطهدين والمطاردين من قبل طوائف أو قبائل أقوى فى مواطنهم الأصلية ، وقد أسهم هذا التباين فى العادات والمعتقدات والتوجهات الاجتماعية والتحزبات الطائفية والنعرة العرقية فى خلق الأسس النظرية للتهديد الاجتماعى والخروج على نظم الحياة المرعية المعترف بها والتى تنظم العلاقة الاجتماعية وتسير وفق التفاعل الاجتماعى والحضارى فى كل بلاد العرب قبل الإسلام ودولة الإسلام بعد ذلك.

ولا غرو أن هذه الإرهاصات القديمة فى هذه المنطقة كانت قاعدة رسوبية تراكمت على مر تاريخ تلك المنطقة مما شكل أساساً وقفت عليه من بعد ذلك حركات الخروج الإسلامى الطائفى على النظام الإسلامى وعلى شريعة الإسلام بدءا من الارتداد والشعوبية والخوارج والإسماعيلية والقرمطية والشيعة وغيرها ..

---

(1) – انظر محمد سعيد المسلم ، القطيف ط٢ (الرياض ، مطابع الفرزدق ١٤٤١هـ، ١٩٩١م)صـ١٠٠.

(2) – انظر القرشى ، جمهرة أنساب العرب ، صـ٢٩٩ وكذلك العرب قبل الإسلام ، نفسه ، صـ٣٠١.

ولكن مظاهر العنف المنظم فى هذه المنطقة قد بدأت مع الدولة الأموية ، حيث كان العنف الطائفى دور بارز فى صياغة الأحداث الدامية .. فالتاريخ يحدثنا أن معاوية بن أبى سفيان حين آل إليه الأمر عمد إلى اضطهاد الموالين لأهل البيت ، وأسند ولاية البحرين* إلى الأحوص بن عبد بن أمية ومروان بن الحكم وابنه عبد الملك ، فقاموا بأعمال ضد الموالين لآل البيت وحملوا الباقين على مقاومة التشيع ، وحاربهم اقتصادياً وكل ذلك قد أدى إلى تطلعهم لكل خارج على السلطة ، وجعلهم يتنفسون الصعداء ، حتى أصبحت معقلاً للثوار ، ومنطلقاً لأصحاب الدعوات والمبادئ وهدفاً لكل طامع فى السلطان.

فلقد كان من جملة أعمال عبد الملك بن مروان الشنيعة أنه قام بدفن عيون كثيرة وردمها بالصخور ومن بينها عين السيجور التى هى أقوى عين بالبحرين ليقضى على وزارتهم ويضر بموارد رزقهم ، لخنقهم اقتصادياً.

الخوارج والإرهاب المنظم:

وجد الخوارج لهم فى القطيف أو منطقة البحرين مكانا إذ رحب بهم بعض سكانها ربما كنوع من التخلص من الحكم الأموى ، ومن هؤلاء السكان قبيلة الأزد.

قلت فى مستهل هذا البحث إن الخروج نابع من الرفض وتدرج مستويات المعارضة ، ولقد كان الرفض على المستوى السياسى مع ولاية عثمان بن عفان رضى الله عنه.

فلقد تغيرت حال الدولة الإسلامية تماماً فى عهد عثمان ، وأن هذا التغير أثار روح المعارضة لسياسة الحكومة والاستياء من تصرفاتها ، وبعث على التمرد عليها فى المدينة وفى جميع الأمصار ، فكان الجو ملائما تمام الملائمة لقبول دعوة عبد الله بن سبأ ومن لف لفه والتأثر بها إلى أبعد حد[1].

* – كلمة (البحرين تعنى قديماً القطيف والإحساء وأوال (البحرين حالياً) والنسبة إليها بحرانى (القطيف م ، س ، ص٢٠٢).

[1] – حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، بيروت ، دار الجيل ١٤١٢ هـ – ١٩٩١م ، ص ٢٩٢.

وقد أزكى نيران هذه الثورة صحابى قديم أشتهر بالورع والتقوى – وكان من كبار أئمة الحديث – وهو أبو ذر الغفارى الذى تحدى سياسة عثمان ومعاوية واليه على الشام بتحريض رجل من أهل صنعاء هو عبد الله بن سبأ وكان يهودياً فأسلم ، ثم اخذ يتنقل فى البلاد الإسلامية ، فبدأ بالحجاز ثم البصرة فالكوفة والشام ومصر.

إذا فالمسألة فيها ملمح فعل يهودى السمات من وجهة نظر الطبرى الذى يقول "فابن سبأ هذا كان يهودياً وأسلم ، وفد ابن سبأ إلى الشام وحرض أبا ذر على معاوية وقال له : يا أبا ذر ألا تعجب إلى معاوية يقول المال مال الله ؟ إلا أن كل شئ لله ، كأنه يريد أن يحتجنه* دون المسلمين ويمحو اسم المسلمين"[1].

ويحتج أبو ذر فى إعلان استيائه من سياسة معاوية بقوله تعالى :﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾ (التوبة – ٩: ٢٤).

يقول ابن هشام "لا تعجب إذا ألفينا الفقراء يلتفون حوله ويسيئون إلى الأغنياء حتى شكوا ذلك إلى معاوية ، فلما رفع معاوية الأمر إلى عثمان أيقن أن الفتنة قد أخرجت بخطمها* وعينها"[2].

فالمسألة لا يمكن أن تكون بسبب دعوة ابن سبأ – اليهودى الأصل – وإنما كان من أمر معاوية وذوية ، فالمسألة فيها دوافع نفسية ودوافع ذاتية اقتصادية ودوافع ذاتية نشأت من المصاهرة والنسب يقول الطبرى :"أما مسلك ابن أبى حذيفة العدائى لعثمان فقد ظهر أثره فيما شجر بينه وبين ابن أبى سرح فى غزوة ذات السورى التى نشبت بين المسلمين والبيزنطيين سنة ٣١هـ على ما تقدم"[3].

---

* – يضمه إليه ويحتويه.

(1) – الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك (القاهرة ١٣٢٦هـ) ٢٨٥٩/١ ، وكذلك (المسعودى) ، م . ن ٢٠٦/٢–٣٠٧.

* – الخطم مقدم أنف الدابة ومقدمة فمها.

(2) – ابن هشام ، سيرة ابن هشام ٩٧١/٢.

(3) الطبرى ، م. ن ، ٧٠/٥–٧١ –٢٣٥.

ويذكر المقريزى[1] أن السبب الذى حدا بابن أبى حذيفة على أن يسلك هـذا المسلك العدائى لعثمان هو : أن ابن أبى حذيفة تربى فى كنف عثمان بعد وفاة أبيـه فلما ولى عثمان الخلافة طلب أن يوليه بعض أمور المسلمين ، فـأبى ذلـك عليـه ، إذ نمى إليه أنه شرب الخمر فقال له : لو كنت راضيا لوليتك لستٍ هناك[*].

إذا فالمسألة سياسية أو ذاتية ، وليس للدين شأن فى هذا الخروج ، بمعنـى أن أبى حذيفة لم يخرج على عثمان لسبب دينى ولكن لسبب شخصى وأن عبـد الله بن سبأ لم يخرج لسبب دينى ولكنه همس فى أذن رجل الدين الورع أبى ذر الغفارى أى تستر خلف فقيه من الصحابة المبشرين بالجنة والسبب غيبـة العـدل فـى توزيـع للأرزاق .

إن خلاصة هذا الأمر تتمثل فى أن بداية الخـروج كـانت أسـبق مـن مسـألة خروج أصحاب الإمام على (رضى الله عنه) عليه بعد حادثة التحكيم الشـهيرة بينـه وبين عثمان (رضى الله عنه) ولكن بوادرها قد ظهرت مع بدايـة حكـم عثمـان وعـدم رضا الناس قد حملتهم علـى بعـض التجـاوزات فـى الحكـم ممـا رؤى خروجـا علـى الحكم الإسلامى الشرعى المغاير لما جاء فى (الكتاب والسـنة والإجمـاع) ، ممـا أتـاح لابن سبأ ولابن أبى حذيفة وغيرهما أن يبثا دعوتهما للخروج وإحـداث الفتنـة علـى النحو الذى وصفه الطبرى وغيره إذ قال :

"وقد صادفت دعوة ابن سبأ فى البصرة مرعى خصبا ، بيد أن عبـد الله بـن عامر والى عثمان طرده من هذه البلاد وحل الكوفة ، حيث تفـاقم اسـتياء النـاس مـن عثمان وواليه ، ومن قريش الذين استولوا على أرض السواد ، واتخـذوه بسـتانا لهـم وواصل الثائرون الاجتماعات فى منـازلهم ولعـن عثمـان جـهرا وخـاض النـاس فيمـا ارتكب من عظائم الأمور" إلى هنا والسبب انتفاء العدل فى توزيع الأرزاق.

ثم طرد ابن سبأ من الكوفة أيضا ، فقصد الشام ، فلم يلق من أهلها ما لقـى فى البصرة والكوفة ، فرحل إلى مصر حيث أخـذ ينشـر دعوتـه التـى ألبسـها لبـاس

---

[1] – المقريزى (١٤٤١/٨٤٥) تقى الدين احمد بن على : المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار (القاهرة بولاق) ١٢٧١هـ) ٢.

[*] يقصد لست سنوات فترة ولايته .

الدين واتصل بالثائرين فى البصرة والكوفة ، وتبادل معهم الكتب والرسل وبعث الدعاة إلى هذه البلاد يدعون لعلى واستطاع أن يؤثر فى نفوس الناس : فوضع مذهب الرجعة أى رجعة محمد ﷺ ثم نشر مذهب الوصاية بمعنى أن عليا وصيا على محمد ﷺ وأنه خاتم الأوصياء بعد محمذ خاتم النبيين واتهم أبا بكر وعمر وعثمان بالتعدى على حق على فى الخلافة.

كما روج بين المسلمين نظرية الحق الإلهى التى أخذها عن الفرس الذين احتلوا قبل الإسلام بلاد اليمن موطنه الأصلى ، بمعنى أن عليا هو الخليفة بعد النبى ﷺ ،وأنه يستمد الحكم من الله.

وبذلك هيأ ابن سبأ العقول إلى الاعتقاد بأن عثمان اغتصب الخلافة من على وصى الرسول ﷺ وألب الناس على عثمان فقال لهم :"إن عثمان أخذ الخلافة بغير حق وهذا على وصى الرسول ﷺ فانتهضوا فى الزمر فحركوه ، وابدأوا بالطعن على أمرائكم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر"[1].

ولابد من التأكيد عن أن ظلم الوالى وتهميشه لسنن الحكم على ما نص عليه شرع الإسلام وسيرة نبيه فى العدل بين الرعية مسلمين وذميين لما وجد ابن سبأ أو غيره ثغرة مظلمة ينفذ منها إلى أحد من الرعية .

[1]- الطبرى ١٩٤٢/١.

خلاصة الفصل :

أولا : نخلص مما سبق إلى أن ظاهرة الإرهاب قد نشأت – تاريخا – في حضن الممارسات الدينية لليهود منذ بدايتهم الدينية ، وأن للحاخامات الذين وضعوا التلمود والبرتوكولات بديلا عن الشريعة السماوية الموسوية بما يمكنهم من الشعوب الأخرى من غير اليهود ، ويفرد سيطرتهم عليهم ويحرض اليهود على تلك الشعوب غير اليهودية ، قد كان الأساس الذى تصدر عنه حركة الإرهاب الدينى القديم ، الذى كان هدفه سياسيا وعنصريا فى حين أنه يتستر خلف الدين.

كما نخلص إلى الدعاية اليهودية وسيطرتهم على العالم اقتصاديا قد مكنتهم عبر التاريخ القديم * من السيطرة على العالم من الناحية الإعلامية ، كما أن التلمود ثم البروتوكولات هما المصدر الرئيس للفكر الإرهابى الدينى والسياسى عند اليهود.

ثانيا : نخلص إلى أن مصادر الفكر الإرهابى الدينى عند بعض الإسلاميين من جماعات الخوارج أو القرامطة أو الجماعات الإسلامية المتطرفة قديما كان الفكر السياسى الدينى ، وليس الفكر الدينى الذى يمثل الدعوة والأحكام الشرعية للإسلام وهى (الكتاب والسنة والإجماع).

كمل نخلص إلى أن الإرهاب الذى وقع على المسلمين ويعود إلى مصادر فكرية إرهابية إنما هو من فعل جماعات الخوارج والقرامطة والزنج والشيعة ، الذين يعزى إليهم وضع الأساس النظرى لفكرة الإسلام السياسى ونظام الإمامة (الخلافة) وهو ما سنراه عند مناقشة فكرة الحاكمية ونظريتها التى حكمت فكر التنظيمات الإسلامية المنتسبة للأصولية فى عصرنا.

ثالثا: يختلف الفكر الإرهابى عن الإرهاب الفكرى وإن كان الإرهاب الفكرى ممهد لعمل الفكر الإرهابى.

الفكر الإرهابى : بتسم بالدقة والتخطيط والتأنى والمرحلية ووسيلته السلاح والقتل والتدمير والاختطاف والمفاجأة.

---

* وهو ما سنعرض له فيما سيأتى.

الإرهاب الفكرى : يتسم بالتسرع وعدم الدقة وعدم المنهجية والاندفاع والتبسيط ووسيلته التشهير والدعاية والإشاعة والكذب لتحقيق أهداف بدون معارك.

رابعاً: ونخلص إلى أن بدايات الفكر الإرهابى فى دولة الإسلام بعد الرسول ﷺ كانت من وضع عبد الله بن سبأ وهو يهودى يمنى أسلم وخطط للوقيعة بين أنصار على وعثمان وكان أول من نادى بنظرية الحق الإلهى التى عرفها الفرس ودسها على الفكر الإسلامى وهى النظرية التى بنى عليها أصحاب فكرة الحاكمية آراءهم فى الخلافة فأورثتنا الفتن والإرهاب باسم الإسلام وما كان يمكنه ذلك هو أو غيره دون وجود ثغرات وفجوات مظلمة فى سياسة القائمين من الحكام على أمور المسلمين.



الفصل الثانى

مصادر الفكر الإرهابى

ودورها فى التنشئة.الثقافية

تمهيد :

قال تعالى ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقـــرب إليه من حبل الوريد . إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾.(ق الآية ١٦-١٩).

كان الإرهاب من حيث مفهومه المنصوص فى المعاجم والموسـوعات والمرصـود فى الأبحاث العلميـــة التـى تنـاولت هـذه الظـاهرة القديمـة قـدم التـاريخ البشـرى ، الحديثة حداثة الغرابة والاغتراب الذى عاشه المجتمع البشـرى فيمـا بعـد الحربـين العالميتين (الأولى - والثانية) وسيلة الدولة الثورية الحديثة إلى تصفيـة خصـوم الثـورة فى سبيل استتباب الأمن الاجتماعى بعد ذلك تحت قيادة جديدة استنادا إلى شـعار ما يعرف بالشرعية الثورية كمقدمـة وتمـهيد لإحـلال الشـرعية الدسـتورية البرلمانيـة والقانونية بعد ذلك ، فأصبح متفاعلا تفاعلا سلبيا ضد المجتمعات التى أفرزته فكـرا ونشـاطا هدامـا لتلـك المجتمعـات فـى تاريخـها المعـاصر حتـى "لم يعـد أمـام كـل المجتمعات المعاصرة فى عالمنا أجمع إلا الخلاص من الفعل الإرهابى العنيف . الذى بات مستشريا استشراء السرطان الخبيث فى جسد العـالم بأكملـه ، شـرقه وغربـه ، وشماله وجنوبه ، وذلك باستئصاله من كل جزء يظهر له ملمح واحد.

وإذا كـان الإرهـاب هـو وسيلة لفعـل سياسـى ، فـلا يمكـن إدراك ظـاهرة الإرهـاب وفهمـها فـهما كافيـا مـا لم تؤخـذ بعـين الاعتبـار أيضـا القـوى الفكريـة والأيدلوجية التى تحرك هذه الظاهرة ، وتقرر دورها ومكانها فى الشـأن السياسـى"[1].

وهذه نقطة أولى . أما النقطة الثانية فى أن لفظة "إرهاب" تـدل علـى حـدث واقعـى يظهر ويتعين ويتكرر بأشكال عديدة وبوجوه مختلفة ومعقدة[2].

كذلك يمكننا أيضا تحديد ركنـين أساسـيين اسـتند إليـهما مفـهوم الإرهـاب فكرا ونشاطاً وهما :

---

(١) - أدونيس العكرة ، الإرهاب السياسى (بحث فى أصول الظاهرة وأبعادها الإنسانية) ، (بيروت ، دار الطليعة ، سلسلة السياسية والمجتمع ١٩٨٣) ص٢١-٢٢.

(٢) - العكرة م ، ن ص٢١-٢٢.

١- العامل السيكولوجى :

ويتمثل العامل السيكولوجى للفعل الإرهابى فى تحقيق الرعب ليس لدى الطرف المعادى فحسب ، ولكن لدى الرأى العام أيضا (حالة الرعب الاجتماعى العام) ، وكذلك يتمثل فى (الاستمرارية) .. بمعنى أن الرعب يظل مستمرا فى النفس لفترة زمنية دون أن ينتهى أثره، وإلا اعتبر الفعل مجرد جريمة عادية (أى استمرار حالة الرعب الاجتماعى العام فى خلق جو من التهديد أو الإحساس الدائم بالتهديد والتوقع المستمر لحدوث فعل إرهابى ، مجهول الزمان والمكان والطبيعة ، وإذا كان الإرهاب يستهدف تحقيق مصالح جدية مستقبلية فإن استمرار عملياته يستهدف تحقيق ذلك.

٢- العامل السياسى :

ويتمثل العامل السياسى فى (عنصر المقابل) وهو وجود طلب للفاعل أيا ما كان هذا الطلب.

كما يتمثل العامل السياسى فى حالة الاستنفار الأمنى الدائم للدولة وأجهزتها الأمنية والسياسية وما يترتب على ذلك من خسائر مادية وبشرية وإعلامية على المستوى المحلى وربما على المستوى الدولى كله ، بما يضر بسمعة البلاد وبسمعة المسلمين (فى البلاد الإسلامية) عقيدة وسلوكا - حالة وقوع الفعل الإرهابى على أمتنا، وكذلك غيرنا من الأمم أو أصحاب الديانات أو المعتقدات الأخرى غير المسلمة.

وإذا كانت عناصر الفعل الإرهابى كما حدده خبراء مكافحة الإرهاب وباحثوها هى .

أ- عنصر الرعب.

ب- عنصر المقابل.

جـ- عنصر الاستمرار.

د- الدعاية.

فإن الفكر الإرهابى قد بات منظرا للدافع إلى الفعل الإرهابى ، مقيما الحجة على مصداقية هذا الدافع ، ومدعما له بالأسانيد والإثباتات والشواهد ما وسع له

ذلك من تفسير للمصادر الدينية والمراجع الاجتماعية والبيانات الرسمية والمصادر الإعلامية.

الإرهاب بين الفكر والتخطيط (بين الغاية والوسيلة):

ولئن كان للإرهاب فكر يصدر عنه وفق نهج يتخذ من الأساليب ما يناسبه ظرفا وهيئة أفراداً وسلوكا ، وكان لكل فكر تخطيط يمثل منهج أصحابه . فإن القول بجهل الإرهابى يعد لونا من ألوان التضليل الإعلامى الذى يستهدف خدمة الإرهاب نفسه ولا يستهدف خدمة مكافحة ظاهرة الإرهاب ، فالعمل الإرهابى ليس عملا جاهلا ، وإن كان يستخدم بعض الجهلة ، وبعض الأميين حتى ، من بين المتعلمين والمثقفين أصحاب الأمية الثقافية - غالبا - فى تنفيذ المهام الإرهابية أو المساعدة على تنفيذها . فلئن كان الإرهاب كما عرفنا مصطلحا يتمثل فى "استخدام العنف أو التلويح به لتحقيق هدف محدد يخدم أفرادا أو مؤسسات أو دولاً تبعا لمشيئة الجهة الإرهابية"[1].

أو تمثل فى "بث الرعب الذى يثير الجسم والعقل أى الطريقة التى تحاول بها جماعة منظمة أو حزب أن يحقق أهدافه عن طريق استخدام العنف."

حيث "توجه الأعمال الإرهابية ضد الأشخاص سواء كانوا أفرادا أو ممثلين للسلطة ممن يعارضون هدف هذه الجماعة"[2].

أو تمثل فيما يفعله الإرهابيون "الذين يسلكون سبيل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية"[3].

فإن استخدام العنف أو التلويح به يتطلب تحليلا سياسيا يحدد الزمان والمكان الملائمين تحديدا دقيقا ، وكذلك دقة فى اختيار عناصر التنفيذ ووسائله وأدواته ودرجات الأمان فيه ، وتقدير النتائج على العدو المستهدف وعلى الجهة الإرهابية وتقدير رد فعل العدو : (الحكومة) أو (المحتل الأجنبى - كأمريكا فى العراق والصهاينة فى فلسطين المغتصبة) والاحتياطات المناسبة لتجنب رد الفعل -

---

(1) - قاموس مجلة العربى (الكويت ، العدد - ديسمبر ١٩٨٦) ص٦٤.

(2) - معجم العلوم الاجتماعية - مادة إرهاب - (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥) ص٢٧.

(3) - المعجم الوسيط . م ، ن ، ص٣٧.

حالة نجاح العملية الإرهابية أو حالة فشلها - ويتطلب هذا كله عقلا مفكراً ونظاما مدبرا ، ومحكما وتخطيطا سديدا أو هو أقرب إلى السداد ، فإن محاربة نظام حاكم يتطلب تخطيطا وعملا وتنظيما ، وفكرا أقوى مما هو قائم بالفعل عند هذا النظام أو محتل غاصب أو المختل الحاكم . والتخطيط ناف للجهل وللجهالة وعدو للجاهلية.

ومن الغريب اللافت للنظر أن نجد الاتهام متبادل بين التنظيمات الإسلامية والوسائل الإعلامية الرسمية وأوساط المثقفين مما يستلزم الوقوف أمام هذا المصطلح طلبا للتأصيل حتى يأتي حكمنا على من تنطبق عليه صفة الجاهلية.

الفصل في القول بجاهلية التنظيمات الإرهابية الإسلامية والقول بجاهلية المجتمعات الإسلامية وأنظمتها :

أولا : معنى الجاهلية في اللغة :

الحروف الأصلية لكلمة الجاهلية ثلاثة : الجيم والهاء واللام . تعود معانيها إلى أصلين أحدهما : خلاف العالم ، والآخر : الخفة وخلاف الطمأنينة[1].

يقول الراغب الأصفهاني : "الجهل على ثلاثة أضرب :الأول : وهو خلو النفس من العلم ، والثاني : اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه . والثالث : فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل سواء اعتقد اعتقادا صحيحا أو فاسدا" . وعلى ذلك قوله تعالى : .﴿ قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين﴾ (البقرة ٦٧).

فجعل فعل الهزؤ جهلا ، وقال عز وجل :﴿ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ (الحجرات ، ٦) أما الجاهلية بمعنى خلو النفس من العلم فهي ليست صفة الفكر الإرهابي كما أنها ليست صفة الدولة ، لأن للإرهاب مفكريه وخططه ونهجه ، كما أن للدولة مفكريها وخططها ونهجها في كل سبيل بما يحقق لها نظام الحكم تماما كما لكل تنظيم إرهابي أو غير إرهابي خططه في كل سبيل يحقق لذلك التنظيم شكله التنظيمي وأهدافه.

---

[1] - ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، مادة جهل.

ثانيا : معنى الجهالة فى الكتاب والسنة : (المعنى الدلالى):

"إن وصف زمان أو إنسان بالجاهلية ليس وصفا عاديا ، بل هو إطلاق شرعى يتضمن حكما لابد فيه من مراعاة الضوابط الشرعية . وهذا الحكم له أثار كبيرة وخطيرة"[1]. فما البال حين يتعلق ذلك الوصف بجماعة أو بجماعات من المسلمين ؟!

ولفظ الجاهلية قد ورد للدلالة على معان معينة فى القرآن الكريم أربع مرات هى :

١- الدلالة الأولى :

فى قوله تعالى :﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شئ قل إن الأمر كله لله يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شئ ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم . وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور ﴾ (آل عمران ١٥٤).

فالجاهلية هنا أن تظن الله بغير الحق.

٢- الدلالة الثانية :

فى قوله تعالى : ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله . ولا تتبع أهواءهم . واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك . فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم . وإن كثيرا من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون . ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾ (سورة المائدة : ٤٤-٥٠).

ومعنى الجاهلية فى هذه الآية هى الحكم بغير ما أنزل الله.

٣- الدلالة الثالثة :

فى قوله تعالى :﴿ إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها . وكان الله بكل شئ عليما ﴾ (الفتح ٣٦).

---

[1] - عبد الرحمن معلا اللويحق ، م . ن.

ومعنى الجاهلية فى هذه الآية أن يسلك الإنسان غير المؤمن السلوك الحاد ، سلوك رفض الإنصياع للحق بالدخول فى دين الإسلام . وهو جهل مقصور على الكفار إذ هم منفعلون متوترون لا يشعرون بالأمن فى مقابل السكينة والطمأنينة التى أنزلها الله على الذين آمنوا . فالجاهلية نقمة من الله على الكافرين فى مقابل نعمة السكينة على قلوب الذين آمنوا.

ولقد ورد لفظ الجاهلية فى القرآن الكريم مقيدا بعمل (ظن الجاهلية) ، (حكم الجاهلية) ، (تبرج الجاهلية) سورة الأحزاب ٣٣ (حمية الجاهلية).

أما اللفظ فى السنة :

فقد ورد فى خطبة الوداع : "ألا كل شئ من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع"[1].

وفى الحديث الذى رواه بن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله (ص) قال: "أبغض الناس إلى الله ثلاثة ، ملحد فى الحرم ، مبتغ فى الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهرق دمه"[2].

ثالثاً : الجاهلية فى مفهوم التنظيمات الإرهابية وفى مفهوم الدولة :

(١) - عند الجماعات المتطرفة الإرهابية : هى خلاف العلم للأسباب الآتية :

أ- بغضها للتعليم.

ب- رفضها للتعايش فى مجتمعها.

جـ- رفضها للثقافة وللفكر والفن.

د- رفضها لمجرد سماع الرأى الآخر.

هـ - استحلالها للأموال وللأغراض.

و- تصفيتها لمخالفيها تصفية جسدية.

ز- تخريبها لممتلكات الغير.

---

[1] - رواه مسلم (٨٨٦/٢) ، كتاب الحج : باب حجة النبى (ص) وأبو داود (١٩٠٥) كتاب المناسك ، باب صفة حج النبى (ص) وابن ماجة (٣٠٧٤).

[2] - رواه البخارى فى كتاب الدايات ، باب من طلب دم امرئ بغير حق.

(٢)_ عند الدولة لا نقول إن كل ما تفعله هو خلاف العلم ولكن القليل مما تهمله أجهزتها وتتجاهله مخططاتها لسبب أو آخر هو لذلك خلاف العلم.

الجاهلية بمعنى الخفة وعدم الطمأنينة :

أولاً :- الدولة تستخف بالمنظمات الإرهابية وفى استخدام المناهج العلمية وخطط التنمية ودور الكتاب وفى رقابة الجمعيات والأندية ، وفى معالجة القضايا الاجتماعية وأهمها البطالة والارتفاع الجنونى للأسعار ومظاهر المحسوبية، والرشوة وسوء الخدمات الصحية والتعليمية والتسلط البوليسى والبيروقراطية.

ثانياً :- المنظمات الإرهابية تستخف بالدولة بقدراتها وأنظمتها ومواهب القائمين على النظام وأجهزته ودرجة إخلاصهم وينفذون من بين ثغرة التناقض بين أهداف الدولة وأجهزتها والقائمين على هذه الأجهزة التشريعية والقانونية والتنفيذية مع كونها تناقضات تبدو ثانوية - غالبًا -.

استخلاص :

معنى ذلك أن الإسلام يرفض كل مسلك جاهلى على النحو الذى وصفه القرآن : على ذلك فالجاهلية تتمثل فيما يأتى :-

- الظن فى الله بغير الحق : أن يظن المؤمن بالله غير الحق.
- الشك فى المشيئة : الذين يشكون فى أن الله بيده الأمر كله.
- التخفى بالظاهر لباطن : الذين يخفون فى أنفسهم مالا يبدونه للرسول ﷺ .
- عدم الإيمان بقضاء الله : الذين لا يؤمنون بأن استيفاء الأجل بيد الله وحده وأن الحياة والموت والرزق بيد الله وحده ولا حيلة لبشر فى ذلك.
- الاعتراض على امتحان الله : ما يحيق بالبشر من مصائب أو تهديد أو إرهاب سماوى لاعتبار البشر وامتحان صبرهم.
- الفسق : سواء كان عاماً أو فردياً فى المجتمع المسلم.
- فتنة الإمام أو الحاكم : فتنة الإمام وحرفه عما أنزل الله.
- اتباع الهوى : عدم النزاهة فى الحكم والحياد فيه.
- عدم الحكم بما أنزل الله : فى الأوامر والنواهى والحدود.
- اتباع سنن الجاهلية فى دولة مسلمة : المسلم الذى يبتغى فى دولة الإسلام سنن المجتمع الجاهلى :(مجتمع ما قبل الإسلام) ومعلوم ما هى سنن الجاهلية من وأد البنات والرقيق والخمر والميسر والزنا والربا والثأر والقتل بغير حق والحرابة وترويع الآمنين والإغارة والخروج على حكم القبيلة - الخروج على الإجماع - واستحلال دماء الآخرين وأعراضهم وأموالهم وأبنائهم ، وظلم الحكام واستبدادهم وفساد ولاة الأمر وإهمال العبادات والإشراك.

ونخلص من ذلك إلى عرض كل من الطرفين المتشبكين اللذين يقذف كل طرف منهما الطرف الآخر المضاد له بتهمة الجاهلية ، حيث يرى المتطرفون والإرهابيون أن الحكومة العربية فى كل أنحاء الوطن العربى بل يرون أن المجتمعات العربية الإسلامية كلها مجتمعات جاهلية ، حتى أن فصيلاً منهم يكفر المجتمع العربى الإسلامى كله ويبطل الصلوات فى جميع المساجد ما عدا أربعة مساجد هى:

المسجد الحرام ، ومسجد النبى ﷺ ، والمسجد الأقصى ، مسجد قباء . وهو أول مسجد بنى فى الإسلام[1].

لقد غلت جماعة شكرى مصطفى فزعموا أن كل المساجد القائمة الآن فى الأرض مساجد ضرار ،باستثناء أربعة مساجد فقط هى : المسجد الحرام ، ومسجد النبى ﷺ والمسجد الأقصى ، ومسجد قباء ، وعليه فلا يجوز الصلاة فى غير هذه المساجد الأربعة.

وقيام هذه الفكرة هو على دعامتين هما :

الأولى : حتمية التسليم بأن مجتمعات المسلمين فى عصرنا مجتمعات جاهلية.

الثانية : هى حتمية اعتزال المجتمعات وفى مقدمتها المساجد .. لأنها معابد هذه الجاهلية[2].

ومن أدلة جماعة "شكرى مصطفى" على هذا ما يأتى :

١- قول الله تعالى فى قصة موسى (عليه السلام)﴿ فأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين ﴾ (يونس ٨٧).

وقد تكلم حول هذه الآية (سيد قطب) فقال : "... وهذه التجربة التى يعرضها الله على العصبة المؤمنة يكون لها فيها أسوة ، ليس خاصة ببنى إسرائيل ، فهى تجربة إيمانية خالصة ، وقد يجد المؤمنون أنفسهم ذات يوم مطاردين فى المجتمع الجاهلى ، وقد عمت الفتنة وتجبر الطاغوت ، وفسد الناس وأنتنت البيئة ، وكذلك الحال على عهد فرعون"[3].

ويضيف سيد قطب فى تفسيره لهذه الآية قائلاً :وهو يرشدهم إلى أمور :

---

(١) – راجع : محمد عبد السلام فرج (مؤسس تنظيم الجهاد) ، الفريضة الغائبة ١٩٧٦.

(٢) – عبد الرحمن معلا اللويحق ، م ، ص٤٥٩.

(٣) – سيد قطب ، فى ظلال القرآن الكريم ١٨١٦/٣.

- اعتزال الجاهلية بنتنها وفسادها وشرها - ما أمكن ذلك - وتجمع العصبة المؤمنة الخيرة النظيفة على نفسها لتطورها وتزكيها وتدربها وتنظمها ، حتى يأتى وعد الله لها.
- اعتزال معابد الجاهلية : وإنزال العصبة المسلمة مساجد تحس فيها بالانعزال عن المجتمع الجاهلى ، وتزاول فيها عبادات لربها على نهج صحيح ، وتزاول بالعبادة ذاتها نوعاً من التنظيم فى جو العبادة الطهور"[1]. - لاحظ التفريق بين معابد ثم مساجد -.

وذلك فى مقابل اتهام الأجهزة الرسمية للحكومات فى البلاد الإسلامية وخاصة فى مصر والجزائر والأردن وغيرها لتلك الجماعات بأنها جماعات الظلام والتجهيل والجاهلية. يقول وحيد حامد مؤلباً الرأى العام ضد الجماعات الإرهابية التى تنسب نفسها إلى الإسلام : "... وهم فى سياستهم وتخطيطهم يضعون نصب أعينهم عدم الغياب عن الساحة أبدا . لابد من تواجدهم بشكل أو بآخر . أما بعد أن سكتت البنادق فالشكر كل الشكر للصفوف من رجال الأمن الذين قاموا بهذا الإنجاز .. ولكن راية الإرهاب والتخلف والقهر تسلمها آخرون .. تسلمها أصحاب الحناجر .." "لو كانت دعوتهم صادقة وعقيدتهم أصيلة لتغيير حال المجتمع المصرى إلى الأفضل . ولكن واقع الحال يقول غير ذلك" "فمنذ أن أطلوا علينا ودمروا كل شئ بجهل وحماقة وكانوا أشد خطرا على الدين"[2].

وكذلك نخلص بأن الإدارة الحاكمة لا يمكن أن تكون بعيدة عن الروح الجاهلية بمعنى الاستخفاف.

أ) استحلال الدولة للمواطنين والوطن :

إن النظر التأملى والتحليلى لحال المجتمعات العربية الإسلامية التى برزت فيها ظاهرة الإرهاب يجد تناقضات كبيرة فى مستويات الدخل وفى الممارسات وألوان الفساد والبطالة وغيرها فيما تركز وسائل الإعلام عليه . يقول على الشوباشى

---

[1] - سيد قطب ، م ، ن ١٨١٦/٣.

[2] - وحيد حامد ، "وسكتت البنادق وارتفعت الحناجر" (روز اليوسف) العدد ٣٤٥٤ بتاريخ ١٩٩٤/٨/٢٢ (القاهرة دار روز اليوسف) ، صـ ٤٧-٤٨ وما بعدها.

شيء حول "استحلال الوطن والمواطنين" فالطبقات الشعبية هلكت وازدادت فقرا ، وفي المقابل زاد الثراء الفاحش غير المشروع والقائم على النهب والسلب وهو المقابل للاستحلال . فهنا من استحل أملاك الدولة واستحل أموال المودعين من خلال شركات التوظيف وهناك من استحل الساحل الشمالي ومنطقة البحيرات إلى آخر تلك المناطق المهمة بغرض احتكارها ، والمضاربة عليها فيما بعد وهناك من استحل شركات الغير ومشاريعهم وأراد الدخول فيها شراكة عنوة مستندا إلى وضعه الذى لولا الصدفة البحتة ما وصل إليه . وهناك من استحل الرشوة . وهناك من استحل جهود الآخرين العلمية وسطا عليها ونسبها إلى أفكار الآخرين"[1].

من الواضح أن مثل هذه الممارسات إذ تحدث في مجتمع ينتمي إلى العالم الإسلامي بل هو في القلب منه يبعده عن روح الإسلام ويضعه في قلب المجتمع الجاهلي حكاما ومحكومين مسلمين وجماعات إسلامية في آن واحد.

ب) النسق السياسي الإرهابي المناهض للدولة :

وإذا كانت ظاهرة الإرهاب استغلالا للدين في مصر الحديثة قد أطلت برأسها مرتين خلال السنوات الأربع والستين الأخيرة (١٩٣٠-١٩٩٤).

المرة الأولى في الثلاثينات من القرن العشرين تقريبا ١٣٥٧هـ الموافق ١٩٣٤ مع بدايات تكوين جماعة الإخوان المسلمين في مصر على يد المرشد (حسن البنا) من منطقة القناة - في الإسماعيلية تحديدا حيث كان يعمل بها مدرسا - وحيث أصبحت له جماعة تتبع إرشاداته وتنضوى تحت شعاراته التي أعلنها في دعوته حيث كتب افتتاحية العدد الأول من مجلة (النذير)وجعل شعاره عنوان تلك الافتتاحية نفسها "خطوتنا الثانية .. أيا الإخوان تجهزوا"[2]. وفيها يقول : "إن الله لا يزع بالسلطان ما يزع بالقرآن" وقال إنه سوف يتوجه بدعوته إلى كل المسئولين فإن أجابوا آزرهم وإن لجأوا إلى المواربة والمراوغة "فنحن حرب على كل زعيم أو رئيس

---

[1] - على الشوباشي ، "استحلال الوطن المواطنين" (مجلة القاهرة) ع ١٣٨ . مايو ١٩٩٤ (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة لكتاب) ص١٠٦.

[2] - حسن البنا ، مجلة النذير ، العدد الأول ٣٠ ربيع الأول ١٩٥٧هـ الافتتاحية.

حزب أو هيئة لا تقوم على نصر الإسلام ولا تسير فى الطريق إلى استعادة حكم الإسلام ومجد الإسلام"[1].

وهو فيما يبدو قد كان واثقا من قوة تنظيمه ومد انتشار دعوته بين الغالبية لذلك يقول : "... فنحن لا نسعى للحكم ، ولكن هو الذى سيسعى إلينا فيما نعتقد ... وحينئذ نفكر فى تحديد موقفنا منه ... أنقبله أم نفرضه"[2].

وهذه الثقة تعكس فى واقع الأمر شيئين :

١- استشراء الفساد فى المجتمع ، خاصة والبلدة محتلة احتلالا عسكريا مما يستنفر الوطنيين المسلمين وغير المسلمين ضد الإنجليز الغاصبين ويؤجج نار مقاومتهم إذا كانت المواجهة من منطق دينى إسلامى فى مقابل ديانة المستعمر (المسيحية) لتكون المسألة مسألة مواجهة دينية قبل أن تكون مواجهة وطنية للمستعمر.

٢- إيمان الغالبية بدور الدين فى ايجاد حل غيبى للمشكلات الاجتماعية والمشكلات الاقتصادية ، وليس أفضل من جماعة المسلمين (الإخوان) فى التوسط لدى الله ليكشف الغمة عن الأمة.

ومع ذلك فإن القائد السياسى زعيم الحزب لا يرفض الحكم كرئيس تنظيم يسعى للحكم لاشك ، وإلا فكيف يسمى تنظيما سياسيا !

وهكذا فإن جماعة الإخوان المسلمين قد أعدت نفسها للحكم واثقة أن الشرط الموضوعى مهيىء أمام تسلمها لمقاليد الحكم خاصة وأن الشرط الذاتى قد تحقق لها وهذا ما يعكس قول مرشدها من أن الحكم يسعى إليهم فيقررون أيقبلونه أم يرفضونه !

غير أن واقع الأمر يقرر غير ذلك وهو ما تؤكده نتيجة التحقيق مع (هنداوى دوير) ، أحد قادة الإخوان المسلمين أمام المحكمة - إذ يقول ردا على سؤال المدعى:
- ألم تضعوا أبحاثا عن كيفية الحكم بالإسلام ؟ هنداوى : أيام الأستاذ البنا طلبت منه أن يكتب فى هذا فقال لى : أذكر بالضبط أنه قال لى : إن إحنا شعب كتب

---

[1] - حسن البنا . م . ن.

[2] - حسن البنا ، مجلة المصور المصرية فى ١٩٤٦/٣/١.

وكتابات ، وإن مهمتنا مش أننا نعمل كتب وكتابات وإن المكتبة الإسلامية مليئة ، وإن مهمتنا مش أننا نعمل كتب بل مهمتنا أننا نعمل رجالة.

المدعى : يعنى مفيش تحديد ولا نص ؟

هنداوى : الواقع أن الإخوان لم يعدوا هذا الدستور وأنا قلت لحضراتكم إننى قلت للأستاذ البنا إحنا عاوزينك تفضى شوية على أساس إنك تكتب لنا إية اللى يطبقه الإخوان وأذكر أنه قال فى مناسبة ما إن الناس يجتمعون على مبادئ لا على تفاصيل لأننا إذا دخلنا فى التفاصيل فسنختلف ونتفرع ولا تنتهى إلى خير كثير .. وإن إحنا ماشيين على مبادئ إسلامية ولو تعرضنا للتفاصيل فيمكن يجئ فقيه ويختلف معنا وجايز نستهلك فى مسائل فرعية[1].

ولقد صدق حدس "هنداوى دوير" حيث اختلف الإخوان المسلمون وتفرقت عنهم فرق عديدة ، ووجد من بين العلماء من يختلف معهم وهو الشيخ الذهبى - وزير الأوقاف فى عهد الرئيس السادات - حيث قتلوه وحوكموا وشنق زعماؤهم*.

ويتأكد عدم وجود برنامج عمل سياسى أو لائحة تنظيمية تحدد فلسفة جماعتهم ونظامها وأهدافها المرحلية وخططها ومرئياتها حول سبل مواجهة المشاكل الاقتصادية والموقف من الاحتلال الأجنبى للبلاد والمسألة الديموقراطية - الموقف من الأحزاب الأخرى - يتأكد عدم وجود شيء من هذا بشهادة "منير الدلة" عضو مكتب الإرشاد العام أمام محكمة الشعب المصرية خلال محاكمة حسن الهضيبى* وهى شهادة تؤكد أن عدم وجود برنامج للإخوان المسلمين قد كان أمرا مقصودا :

"وكيل النائب العام : هل لجمعية الإخوان برنامج مفصل لنظام الحكم.

الشاهد : ليس لجمعية الإخوان المسلمين برنامج مفصل لنظام الحكم.

وكيل النائب العام : على أى أساس تقوم دعوتهم ؟

---

(1) – محكمة الشعب – محاكمة محمود عبد اللطيف – شهادة هنداوى دوير ٦٢/١.

* – زعماء تنظيم الجهاد ، شكرى مصطفى ورفاقه عام ١٩٧٧م.

* – المرشد العام للإخوان المسلمين بعد اغتيال حسن البنا.

الشاهد : الجمعية أو الهيئة تنادى بالدعوة الإسلامية ، وتدعو إلى الفكرة العامة الإسلامية ، الفكرة الإسلامية كفكرة عامة ولا تضع نظاما أو نظام محدد دقيق يسمى الحكم الإسلامى ، ويمكن أن يوجد داخل هذه الخطوط عدة أنظمة تبقى كلها إسلامية ، إذا كان متوفر فيها الشروط العامة التى يضعها الإسلام ، أما اختيار نظام معين وتسميته إنه نظام إسلامى فهذه فكرة دقيقة وهذا هو ربما من الأسباب التى دعت الجمعية بألا ترسم صورة وتفرضها بتسميتها إنها نظام الحكم الإسلامى واكتفت ببيان الدعوة الإسلامية فى الناحية السياسية مطالبة به فى منحى الحياة العامة[1].

ولا أتصور كيف تكون هناك جماعة أو تنظيم يعد نفسه للحكم دون أن يتسلح ببرنامج سياسى !!

وحين لا يكون هناك برنامج فإنه يسهل التراجع ، وهذا ما حدث مع الإخوان المسلمين : فبعد أن كان الحكم فى انتظارهم - على حد زعمهم - وبعد أن رفع حسن البنا شعار مواجهة النظام الحاكم ، إذا به يتكلم عن موافقته على أسلوب الترقيع السياسى.

"إن من نصوص الدستور المصرى ما يراه الإخوان المسلمون مبهما غامضا يدع مجالا واسعا للتأويل والتفسير الذى تمليه الغايات والأهواء ، فهى فى حاجة إلى وضوح وإلى تحديد وبيان ، هذه واحدة . والثانية هى أن طريقة التنفيذ التى تطبق بها الدستور طريقة أثبتت التجارب فشلها وجنت منها الأمة الإضرار لا المنافع فهى فى حاجة شديدة إلى تحوير وإلى تعديل يحقق المقصود ويفى بالغاية .. ولابد أن تكون فينا الشجاعة الكافية لمواجهة الأخطار وللعمل على تعديلها"[2].

لقد أصبح الدستور المصرى إسلاميا إذن !! فيما لو أجريت عليه بعض التعديلات وربما هو أسلوب التنفيذ الذى كان غير مطبق للإسلام الذى يراه جماعة الإخوان المسلمين.

---

[1] - محكمة الشعب ، المحاكمات فى الفترة من ٢٢-٢٥ نوفمبر ١٩٥٤ محاكمة حسن الهضيبى - شهادة الدلة ١٢٠٨/٦.

[2] - حسن البنا ، رسالة المؤتمر الخامس.

ومع ذلك فإن من ينقد منهجاً أو أسلوباً عليه طرح البديل ، فما هـو البديـل أو ما هى مرئيات المرشد (حسن البنا) التى تصلح مـن جهـة نظـره ليصبح الدستور المصرى مطابقاً للشريعة الإسلامية وعليه تصبح الدولة المصرية والمجتمع المصرى غـير جاهلى .. لا بديل ، ولا مرئيات : "أمـا الأمثلـة التفصيليـة والأدلـة الوافيـة ووصـف طرائق العلاج والإصلاح ففى رسالة خاصة إن شاء الله"[1].

ولا أدرى لماذا سيلجأ للتفصيل وهو الذى قال بأن دعوتهم تقوم على المبادئ الإسلامية لا التفاصيل مع أن السنة تفصيل للقرآن ومع ذلك فلقد تراجـع : "البنـا" خوفاً من أن يتهم بمناهضته للدستور لذلك سرعان ما يقول :

"إن الدستور بروحه وأهدافه لا يتناقض مع القرآن من حيث الشورى وتقرير سلطة الأمة وكفالة الحريات ، وإنما يحتاج إلى تعديله ممـا يمكـن إن يعـد بالطريقـة التى رسمها الدستور ذاته"[2].

ثم أنه يتراجع أكثر مما سبق فيكتب فى مجلة (النذير) :

"ما كـان لجماعـة الإخـوان المسـلمين أن تنكـر الاحـترام الواجـب للدسـتور باعتباره نظام الحكم المقرر فى مصر ، ولا أن تحاول الطعن فيه أو إثارة النـاس ضـده وحضهم على كراهيته ، ما كان لها أن تفعل ذلك وهى جماعة مؤمنـة مخلصـة تعلـم أن إهاجة العامة ثورة ، وأن الثورة فتنة ، وأن الفتنة فى النار"[3].

ويردد عبد القادر عودة القول نفسه : "القانون المطبق فى مصر باستثناء بعض النصوص - يتفق مع نصوص الشريعة ، ولا يتناقض مع مبادئها العامة"[4].

لقد بدأ الكلام حول مطابقة الدستور للشريعة باستثناء التنفيذ ثم الدفاع عـن الدستور إلى الإعلان عن موافقة غالبية نصوص القانون المصرى للشريعة ، وبذلك سقط عن المجتمع المصـرى الاتـهام بالجاهليـة ! ! ولكـن مـاذا عـن تحليـلات سـيد قطـب وتنظيراته فإن تنظيراته تضع الأسس الفكرية للتطرف الدينى.

---

(1) - حسن البنا ، م . س . ن.

(2) - أنور الجندى ، الإخوان المسلمون فى ميزان الحق ، صـ٦٢.

(3) - حسن البنا ، "الإخوان المسلمون والدستور" (مجلة النذير) العدد ٣٣.

(4) - عبد القادر عودة ، الإسلام بين جهل أبنائه وعجز زعمائه ، القاهرة ١٩٥٢ ، صـ٢٣.

فإن كـان حسـن البنـا زعيمـاً دينيـاً سياسـياً فـإن سـيد قطـب مفكـر دينـى سياسى،والنظر التحليلى لشرحه لقصة سيدنا موسى (عليه السلام) يكشف عن فكـرة التحريض ضد المجتمع الإسلامى بصفته مجتمعاً جاهلياً - حسبما قـرر - فـى موقفـه عند نقطتين :

الأولى : حتمية التسليم بأن مجتمعات المسلمين فى عصرنا مجتمعات جاهلية.

الثانية : أن النتيجة : حتمية اعـتزال المجتمعـات وفـى مقدمتـها المسـاجد لأنـها معابد الجاهلية[1].

ولذلك فإن (الشيخ سيد قطـب) يعـد المصـدر الرئيسـى فـى الفكـر الإرهـابى الدينى فى عصرنا الحديث إلى جانب (أبى الأعلى المودودى) و(محمد قطب) وهو مـا سوف نقف عنده طويلاً فى تحليلاتنا لكتاباتهم التحريضية فى هذا الفصل.

ولا غرو أن جميع التنظيمات الإسلامية التـى تعـانى مـن تطرفـها وإرهابـها المجتمعـات العربيـة الإسـلامية واعتزالهـا لمجتمعاتـها قائمـة علـى فكـرة جاهليـة المجتمعات الإسلامية المعاصرة وكفرها ، فلولا أنهم يرون ما رآه سيد قطب مـن أنـها مجتمعات جاهلية ولولا ترديدهم لحكم سيد قطب بتكفير هذه المجتمعات ما كفروهـا وما هاجروا منها وهـم بـين ظهرانيـها يعيشـون ، ومـا خـالف واحـد منـهم أمـر الله سبحانه حيث يقول :﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إمـا يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لـهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيـانى صغيراً﴾ (الإسراء : ٢٤-٢٥) وقوله عز القائل :﴿ وصاحبهما فى الدنيا معروفـاً﴾ (لقمان : ١٥).

ولكن سيد قطب يأمر بغير ذلك ، يأمر عضو التنظيم الإسلامى بألا يصاحب والديه إن هما عصياه عن الامتثال لفهمه الحزبى للدين الحنيف ، فإذا كان سـبحانه فى حالة شرك الوالدين ، بل فـى حالـة مجاهدتـهما لولدهمـا المؤمـن بـالله علـى أن يشرك بالله - لا يطعهما - فقط لا يطعهما ﴿ وصاحبهما فى الدنيا معروفاً ﴾ (لقمـان ١٥).

---

[1] - سيد قطب ، م ، ن.

فالله يأمر بمصاحبة الفتى المؤمن لوالديه المشركين بالمعروف مع إنهما مشركان بالله ويحضان ولدهما على الشرك بالله ، فكيف يكون لبشر ، حتى لو كان الرسول ﷺ وليس (السيد قطب) أن يحض عضو التنظيم الإسلامى التابع له عدم مصاحبة والديه عندما لا يمتثلان لفكره الحزبى [1]. قال تعالى :(قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات والأرض) (الأنعام : ١٤) وقال (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خيراً أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين) (التوبة ١٠٩).

والغريب أن "معالم فى الطريق" للشيخ سيد قطب مازال فعالا حتى الآن فهو المفكر الأكبر ، الذى قال أحد المعجبين به (إن العلماء والعباقرة والفلاسفة ورواد الفكر فى أى مجتمع هم أقزام بجواره) وهو كما تراه (زينب الغزالى) من أعظم الكتاب الإسلاميين.

إن السيد قطب هو واضع أسس الإسلام الاحتجاجى ، ومرجع لكل الجماعات التى خرجت من عباءة الإخوان المسلمين ،وواضع العنف ضد النظم السياسية الحديثة ، ويعتقد محمد الجابرى أن سيد قطب (هو حفيد السلفية المنتكسة إلى الوراء) الذى كان بتأليفه لهذا الكتاب* وهو مسجون أبلغ الأثر على مجمل الأفكار الواردة فيه ، فعنده المجتمع نوعان : إسلامى وجاهلى - ذلك المجتمع الجاهلى الذى أصدر قرار إعدامه" - ويضيف رفعت بهجت :"ويأتى فى السياق الارتجالى نفسه كتاب "الفريضة الغائبة" لمحمد عبد السلام فرج مؤسس تنظيم الجهاد ، عام ١٩٧٦[2].

الغاية تبرر الوسيلة عند النظم السياسية وعند التنظيمات الإسلامية :

إن شر ما تقع فيه الزعامة سواء أكانت زعامة حكومية أم زعامة معارضة فى إطار الدستور أو النظام السياسى الحاكم وقوانينه أم فى إطار المعارضة الثورية

---

[1] - راجع : سيد قطب ، معالم فى الطريق.

* يقصد (معالم فى الطريق) للسيد قطب.

[2] - رفعت بهجت ، ذلك الثائر الردىء الطيب (مجلة القاهرة) العدد ١٣٨ - مايو ١٩٩٤ (القاهرة الهيئة المصرية للكتاب) ص ١٢٢- ١١٣.

المرتبطة بالفكر الدينى أو بالفكر الفلسفى الاقتصادى والاجتماعى الوضعى هو إيمانها بالمبدأ "الميكيافيلى" الشهير" الغاية تبرر الوسيلة".

إن تطبيق هذا المبدأ لهو الجاهلية بعينها ، ذلك لأنه يستلزم تنحية المبادئ، والمسلم الذى ينهى عن مبادئ القرآن والسنة والإجماع لن يبقى على شئ من إسلامه فإذا كانت جماعة من تلك الجماعات الإسلامية تزعم أن تطبيق الشريعة الإسلامية هو رائدها وهدفها الأسمى من تكوينها وتنظيمها ؛ ثم سمحت لنفسها على مستوى الأفراد أو المستوى الجماعى العام بالسعى وراء فكرة وتطبيقها أن تتخذ كل الوسائل وأى الوسائل من أجل تحقيق أهدافها فقد صار بينها وبين الشريعة الإسلامية بوناً شاسعاً.

ولنتأمل قول الله عز وجل :﴿ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون سجداً ﴾ (الإسراء : ١٠٧).

﴿ وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيراً للكافرين ﴾ (القصص : ٨٧).

وفى هذه الآيات بطلان لدعوى الإرهاب بسم الدين لأن الذى يفهم أن الكتاب قد نزل لمقصد آخر نقيض للرحمة بعباد الله فقد جهل مغزى النزول ، وصار كمن يأمر الناس أو يجبرهم على فعل لم يؤمر به ولم يفهمه ، فكيف يأمر الناس من لم يتفقه هذه الآيات الكريمة ؟! إن إمرءً اتخذ كل وسيلة إلى غاية حتى لو كانت تطبيق الشريعة الإسلامية واقع فى ضلال وغارق فى بحر الجاهلية المظلم ، لأن الإسلام والشريعة وهى الحكم بما أنزل الله فى ظل مجتمع إسلامى غاية عظيمة ونبيلة هدفها الرحمة فى ظاهرها كما فى باطنها لذلك لابد أن تكون وسائلها من جنسها عظيمة ونبيلة وسامية.

وليس فى ترويع الآمنين حتى ولو كانوا غير مسلمين عمل نبيل وليس فى قتل الأطفال والنساء شىء من هذا والرجوع إلى ما أمر به الرسول ﷺ عند الحرب من عدم قتل النساء والأطفال ثابت فما البال والتنظيمات الإسلامية المعاصرة تفعل ذلك باسم الإسلام ؟؟

وكيف نقدر على الريادة فى عالمنا المعاصر ونحن فى سبيل غايتنا نستحل كل شىء ، الأرحام والأعراض والأموال بل الأنفس ، كيف نحكم الناس وفق الشريعة الإسلامية ونحن لسنا أمناء على أنفسنا ولسنا أمناء على غيرنا والله يقول :
﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإن حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ (النساء : ٥٨).

وهل تصبح هناك أمانة فى ظل مبدأ الغاية تبرر الوسيلة ، هل يصبح هناك عدل فى ظل هذا المبدأ اللاأخلاقى ؟ لذلك نقول عن تمحيص للرأى إن التنظيم الذى يسلك مسلك (الغاية تبرر الوسيلة) هو تنظيم جاهلى وليس إسلامياً بالقياس نفسه الذى يقيس به "سيد قطب" وطبق المفهوم الذى استعرضناه فى بداية مبحثنا حول الجاهلية فى اللغة وفى المصطلح الدلالى :

ومن ثم فلا ريادة لفكر جاهلى

"إن الريادة المأمولة للمفكرين والفلاسفة المسلمين فى عصرنا هذا إنما تحتم عليهم أولا ضرورة التفاعل مع علوم العصر ومدارسه الأشهر والأعظم تأثيراً فى الإنسان المعاصر".

(النسبية والنفعية والوضعية والتحليل النفسى والبنائية والتفكيكية) لاشك هى المذاهب والاتجاهات الفكرية التى صبغت عصرنا بألوانها ونسجت عقول ووجدانهم أبنائه بخيوطها الفنية والأدبية والسلوكية المشتبكة المصطرعة، ناهيك عن علوم الاتصال والتكنولوجيا .

ولاشك أيضا أن أبناء أمتنا العربية الإسلامية قد صبغوا بصبغة العصر ونسجت عقولهم وعواطفهم بذات الخيوط الفكرية .. وكل من يزعم غير ذلك غير مجانب للحقيقة مديرًا ظهره للواقع يدفن رأسه فى الرمال. ولا مراء أن مثل هذا المفكر لقمين بأن يصف دواء لغير الداء "ويضيف مهدى بندق قائلا :

"ومن البدهى ونحن نواجه ثقافات معاصرة لابد لنا من مواجهتها - أن نعى أن المواجهة تفاعل جوهره القدرة على العطاء والقدرة على الأخذ فى آن.

فأما العطاء فلا نزعم أننا قادرون عليه قبل أن نستخلص أنفسنا من ضباب الحاضر بكل ما فيه من تشر ذم وتقوقع وأنانية سياسية وتخلخل فى بنيان

المجتمعات العربية والإسلامية مما يؤدى بنا إلى الوقوع فى براثن القوى المتربصة من كل جانب وعلى رأسها رأس جسر الإمبريالية الغربية والشرقية جميعاً ، الصهيونية الجامحة تمثل بجموحها صليبية جديدة وتنذر بجموحها الآنى بطمس ملامح ثقافتنا وضياع سمات شخصيتنا العربية والإسلامية إن لم نقل طمس وجودنا وضياع ذاته"[1].

وكذلك يهدد الإرهاب المنظم باسم الإسلام ثقافتنا وحضارتنا ويضعف الإسلام ويهز صورته أمام العالم ويعطى الأعداء ذريعة لضربه

فالاغتيالات السياسية التى بدأت فى مصر على يد شباب الإخوان المسلمين قد هزت صورة الإسلام ووصمته بالعنف دون أن تكون للإسلام فى ذلك "شروى نقير". وكذلك فعلت ومازالت تفعل "القاعدة" فى أنحاء متعددة من العالم .

"لقد اشترك بعض متطوعى جماعة الإخوان المسلمين فى الحرب ثم عادوا إلى مصر بعد أن تدربوا على القتال واستعمال السلاح فى الوقت الذى كدست فيه الجماعة السلاح بحجة الدفاع عن فلسطين وما أن انتهت الحرب حتى سعى الإخوان المسلمون إلى الاستيلاء على السلطة فقاموا بكثير من حوادث النسف والاغتيالات مما أدى إلى اختلال الأمن فقرر النقراشى حل الجماعة خاصة وأن الملك فاروق رأى فيهم مصدر خطر على حياته وردا على ذلك قام أحد شباب الإخوان باغتيال النقراشى . وبذلك طويت صفحة أحد الساسة المصريين البارزين فى العهد الملكى"[2].

وإذا كان فى ممارسات الحكومات الإسلامية من مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة) شىء فإنها تستحق أن توسم بالجاهلية.

ونخلص مما تقدم إلى أن الجاهلية أشبه ما تكون بطريق ملئ بالأوحال ونحن نسير فيه منذ أن مكن المعتصم العباسى الأتراك من الدولة الإسلامية بديلا عن الفرس الذين استشرى نفوذهم على أيام أسلافه من الحكام العباسيين وخاصة الخليفة المأمون ، فمنذ الخلافة التاسعة للدولة العباسية الأولى (خلافة المعتصم) والأمة

---

[1] مهدى بندق ، الفكر الإسلامى بين الأصالة والمعاصرة ، مقال منشور فى مجلة مصرية مجهولة الاسم.

[2] أحمد عبد الرحيم مصطفى ، الإخوان ومصرع النقراشى باشا ، (الهلال ، يوليو ١٩٩١) ص٣٨-٤٠.

الإسلامية تسير فى طريق ملئ بـالوحل لابد يصيبـه الـرذاذ ويتعلـق بثيابـه النظيفـة الطاهرة الكثير من الأوحال.

فالجاهلية مثل الرذاذ الذى يصيب الثياب النظيفة الطاهرة ، ومـن ثـم فـإن القول بجاهلية الدولة الإسلامية الحديثة أو القول بجاهلية التنظيمات السياسية باسم الدين الإسلامى فيه الكثير من الصواب - فلا يشهر أحدهما بـالآخر لأننـا "كلنـا فـى الهم شرق" كما يقول شوقى.

التنظيمات السياسية الإسلامية بين فكرة التعايش والتعاقب :

إن الإسلام بوصفه الدين الخاتم للعالمين فإنه يتعاقب فى الأجيال منذ البعثة المحمدية إلى ما شاء الله حيث يرث الله الأرض وما عليها.

وهذا التعاقب يتحقق بقوله تعالى : ﴿ إنا نحـن نزلنـا الذكـر وإنـا لـه لحافظون ﴾ (الحجر: ٩) وباتباع المسلمين لتعـاليم الله وإقامتـهم للعـدل فـى إعمـارهم للأرض ، والعدل مع النفس ، والعدل مع الغير ؛ وذلك لا يتحقق دون دليل ومرشد.

فإذا كان الرسول (صلعم) هو الدليل والمرشد للمسلمين فى حياته ؛ فـإن فـى كتاب الله وسنة رسوله (صلعم) والإجماع مرشدا ودليلا.

قال ﷺ (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلـوا بعـدى أبـدا ... كتـاب الله وسنة رسوله).

غير أن فكرة (التعاقب) تصطدم دائما بفكـرة (التعـايش) لأن (التعـاقب) هـو استمرار فعالية الأصول فى الحاضر ، تأثـير الأصـل فـى الفـرع ، غـير أن التأثـيرات الأجنبية أو الداخلية ، والتأثير المادى فى المعنوى والحاضر فى الحاضر يعطل تأثـير الأصول فى الفروع ما لم تحتط الأمة لذلك وتوازن بين الأصالة والمعاصرة.

ولقد مر المجتمع الإسلامى بمؤثرات دخيلة عبر تاريخه الطويـل إلى جـانب ما اعترى بنيانــه مـن تصدعـات داخليـة ، يقـول السـيد حنفـى "لقد أدت ظـروف الضعف التى أصابت الدولة العثمانية إلى فجوات تسللت منها الأفكـار الوضعيـة فـى ظل الصراعات بين القوى العلمانية وبين تيارات الفكر السنى وتيارات الفكر الشـيعى والتيار الصوفى من ناحية أخرى.

ويمكن أن نضيف إلى كل ذلك الوضع الفروق بين الصفوة البيروقراطية من علماء الدين الذين أضفت عليهم الدولة هالة من الامتيازات ، وصلت إلى مكانة النبالة ، مما يوحى بأنها أصبحت تحتل مكانة مهمة داخل البناء السياسي ، هذا مقابل الوضع المتدنى لعلماء الدين الفقراء من الشيوخ والدراويش".

ويضيف السيد حنفى إلى كل ذلك أسباباً أخرى قد تضافرت مع سابقتها فى إضعاف الدولة الإسلامية فى ظل العثمانيين "فقد كان تعدد الطوائف الدينية الأرثوذكسية واليهودية ، وتعدد الأقاليم والأجناس وتقسيم العمل الحرفى قد أضعف الدولة ونظامها الاقتصادى ، والمعايير القيمية للولاء السياسى لها"[1].

وهو يرد ذلك التراجع فى فكرة التعاقب الأصولية الإسلامية على طريق الهدى والسنة إلى الخلافة العثمانية بقوله : "لقد واجه المجتمع الإسلامى فى ظل بردة الخلافة العثمانية ؛ انتشار الجهل بالدين وجمود فكر الكثير من علمائه ، وانطلاق العلمانية فى تحديث التنظيم ، وانطواء المؤسسات الدينية فى نطاق دساتير البيروقراطية مما أفرغ مهمة الدين من الضبط الاجتماعى بشكل كلى"[2].

ونخلص من جملة قوله إلى أن فكرة (التعاقب) عند المسلمين قد تعطلت بسبب من فكرة (التعايش) بدءا بالتغلغل التركى فى كيان الدولة العباسية ووصولا إلى العصر الحديث ، حيث الضعف الداخلى للأمة الإسلامية من حيث النظام ومن الضبط الاجتماعى الدينى ، والانقسامات الحزبية الدينية للمسلمين أنفسهم ، وطبيعة التكوين الاجتماعى حيث الطوائف الدينية الأخرى وتداخلها فى المجتمع العربى الإسلامى بالإضافة إلى انشطار الدولة الإسلامية الكبيرة فى دويلات بدءا من العصر العباسى الثانى ، حيث الإخشدية فى مصر والحمدانية فى الشام والبويهية فى فارس وما يليها من بلاد الفتوحات الإسلامية ثم الفاطمية فى المغرب ونفوذها بعد ذلك كله على بلاد مصر والشام والجزائر وانتهاء بالخلافة العثمانية المريضة والسيطرة الاستعمارية على البلاد العربية الإسلامية فى المشرق والمغرب ثم محنة

---

(1) السيد حنفى عوض ، فى قضايا الفكر ومشكلات المسلمين ، (الرياض ، دار المعراج للنشر والتوزيع ، ١٤١٣هـ) ص ١٧-١٩.

(2) السيد حنفى عوض ، م ، ن.

تقسيم الوطن العربى الإسلامى فى دويلات ضعيفة وزرع (إسرائيل) كشوكة فى جسم العالم العربى الإسلامى بعد فشل الحروب الصليبية فى العصور الوسطى.

ففى التعايش فرط المسلم فى الأصول فذبلت فكرة (التعاقب) مما شجع أصحاب فكرة التعايش والتعاقب "السان سيمونية" الأوروبية : De . Saint Simonism* على اختراق الفكر العربى الحديث عن طريق التسلل إلى مصر فى عصر نهضتها فى اتجاه التحديث على أيام "محمد على باشا" يقول السيد حنفى : "والواضح أن الخطوة الأولى التى قام بها اتباع "السان سيمونية" كانت عن طريق العمل الميدانى فى مصر وذلك بوضع خبرتهم الفنية تحت إمرة "محمد على" وكان حافزهم حافزا إنسانيا ، ليجعلوا من وصل البحرين المتوسط والأحمر ببعضهما وسيلة للتقارب الثقافى والاقتصادى والأخلاقى بين الشعوب وتحويل مصر إلى بلد يعتمد فى نموه على الصناعات ومنتجاتها ، واستغلال مصادر الطبيعة ، بدلا من استغلال الإنسان لأخيه الإنسان"[1].

بالإضافة إلى دعوتهم لتحرير المرأة العربية وحضها على التعليم والتبرج عملا بالمدنية وتطور فكرهم بعد سان سيمون على يد كونت Conte حتى وصل إلى الحض على عدم التقيد بالعادات والقيم والحض على الإباحية بعد ذلك.

ونخلص من ذلك أيضا إلى أنه قد يكون من الطبيعى أن تأتى حركة البعث أو الصحوة الإسلامية كرد فعل لكل تلك التفاعلات بهدف تغليب فكرة التعاقب الأصولى الإسلامى على فكرة التعايش ، من هنا ظهرت على المستوى الثقافى فكرة الأصالة وإحياء التراث فى مقابل فكرة المعاصرة من أجل خلق نوع من التوازن الثقافى والفكرى بين القديم والحديث"[2].

---

* نسبة إلى كلوذ هنرى روفروى كومت سان سيمون ١٧٤٦-١٨٢٥.

Claud Henari De Rouvroy Comt De Saint Simon.

الذى تصور نفسه ملهما برسالة دينية تختلف عن ديانة المسيحية ووضع مبادئ أفكاره لهذه الديانة فى كتاب عنوانه "المسيحية الجديدة" حدد فيها رسالته لقيادة البشر نحو السلام الاجتماعى فى إطار دولية الشعوب ، وذلك امتداد دون شك لفكر أرسطو الداعى إلى توحيد العالم تحت راية الفكر اليونانى وربما جاءت دعوة الأفغانى - بعد ذلك - انطلاقا من فكرة سان سيمونية أو ضدها.

[1] Cole . G. D. H, A History of Socialist Thought Communism And Social Democracy, London. 1961. P. 56.

[2] أبو الحسن سلام ، المهارات البحثية والكتابية ، م ، س.

وظهرت على المستوى الدينى صحــوة علمـاء المسـلمين انطلاقـا مـن الجـامع الأزهر ودعوة جمال الدين الأفغانى نحو توحيد المسلمين فى العــالم مـن خــلال ربـاط واحد أو عروة وثقى لا انفصام لها ، وظهور ذلك الفكر على شكل تنظيمى تمثـل فـى جهود حسن البنا فى تأسيس (جمعية الإخوان المسلمين) فـى ثلاثينيـات هـذا القرن وما يليها من عقود حتى مقتله وتسلم الهضيبى للمرشـدية الإخوانيـة وحـل الجمعيـة بقرار الثورة ، مع أنه قد سبق حلـها فـى عـهد النقراشـى الأمـر الـذى ترتـب عليـه مقتله.

ثـم مسلسـل محاكمـات قـادة الإخـوان مـرورًا بمشــاهد العنــف والإرهــاب والاغتيالات السياسية التى تدربوا على إتقان القيام بها من خلال التدريب العسكرى عبر المشاركة الوطنية فى العمليات الفدائية ضد الاحتلال الإنجليزى فى منطقة القناة وعبر المشاركة التطوعية فى حرب فلسطين* وفى حرب أفغانستان والبوسنة والهرسك وكوسوفو .

* وهو أمر تكرر من الجماعات الإسلامية الحاليـة حيث تدربوا فى حرب أفغانستان ضد السـوفييت وتدربوا فى باكستان وفى السـودان – وفق ما نشرته وأذاعته وسائل الإعلام المصرية والجزائرية.

الإخوان المسلمون بين الزعامة الدينية والزعامة السياسية:

الديـن شـــيء والسياســة غــيره

دعــوى نحاربـــها بكــل ســلاح

قــد جــاء طــه عــابدا ومجـــاهدا

دك الحصـــون وقــص كــل جنـــاح

لقد مثل هذا النظم طبيعة الدعوة التى قام الإخوان من أجل تحقيقـها فكـان صوت "عبد الحكيم عابدين" السكرتير العـام للجماعـة – زوج أخـت حسـن البنـا – والسبب الأساسى فى الانقسام بين أقطاب الجماعة*.

إنهم يسعون إلى السلطة السياسية وهم يرفعون الديـن شـعارا مسـتفيدين بمـا للديـن مـن تأثير علـى المسـلمين وعلـى الأخـص عامتـهم ومسـتفيدين مـن التدهـور الاجتماعى للبلاد فى ظل الفساد الذى استشرى فى المجتمع.

فإذا كان الرسول ﷺ قد بعث عابدا ومجاهدا من أجل نشـر عبـادة الله وفـق الهدى القرآنى ، وكان المجتمع مجتمعا جاهليا كافرا بالله ، فلا منـاص أمامـه بعـد فترة من بدء دعوته وتمكنها مـن أسـباب الـردع سـوى اسـتخدام القـوة ودك حصـون الكفار الذين يحاربون الإسلام ويعتدون على المسلمين ويستضعفونهم وبذلك يتمكن من قص جناحهم.

ولئـن استرشـد الإخـوان المسـلمون بمـا فعـل الرسـول ﷺ فإنـهم إنمـا يـرون المجتمع الذى هم فيه مجتمعا جاهليا وكافرا ويرون أنفسـهم المسـلمين دون المجتمـع ويرون أن مهمتهم فى المجتمع الحديث هى نفسـها مهمـة الرسـول ﷺ فـى مجتمعـه الجاهلى فى بداية الدعوة لذلك يقول شاعرهم :

"لنجريـــها دمـــاء جـــد ثـــائرة   وثـورة الحــق لا يــدرى لهــا أمــد

أو يرجــع الشــرع دســتوراً لأمتنــا   فليحـذر القـوم إنـى منـذر صعـد"[1]

---

* –حسب ما رأى رفعت السعيد فى كتابه (حسن البنا) قادة العمل السياسى فى مصر (٣) متى . كيف ... ولماذا ؟ – رؤية عصرية (القاهرة مكتبة مدبولى ١٩٧٧).

[1] عبد الحكيم عابدين ، بواكير ، مجموعة شعرية (مصر ، دار الصاوى للطبع والنشر) ص٤٠.

وهم فيما يذهبون إليه إنما ينطبق عليهم وعلى من سلك دربهم من بعدهم قول الرسول الكريم ﷺ (ما من نبى بعثه الله فى أمته قبلى إلا كان له من أمته حواريون من أصحابه يأخذون بسنته ويتقيدون بأمره ثم أنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يأمرون ، فمن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل) [1].

والشاهد على انطباق هذا الحديث الشريف عليهم يستلزم الوقوف عند كيفية نشأتهم وأساليبهم فى تجنيد الشباب، أساليبهم فى تحقيق أهدافهم مع تقويم أساليب هذه الجماعات – وكشف ما بها-.

كيفية نشأتهم :-

ويستلزم ذلك الوقوف عند مفهوم الزعامة الدينية ومفهوم الزعامة السياسية فى الإسلام.

وقد مرت بنا أمثلة عديدة فى تاريخنا الإسلامى حول مظاهر الزعامة الدينية والسياسية للرسول ﷺ وصحبه الذين خلفوه فكان الحزم مع التقوى والشورى فى زعامة الصديق (رضى الله عنه) وكان العدل وتوخى الشرع وخشية الله مع التواضع والزهد فى زعامة عمر (رضى الله عنه) وكان التقيد الحرفى بالشرع فى زعامة على (رضوان الله عليه).

وكانت بداية اهتزاز صورة الزعامة فى الإسلام بعد رسول الله ﷺ فى خلافة عثمان (رضى الله عنه) [2][3][4].

يقول السيد فهمى الشناوى عن زعامة عمر بن الخطاب وإيمانه بمبدأ حرية المسلم فى معارضة الوالى "يكفى من الحرية أنها خلقت قدرة الاعتراض بالحق فى طرف ثم قدرة الرجوع إلى الحق فى الطرف الآخر "ويضيف أنه "لولا هذا القدر من

---

[1] – رواه مسلم .

[2] – راجع الطبرى ، م س.

[3] – راجع : المقريزى ، م ، س.

[4] – راجع : ابن هشام ، م ، س ٩٧١/٢.

الحرية لضاعت القدرة لدى الطرفين ولضعفت المعارضة وأيضا الحكومة معا لتؤدى بعد ذلك إلى موت الطرفين معاً ، أى الأمة جميعاً"[1].

والسؤال الملح الآن : هل كانت زعامة الإخوان المسلمين زعامة دينية؟

وللإجابة على هذا السؤال نقف عند (ابن تيمية) زعيما دينيا وزعيما سياسيا فى عصر شبيه بعصرنا الحديث الذى نشأت فى ظله جماعة الإخوان المسلمين والجماعات المعاصرة التى تفرعت عنها فكان العالم الإسلامى مستهدفا من الغزو الأجنبى ومبتلى بولاته وبعلمائه فى السطوة والجهالة والتجهيل والانسياق الأعمى من قبل العامة وسيطرة الخرافات والمعتقدات الفاسدة المنافية للإسلام - كان عصرا جاهليا بقياس الجماعات الدينية وبقياس مفكرهم الأول سيد قطب - فكيف تمثلت زعامة ابن تيمية للعالم الإسلامى على المستويين الدينى والسياسى؟!

هل شكل تنظيما مسلحا لقتل الوزراء والمعارضين كما فعل أعضاء الجماعات الإسلامية فى مصر وفى الجزائر هل قتل المسؤولين والأبرياء والأطفال والنساء دون ذنب جنوه هل قتل الأجانب المسالمين ؟ لا ولكنه واجه الفساد فى العقائد وفى السلوك بالفكر الإسلامى وهو لم يذهب إلى استحلال دم المعارضين والمناوئين والمفسدين وأموالهم ونسائهم ولكنه استحل فكرهم فواجهه بفكر الإسلام وفق كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ثابتا على المبدأ دون خوف أو تطرف.

أما الإخوان المسلمون فقد واجهوا خصومهم بالقنابل والرصاص ولم تكن لهم مصداقية الثبات على مبدأ إذ سرعان ما تراجعوا عن مواقف سبق إعلانهم لها : فإذا كان شعارهم وشعار سكرتيرهم العام يدعو لإراقة الدماء والثورة حتى يتحقق (الشرع دستوراً لأمتنا) فإنهم فى "مؤتمرهم الرابع" سرعان ما ناقضوا هذه الدعوة :

"يعقد الإخوان المسلمون مؤتمرهم الرابع لهدف وحيد هو الاحتفال باعتلاء جلالة الملك العرش ، ولأول مرة أيضا تبرز فى الميدان جوالة الإخوان المسلمين لتلعب أول أدوارها المهمة كقوة للنظام والأمن"[2].

---

(١) - السيد فهمى الشناوى "الزعامة بين الإبداع والتدمير" (الهلال) نوفمبر ١٩٨٣ الموافق ١٦ محرم ١٤٠١ هـ - صـ٢٧.

(٢) - إسماعيل أحمد الشافعى : الإخوان المسلمون ، دعوة البعث والإنقاذ - مقتطعات من رسائل وخطب المرشد العام ، (بنى سويف - مصر - مطبعة العميرى) صـ٣.

ثم موقفهم من الدستور المصرى حيث هاجمه البنا ثم تراجع عن الهجوم ورأى إمكان إصلاح بعض بنوده أو ترقيعها لتصبح موافقة للشريعة كما رأى العيب فى التطبيق ثم تراجع مرة ثانية لينفى مطاعنه عليه وينفى سعى جماعته لإهاجة العامة لأن "الثورة فتنة" ، وأن الفتنة فى النار"[1].

فالتلون السياسى فى المواقف وهو عمل غير مبدئى وهو طارد للزعامة ونـاف لمفهومها يحدث ما بين المؤتمر الرابع للإخوان المسلمين والمؤتمر الخامس نـاهيك عن أسلوب النفاق السياسى ، حيث يعقد المؤتمر الحزبى الرابع للجماعة - فقط - للاحتفال بجلوس الملك على العرش - إن المؤتمر الحزبى شىء خطير فى مجال العمل السياسى وانعقاده يكون لأمور جسام كإقرار برنامج عمل أو تعيين زعيم أو خلع قيادة أو وضع خطة إستراتيجية للمواجهة أو الانتخابات والترشيحات.

وتلك هى ضوابط السياسات الحزبية حتى لا يكون جواب أحد أعضاء المكتب السياسى للحزب أو الجماعة عند سؤاله أمام المحكمة عن طبيعة النظام الذى يخطط له التنظيم الإخوانى على النحو الذى جاء فى كلام (منير الدلة) ردا على سؤال النائب العام :

"الإسلام يضع القواعد العامة ، والحكم يبقى إسلامى إذا كان فيه شورى بأى صورة من الصور ومفيش صورة محددة ، وما دام قائما على العدالة ومسؤولية الحاكم عن أعماله الفردية هذه المعانى لو توفرت يبقى النظام إسلامى ... وإذا استكمل الوضع الدستورى فى الوضع الحالى أى لما يستكمل نظام الشورى بإعادة الحياة النيابية يبقى الوضع الإسلامى"[2].

ومعنى هذا أنه يجوز قيام عدد من الأنظمة داخل البلد الواحد وكلها يحق لها أن تحكم باسم الإسلام ، وربما قسمت هذه الأنظمة البلاد فى عدد من المقاطعات فى داخل البلد الإسلامى الواحد وهنا تكون بداية الحرب الأهلية لا محالة.

---

(1) - حسن البنا ، رسالة المؤتمر الخامس م ، س.

(2) - محكمة الشعب ، م ، س ١٠٢٨/٦.

وهذا ما لاحظه رفعت السعيد على نص إجابة الشاهد (منير الدلة) حيث يعلق قائلا : "ونتوقف أمام أكثر من علامة استفهام ترد فى شهادة عضو مكتب الإرشاد العام:

– لا نظام إسلامى واحد محدد بل "يمكن أن يوجد داخل هذه الخطوط عدة أنظمة تبقى كلها إسلامية".

– إن" اختيار نظام معين وتسميته أنه نظام إسلامى فكرة دقيقة"[1] . كذلك يعلق رفعت السعيد معترضا على وصف الشاهد عضو مكتب الإرشاد العام (الدلة) لنظام الحكم المصرى فى عام ١٩٥٤ حيث قوله إن :

–" نظام الحكم الذى كان قائما فى مصر عام ١٩٥٤ نظام إسلامى فقط تنقصه الشورى".

يعلق السعيد : "ولعله من حق الجماعة علينا أن نتفحص هذه الأفكار فلقد تكون كلاما أرسل من سجين رهن القيد ، كما اعتاد الكثير من الإخوان أن يفعلوا فى اعترافهم .. ولهذا فلعله من الضرورى أن نلتمس حقيقة (النظام الإسلامى) الذى دعى الإخوان المسلمون إليه"[2].

ونحن أيضا نحاول تلمس حقيقة ذلك الشعار الناظم عند أصحابه وعند (أبى الأعلى المودودى) لأن ما طرحه المودودى هو نفسه الذى طرحه السيد قطب.

يقول حسن البنا فى رسالته الحاسمة إلى الزعماء المصريين فى عام ١٩٣٨" لابد من جديد فى هذه الأمة هذا الجديد هو تغير النظم المرقعة المهلهلة التى لم تجن منها الأمة غير الانشقاق والفرقة .. هو تعديل الدستور المصرى تعديلا جوهريا توحد فيه السلطات".

ثم إنه يتوعدهم فى حالة رفض ذلك بالجهاد : فإذا أبوا فجاهدوهم به جهادا كبيرا"[3].

---

(١) – رفعت السعيد ، م ، س ص ٨٩.

(٢) – رفعت السعيد . م ، ن، ص٨٩.

(٣) – حسن البنا : نحو النور ١٩٣٨.

ولا أدرى ما يقصده بأداة الجهاد هل يقصد (كتاب الله) فإذا كان هذا قصده فهل يجوز أن يرفع الزعيم المبدئى - لأى اتجاه - شعارين معا يطالب أحدهما بتعديل الدستور ويطالب الآخر وهو الأساس فى دعوته بتطبيق الشريعة الإسلامية.

وإذا كانت سلطات أى نظام حديث هى السلطة التشريعية والسلطة القضائية والسلطة التنفيذية ، فإن فى توحيدها نفيا لها وإعمالا للنظام الشمولى ، فالحاكم أو مجموعة القيادة السياسية للبلاد هى التى تشرع وهى التى تسن القوانين وهى التى تنفذها أيضا وذلك هو النظام الشمولى نفسه الذى طبقته الدول الشيوعية والدول التى تحكمها العسكرتارية.

وذلك لن يكون مطلب البنا دون شك فما هو مقصده؟

إذا فالشيخ قصد توحيد السلطة السياسية والسلطة الدينية وهو أيضا أسلوب تلفيقى إن تم العمل به لأن الإخوان المسلمين لا يقصدون غير انفراد تنظيمهم بالسلطة الدينية والسياسيون الحاكمون حينذاك هم السلطة الوضعية.

ولو أن الأمر قد تم وفق هذا التصور لاستحال سير النظام خطوة واحدة فى سبيل الحكم ،وذلك لأن الصراع سوف يكون قائما بين فكرين متضادين : الفكر الإسلامى المفسر للشرع والفكر الوضعى الحكومى وهرمه الإدارى والتشريعى.

ثم أن ما ينطوى عليه معنى التهديد بالجهاد بالقرآن يعنى حتما الصدام المسلح فالمسلم يجاهد الكفر والجاهلية باليد واللسان والقلب وذلك أضعف الإيمان.

إذا فاتهام الإخوان المسلمين للمجتمع ولنظامه بالجاهلية ماثل أيضا نصب أعين زعيم الإخوان المسلمين ونصب أعين تابعيه.

يقول ميتشل Mitchell فى دراسته عن مصر فى مرحلة ما قبل ١٩٥٢ : إن كل هذه الأقوال التى يقولها زعماء الإخوان "كانت مجرد ستار من الدخان يخفى سعى الإخوان للانقضاض على النظام ذلك أن أحدا لا يختلف على أن النظام المطبق فى مصر لا يجعل منها دولة إسلامية"[1].

ويضيف ميتشل : "دعا البنا إلى النظام الإسلامى ، لكنه استخدم هذا التعبير استخداما مطاطا وأحيانا عنى به الدولة الإسلامية ، وعلى أية حالة فقد قال

---

[1] - عن رفعت السعيد ، م ، س Mitchell P. P. 236

البنا وأكد الهضيبى من بعده وكذلك عدد من كتاب الإخوان أن النظام البرلمانى القائم فى مصر يمكنه إذا ما أدخلت عليه بعض إصلاحات ، يمكنه أن يلبى المتطلبات السياسية للدولة الإسلامية "ويعلق على ذلك بقوله "إذا كان هذا صحيحاً فإن النشاط السياسى للإخوان المسلمين إنما يهدف إلى شىء آخر غير الإطاحة بالنظام القائم"[1].

أولاً - نسق إرهاب طائفة بطائفة أخرى :

يقول على الشوباشى : "الإيديولوجيا الدينية هى وسيلة من الوسائل التى تستخدمها أو ترجع إليها بعض الفئات الاجتماعية لتعطى لنفسها وجها أيديولوجيا للتمرد.

كما تلجأ إليها السلطات كذلك لتعطى لنفسها وجها أيديولوجيا للبقاء وغطاء وتبريرا لاستبدادها بهذا الشكل والمعنى دائما ما يتم توظيف الدين منذ ظهر على سطح الأرض وحتى الآن ولذلك أيضا تختلف المرجعية لدى كل فريق فيجد نص محدد ، أو فقه معين رواجا لدى فرقة ، ولا يجده لدى الأخرى وذلك نتيجة لاختلاف المشارب والتوجهات والمصالح الاجتماعية"[2].

ثم إنه يلقى بتبعة إعادة توظيف الدين وإحياء الجماعات المنبثقة عن الإخوان المسلمين على السادات إذ يضيف "وإذا أردت أن نتحدث عن توظيف الدين لخدمة أهداف وتوجهات محددة فى مصر فلن نجد خيرا من السادات كوسيلة إيضاح ، فهو أول من بذر هذه البذرة فى مرحلتنا هذه ، وأول خيوط التواطؤ والتهاون يبدأ من هذه المرحلة الساداتية"[3].

ولكن لماذا فعل السادات ذلك ؟ ولماذا قبلت الاتجاهات الدينية الحزبية لعب هذا الدور وهى تعلم أن السادات يوظفها لتحقيق أهدافه المرحلية فى مواجهة واقع سياسى ويرغب فى الخلاص منه ؟! وإجابة ذلك عند الشوباشى أيضا يقول: "فحين أراد السادات أن يحرر نفسه من المرحلة السابقة وأن يتخلص من نفوذ الحقبة الناصرية "الاشتراكية" وهيمنتها الإيديولوجية نظر السادات حوله فلم يجد

---

(1) - ميتشل ، م . ن . Mitchell, P. 290

(2) - على الشوباشى ، م ، س ، صـ١٠٥.

(3) - على الشوباشى ، م ، ن صـ١٠٥.

سوى خلق أيديولوجية بديلة تتصدى للإيديولوجيا القديمة ، ولم تكن هذه الإيديولوجيا إلا خليطا من الليبرالية الشكلية والإسلام ، فرفع شعار العلم والإيمان واستحضر بعض رجال الدين من الصف الثانى والثالث وأجلسهم فى التلفزيون وساعد وحفز وشجع تلك التيارات ليستخدمها فى ضرب القوى المناوئة له من الاشتراكيين والناصريين والديمقراطيين والذى كثيرا ما كان يحلو له أن يصفهم بالملاحدة "[1] ولقد أدى ذلك الذى فعله السادات إلى مواجهة اتجاه سياسى متطرف عقائديا بالنسبة لحكمه أو لأسلوب حكمه باتجاه سياسى متطرف عقائديا بالنسبة لحكمه أو لأسلوب حكمه أيضا ، وحين نجح فى إزاحة الاتجاه الاشتراكى والناصرى بالاتجاه الدينى الإسلامى برزت له مشكلة صدام الاتجاه الدينى المتطرف إسلاميا مع الاتجاه الدينى المسيحى فبرزت له على سطح الحياة السياسية والاجتماعية الفتنة الطائفية بين المسلمين والمسيحيين فى مصر ،. ويجلى مصطفى الفقى تلك المشكلة بقوله : "إننا لن نلحظ مشاكل طائفية لها وزنها فى الخمسينيات والستينيات وسبب هذا أن عبد الناصر كان يحكم بمنطق وطنى مجرد وليس دينيا أو طائفيا والأقلية تقلق للغاية عندما يتلون الحكم بشكل دينى"[2].

وهو يلقى بتبعة هذا التفجر الطائفى الدينى على عاتق السادات الذى سعى إلى ردع الاتجاه الاشتراكى والناصرى باتجاه طائفى إسلامى ، ولما نجح فى ذلك تفجرت أمامه إمكانات الطائفية الإسلامية فى مواجهة الطائفية المسيحية ، لأنه تطرف فى استخدام حقه بوصفه حاكما للبلاد فى صنع توازنات سياسية تحفظ نظام حكمه أو تؤدى إلى إعادة ترتيب التنظيم الهرمى السياسى لإدارته وفق فلسفة حكم جديدة مغايرة لفلسفة حكم سلفه (عبد الناصر) وهذا حقه ولكن التطرف فى طلب الحق يؤدى إلى ضياع الحق لأنه عندما تطرف ضاع منه التحقق ، ومن ثم ضاع الحق"[3].

---

(1) – الشوباشى ، م ، ن . صـ١٠٦.

(2) – مصطفى الفقى ، الإسلام فى عصر كتغير القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣ ، صـ٨٨، ٨٩.

(3) – أبو الحسن سلام ، الإيقاع فى المسرح المصرى (جدة ، مطبعة الفردوس ١٤١٥هـ ١٩٩٤ صـ٧٧.

يقول الفقى :"جاء عصر الرئيس السادات . الذى اتجه إلى دعم بعض التيارات الإسلامية فى مواجهة اتجاهات ناصرية ويسارية معروفة .. فعل هذا بوعى وبدون وعى ، ولكننا بدأنا نشهد أحداث الفتنة التى تبدأ فى بعض الأماكن ،' ثم تهز مشاعر المواطنين فى أنحاء الوطن"[1].

غير أن الفقى وهو يعرض للأسباب المباشرة للإرهاب الطائفى يستعرض الأسباب المؤدية إلى العنف السياسى فيوجزها فى خمسة أسباب رئيسية :

١- التأثيرات الخارجية.

٢- الثارات التاريخية.

٣- المتاعب المذهبية.

٤- المشاكل السياسية.

٥- الاضطرابات الاقتصادية.

بينما يحدد من أسباب الفتنة الطائفية سببين أولهما سياسى والثانى نفسى وهما :

١- ضعف حركة الأحزاب السياسية على الساحة.

٢- أزمة الثقة التى خلقها مناخ التطرف بين الجانبين.

"ولكن مناخ التطرف الذى بدأ يبرز على الساحة منذ بداية السبعينيات والاستغلال غير الذكى وغير السليم للدين فى السياسة أورثتنا الآن تركة ثقيلة معروفة للجميع .. وهذه التركة تخلط بين سماحة الإسلام وعظمته ورعايته للاقليات وحفاظه عليها وبين ذلك الاستعلاء والغطرسة والدعوة بالعنف وتكفير الناس وتجهيل أهل المعرفة... إذا كان الأمر كذلك فإن هذا المناخ بما يخلقه من مخاوف يغذيها الإعلام الغربى ويبالغ فى تصويرها فلابد أن تخشى الأقلية وأن تخاف .. والأمر عندى أن الخوف لا يتصل بالأقلية وحدها ، إن الخطر الداهم يحيق بالجميع"[2].

وهذه كلها تمثل صورة النسق الإرهابى الماثل فى الصراع السياسى بهدف تغيير نسق سياسى آخر وهو ما فعله السادات حيث غير نسق سياسى اشتراكى

(1) – مصطفى الفقى ، م . ن ، ص٨٩.

(2) – الفقى ، م . ص٦١-٦٢.

ناصرى بنسق سياسى غير اشتراكى وغير رأسمالى أيضـا متسـترا* وراء شـعار القـانون وشعار الدين أو شعار العلم والإيمان وسيادة القانون لتصفية المناوئين لسياسته.

لذلك برز فى عهده أسلوب الإرهـاب الفكـرى الـذى كـان التربـة الصالحـة لاستزراع أو إعادة بذور الفكر الإرهابى واستنباتها من جديد فى تربـة السـبعينيات ، ورعايتها حتى تثمر ثمارا دموية وقنابل يحصدها السادات نفسه فى موكـب نصـره ، العسكرى فى السادس من أكتوبر ١٩٨١.

ثانيا - النسق الإرهابى الفوضوى :

من هنا انطلق تيـار النسـق الإرهـابى ليـس بوصفـه نسـقا سياسـيا أو نظامـا سياسيا يسعى بـالرعب العلنـى إلى مقـابل يتمثـل فـى طلـب تغيـير النسـق النظـامى البرلمانى الحاكم فى مصر بالعنف والإرهاب إلى نسق سياسى إسلامى سـلفى – مثلمـا كان جماعة الإخوان المسلمين – ولكـن بوصفـه نسـقا إرهابيـا سـلفيا فوضويـا – غـير معترف به قانونا على غير حـال جمعيـة الشـبان المسـلمين – وهـو فوضـوى لأنـه لم يحصر عملياته الإرهابية ضد رجال السياسة والحكم ، ولكنه استهدف الناس جميعا بما فيهم من أطفال أو نساء أو رجـال مـن المصريـين ومـن الأجـانب واسـتحل أفـراد الناس أرواحـا وأمـوالا وأعراضـا علـى النحـو الـذى يشـهده المجتمـع المصـرى* فـى السنوات العشرين الماضية .

وليس هناك شك فى أن (معالم فى الطريق) للسيد قطب هو الفـاعل الفكـرى الحزبى لكل أنواع الاستحلال على أساس نظرته للمجتمعات العربيـة كلـها بوصفـها مجتمعات جاهلية – فى نظره – كما أن (نظرية الإسلام السياسـية) [1] لأبـى الأعلـى المودودى هى المنظمة لفعلهم الإرهابى وهى المثل الذى يتخذونه أو يحـاولون تحويلـه من المرحلة النظرية إلى المرحلة التطبيقية وكذلك محمد قطب وكتابه (شـبهات حـول الإسلام).

---

* – رأس مالية طفيلية – غير منتجة.

* وهو نفسه ما يحدث فى الجزائر وفى المغرب وفى البحرين وفى اليمن وفى أمريكا وتركيا واليابان وألمانيا وبريطانيا وفرنسا وراوندا والباكستان وروسيا.

[1] – أبو الأعلى المودودى ، نظرية الإسلام السياسية ،ط٣ (دمشق ، دار الفكر د/ت).

فلقد نبه المودودى إلى قضية (الحاكمية) [1] تلك التى تضعها الجماعات الإسلامية كلها أساساً محورياً لنشاطاتها وهدفا لفعلها الإرهابى.

منهج التفسير الدينى ودوره فى تهيئة الفكر الإرهابى :

كثيرا ما يؤدى تفسير آية أو حديث نبوى تفسيرا مطلقا غير مقيد بظروف نزول الآية أو أسباب نزولها أو بالسبب الحقيقى الذى قيل الحديث النبوى من أجله إلى ما يشبه الجنوح ويؤدى إلى التطرف عند المغالين ويتخذ حجة ودليل عمل عند الإرهابيين وبغض النظر عن قصدية المفسر لذلك فإن تفسيره يعد عندئذ مصدراً من مصادر الفكر الإرهابى المستند إلى الدين والمتمسح بالأصولية دون أن يكون منها ، لأن الأصولية هى التمسك بالأصول وليس فى الأصول ما يحض على إرهاب المسلم للمسلم أو ترويعه.

ومن أمثلة ذلك ما تجده عند محمد قطب[2] حيث يفسر الحديث الشريف "من ولى لنا عملاً وليس له منزل فليتخذ منزلا ،أو ليست له زوجة فليتخذ زوجة ، أو ليس له خادم فليتخذ خادما ، أو ليست له دابة فليتخذ دابة"[3].

ويفسر محمد قطب هذا الحديث تفسيرا فيه إطلاق ينسحب ليس على "من ولى لنا عملاً" أى لدولة الرسول ﷺ بل يشمل كل فرد فى الدولة إذ يقول : "هذه الضمانات لا يمكن أن تكون وقفا على موظفى الدولة. إنما هى المطالب الأساسية التى يحتاج إليها كل شخص وينالها بوسيلة من الوسائل مقابل العمل الذى يؤدية ، سواء كان للدولة مباشرة ، أو فى حرفة يحترفها ويعود النفع منها على المجتمع"[4].

وكلام الرسول ﷺ واضح الدلالة ولا لبس فيه ، وهو مقصور على الوالى الشرعى من ولى لنا عملاً" ، وذلك أن الوالى الشرعى لا عمل له غير الولاية فإذا لم

---

[1] – المودودى ، م ، ن صـ٣٠.

[2] – محمد قطب : شبهات حول الإسلام ، ط (٢١) (القاهرة ، بيروت دار الشروق ١٤١٣هـ ١٩٩٢م) صـ٨٢.

[3] – رواه أحمد وأبو داود.

[4] – محمد قطب ، م . ن ، صـ ٨٢-٨٣.

يجن من ورائها ما يطعم به نفسه ويزوجها ويسكنها ويريحها فمن أين يمكن أن يعول نفسه ؟ وكيف تصبح له أسرة.

كلام الرسول ﷺ ليس مقصوداً به "كل شخص" فالخادم أيضا شخص فإذا انسحب قول الرسول ﷺ على "كل شخص" وفق تفسير (الشيخ قطب) للزم لكل خادم خادم آخر يخدمه ، وعندئذ سوف يقع الظلم على الخادم الثانى ،إلا إذا التزمت الدولة التى يتصورها (الشيخ) بتوفير خادم للخادم الثانى وهكذا إلى أن يصبح المجتمع كله مربوطا فى سلسلة الخدم وعندها يصبح أخر خادم واقع فى دائرة الظلم – مع ذلك – لأنه أصبح عاريا من الضمانات التى فسرها (الشيخ قطب) أو فهمها وأراد الدعاية لفهمه لها من نص رسول الله ﷺ.

ولاشك أن تفسير كهذا يغرى أرباع المثقفين بثقافة الدين بالحكام إذ الزمهم (الشيخ قطب) بكفالة هذه المطالب (توفير المنزل ، الزوجة ، والخادم ، والسيارة) وذلك بنص قوله : "وإذا كانت الدولة قد تعهدت لموظفيها بكفالة هذه المطالب ، فهى مكلفة كذلك أن تضمنها لكل فرد يعمل فى أى عمل فى الدولة "وهو يمضى فى تفسير ذلك :

"يؤيدنا فى ذلك أن بيت المال يكفل العاجزين عن العمل لسبب من الأسباب : المرض أو الشيخوخة أو الطفولة .. ويكفل الحاجات الأساسية لمن تقصر بهم مواردهم الخاصة عن بلوغها" ويضيف :

"كل ذلك يدل دلالة واضحة على مسؤولية الدولة فى أن تكفل لعمال المصانع هذه المطالب الأساسية التى ذكرها الرسول ﷺ فى حديثه ، بوسيلة من الوسائل ، فليست الوسيلة هى المهمة – وهذه يحددها كل عصر بما يراه"[1].

ثم أن المشكلة تظل قائمة فيما لو أدى العامل عمله ولكن حيل بينه وبين الحصول على ما يكفيه ليتخذ له خادما بعد أن يكون قد تمكن باتخاذ منزل وزوجة ودابة ، ومع أن الخادم نفسه عامل وهو شخص أيضا ، فهل هناك ضمان لحصوله على خادم يخدمه وهو خادم نفسه ؟.

---

[1] – محمد قطب ، م ، ن ص ٨٢-٨٣.

ثم فى دولة كتلك التى يقول إنها (تعهدت) بكفالة المطالب الأساسية (الزوجة ، والمنزل ، والسيارة ، الخادم) ؟ لابد أن تكون دولة الأسياد.

ومع ذلك فإن تلك الدولة لكى توفر لكل شخص خادما ، سوف يكون عندها طبقتين الأولى طبقة السادة الذين تضمن لهم مطالبهم الأساسية وأخرى هى طبقة الخدم الذين ستوردهم الدولة المفترضة من المكاتب لهؤلاء السادة.

وهنا لا تكون هناك مساواة ولا عدالة ولا مواطنة لطبقة أو فئة داخلة ضمن اختصاص تلك الدولة.

ليست هناك دولة فى العالم تفعل ذلك ، ولا هناك فى الإسلام مثل ذلك.

إذا فالتفسير الصحيح لحديث الرسول ﷺ من ولى لنا عملاً وليس له منزل فليتخذ منزلا ، أو ليست له زوجة فليتخذ زوجة ، أو ليس له خادم فليتخذ خادما، أو ليست له دابة فليتخذ دابة" قد خص به الوالى الشرعى ، أما إطلاق هذه الحقوق لينتفع بها كل من يعمل فى الدولة لدى الحكومة أو مؤسساتها أو المؤسسات الخاصة فإن دولة يعمل بها مليون عامل ، لابد أن توفر للمليون (المنزل والزوجة والخادم والسيارة) فتحتاج عندئذ إلى مليون سيارة ، لابد أن توفر لها الشوارع والمواقف والخدمات الهندسية كما تحتاج إلى إلزام مليون شخص ليعملوا خدما لدى المليون عامل ، وعليها أن توفر أجهزة القضاء لهؤلاء الخدم ، وتوظيفهم وتنظيم أمورهم وعلاقاتهم بمخدوميهم المليون وقضاياهم ومشاكلهم ومساكنهم ثم حقوقهم بوصفهم أشخاصا عاملين لدى العاملين لدى الدولة ولهم عليها حق كفالة نفس المطالب الأساسية التى تكفلها للسادة الذين ولوا عملا للدولة ؟!!

يتبقى فى هذه المسألة نقطة أخيرة : إذا كان حديث رسول الله ﷺ لا يحتمل مثل هذا التأويل الذى أوله (الشيخ محمد قطب) فيما عرضنا له - وإذا انتفت الدولة التى يلزمها (الشيخ قطب) بتفسيره ذاك ؟ فما هو الأمر على الوجه الصحيح ؟ أعتقد أن "الشيخ" يقصد الدولة الإسلامية الصحيحة - من جهة نظره هو - فبما أنه لا دولة من الدول الإسلامية القائمة تأخذ حديث رسول الله ﷺ بهذا التفسير الذى أعمله فهم (الشيخ محمد قطب) للحديث الشريف ، فإنه قصد دولة

إسلامية لم توجد بعد فى عصرنا الحديث ولا فى العصور القديمة تكون قد كفلت (السكن والزوجة والخادم والدابة "الركوبة) لكل شخص من أفرادها.

المسالة إذا فيها اتهام للدول الإسلامية الحالية لأنها لا تطبق - حرفياً - تفسيره لحديث رسول الله ﷺ - وهذا تفسير انفرد به (فضيلته).

كما أن المسألة فيها دعاية لدولة إسلامية جديدة سوف تكفل لكل فرد من أفرادها (المنزل والزوجة والسيارة والخدم) دولة لا مكان لها ولا زمان !!.

والمؤدى فى المسألتين يتجه إلى التحريض على اعتناق هذا التفسير والأخذ به ومن ثم العمل على إيجاد مثل هذه الدولة (اليوتوبيا).

ولا سبيل أمام المصدقين المؤمنين بتفسير "فضيلته" لحديث نبوى قيل توجيها لولاه الأمر من مساعدى رسول الله ﷺ فى الأمصار ،حتى يطمئن كل عامل لرسول الله ﷺ على مستقبله بعد أن انقطع سبيل عيشه نتيجة لتوليه أمر المسلمين فى إحدى الأمصار الإسلامية.

ويبرز مثل هذا التفسير "اليوتوبى" للشباب المسلم وحلمه الحائر بالسكن والعمل والزواج والتطلعات الأخرى نحو الاستقرار لإطاعة من يبشره بدولة توفر له هذه المطالب الأساسية للإنسان ، وهكذا يجد الشباب من أرباع المثقفين فى أمور دينهم أو أحدهم ممن انعدمت ثقافته الدينية ، يجد نفسه بين أسوار قاعدة الفكر الإرهابى.

يجد نفسه فى كابوس بديلا عن حلمه الوردى بسبب تفسير أو عزف فكرى منفرد لأحد الساسة من شيوخ الدين المعاصرين.

إن مثل هذه التفسيرات لم تأت عن وحى الخاطر ، ولا عن فهم صادق عميق لحديث رسول الله ﷺ ، ولكنها صنعت لتكون مصدرا من مصادر الفكر الإرهابى المستظل بظلال القرآن وآياته الحكيمة أو بظلال أحاديث رسول الله ﷺ خدمة للسياسة لا للدين فهذا فكر سياسى يستخدم الدين ويفسره تفسيرا يؤدى به أو يأمل أن يؤدى إلى كرسى الحكم وذلك لا يتحقق دون جند يعتنقونه ، ولن يعتنق مثل هذه التفسيرات غير ارباع المثقفين أو فاقدى الثقافة الدينية فاقدى الأمان والإستقرار الأسرى والاجتماعى فاقدى الأمل فى المستقبل من عامة الناس ، فتأتى

تلك التفسيرات لتجعلهم فاقدى الأمل فى المستقبل فى ظل النظام السياسى الذى يحكمهم فيصبحوا جنودا للعمليات الإرهابية فى سلسلة اغتيالات رموزه وعندها فإن الحكم سوف يكون بيدهم ، بيد (المسلمين الحقيقين) الذين فتحوا لهم طاقة القدر.

إن هذا الكتاب قد قصد به الدعاية للتطرف والإرهاب ، إذ يقوم فى كل عبارة ينشؤها على التحريض.

وهو يحرض الفقراء على الأغنياء بقوله "وهل ينشأ من تضخم الأرباح فى يد فئة قليلة من الناس إلا الترف البغيض والمتاع الحسى الغليظ" وهل ينشأ تضخم الأرباح إلا من ظلم الأجراء؟[*] .." وهل ينشأ الفقر الذى يعيش فيه أغلب الشعب إلا لأن الأغنياء ينفقون أموالهم على أنفسهم ولا ينفقونها فى سبيل الله ؟ "[1]. وهو فى حديثه عن نظام الملكية فى الإسلام يتعرض لنظام الحكم الإسلامى ويرى أن "الفترة التى طبق فيها الإسلام على حقيقته"[2] هى فترة الخلفاء الراشدين وهو يعزل عن النظام الإسلامى ما عدا ذلك" .. ولا ننظر إلى الفساد الذى دخل عليه بعد تحويله ، وقصر الفترة التى طبق فيها الإسلام بكل عدالته ومثاليته لا تعنى أنه نظام خيالى غير قابل للتطبيق فى الواقع.

إذا فهو يعزل الدول الإسلامية فيما بعد دولة الخلافة عقب وفاة الرسول الله ﷺ عن النظام الإسلامى ، فهى فى نظره دول غير إسلامية وذلك لب فلسفة جماعة (التكفير والهجرة) فالدول الإسلامية عندهم كافرة ومن ثم وجب على المسلم منهم هجرتها ولكن ليس قبل استحلال دماء أهلها وأموالهم وأعراضهم فيما اعتنقته الجماعات المتفرقة عن الإخوان المسلمين كالجهاد وغيرها ، ودون مراعاة لأهل أو أبوين أو أمانة وضعها الشرع فى أعناق الجميع وفق قوله سبحانه(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها . وإن حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) وقوله جل جلاله(وصاحبهما فى الدنيا معروفاً) .

---

[*] وهذا تحليل حقيقى وصحيح .

(1) – محمد قطب ، م . ن ، ص٨٤.

(2) – قطب ، م ، ن ، ص٨٩.

وتتضح الدعوة للتحريض ضد الأنظمة والدول الإسلامية فى هذا الكتاب حيث يقول : فالذى حدث مرة يمكن أن يحدث مرة أخرى ، والناس مطالبون باستعادة تلك الفترة[1].

أما قوله بعد ذلك مبشرا " وهى اليوم أقرب إلى التحقيق مما كانت على أيد أجدادهم فيما مضى من التاريخ[2].

فهو إعلان صريح بتأييد ما يحدث ومباركة واضحة للأعمال الإرهابية والنهج المتطرف الذى يسبق الإرهاب ويمهد له مما يشبه الاعتراف بأن هذا الكتاب وغيره من الكتب التى تتعرض للسياسة ولنظام الحكم فى العالم الإسلامى متسترة خلف الدين الإسلامى إنما هى بكل تأكيد مصادر حديثة ومعاصرة للفكر الإرهابى عند المنتسبين للأصولية الإسلامية عن طريق هذه الجماعات.

والمؤلف فى مقدمة طبعة الكتاب[3] يصرح بهذا :"وأن الكتاب – كهذا – كان من بين أسلحة الشباب المسلم التى يخوض بها معركة الجدل مع أولئك الأعداء[4].

ولما كانت الدول الإسلامية غير إسلامية فى نظره فإنهم الأعداء الذين قصدهم وإذا كان المسلم الحق يحارب الربا والميسر والخمر ، فإن وجود الأمراء والنبلاء فى دولة مسلمة هى عنده مثل وجود هذه المحرمات .. يقول :".. ونخرج من حسابنا بطبيعة الحال وراثة العرش بغير بيعة حرة وقيام "طبقة" من الأمراء والنبلاء فذلك كله ليس بالإسلام . ووجوده فى الإسلام لا يزيد على وجود مسلمين يشربون الخمر أو يلعبون الميسر والربا فى يوم من الأيام[5].

ومن الغريب أن ذلك الكتاب واسع الانتشار والتوزيع فى دول الجزيرة العربية والخليج فقد طبع منه إحدى وعشرين طبعة حتى عام ١٩٩٥ م .

---

(١) – قطب ، م . ن ، ص٨٩.

(٢)– قطب ، م . ن ، ص٨٩.

(٣)– محمد قطب ، م . ن ، ص٨٩.

(٤)– محمد قطب ، م . ن ، ص٨٩.

(٥) – محمد قطب، فصل : (الإسلام والرأسمالية) م . ن . ص ص ٧٥ – ٩٤.

على أن معنى كلامه هذا أنه يساوى بين الأمراء والنبلاء وورثة العرش بغير بيعة حرة وبين الخمر والميسر والربا ، فهى عنده محرمات وجبت محاربتها على المسلم الحق أليس هذا مصدرا للفكر الإرهابى ؟؟ !

مواجهة الفكر بالفكر :

لا شك أن الطريقة الفضلى لمواجهة الفكر تكون بالفكر وربما أكد هذا ما وجد فاروق حسنى نفسه عليه يوم تسلم وزارة الثقافة منذ عشرين عامًا ففى حديث لوزير الثقافة المصرى يقول :

"عندما عينت وزيراً وجدت الحرام يطاردنى الرقص حرام التمثيل حرام ، المغنى حرام الموسيقى حرام كل ما أنا مسؤول عنه حرام لدرجة أننى أطلقت على نفسى فى ذلك الوقت "وزير الحرام" ويقول للمحرر "عندما جئت كان "كله حرام" المغنى والرقص والموسيقى والسينما .. وكان لابد أن أعمل بطاقة رهيبة ضد هذه الأفكار .. ولم يكن من المفيد فى هذه الحرب أن تستعين بالوجوه القديمة ، لكن بالشباب ومجموعات جديدة تخرج منهم"[1].

ولو نظرنا فى بعض كتابات بعض المفكرين فى الصحافة المصرية هذه الأيام لا تضح لنا محتوى عبارة الكاتب محمد قطب التى يحرض فيها "الشباب المسلم" الذى يدعوه لاتخاذ كتابه هذا سلاحاً عند مجادلة الأعداء وهم - عنده - الغرب الرأسمالى والشرق الشيوعى والدول المسلمة العربية وغير العربية"[2].

وفى مقال وحيد حامد[3] يقول : "من الثابت أن أى كارثة تصيب هذا الوطن فى أى مجال يكون سببها الإهمال وإذا كانت ظاهرة التطرف الدينى حكومية المنشأ. وكانت الأجهزة الأمنية هى التى تتولى صناعتها وحمايتها ودعمها ، ظنا منهم بأن جنود الله هم جنود الحكومة ، حتى جاءت الأحداث الدامية التى انتهت بمصرع رئيس الدولة ومجزرة ضحيتها الكثير من رجال الشرطة ، وبات واضحاً لمن يفهم

---

(1) - عادل حمودة حوار مع فاروق حسنى (مجلة روز اليوسف المصرية العدد ٣٤٥٤ فى ١٩٩٤/٨/٢٢ (القاهرة مؤسسة روز اليوسف) صـ ٨ وما بعدها.

(2) - محمد قطب م . ن ، صـ٩٧.

(3) - وحيد حامد ، م ، ن.

ولن لا يفهم أيضاً أن جنود الله هؤلاء ليسوا جنوداً لله .. ولا للحكومة وإنما جنود لدولتهم فقط".

وتوضح عبارة الكاتب هنا – ربما – عبارة (الشيخ قطب) التى ساقها فى كتابه – فيما أشرنا إليه – حيث يطالب الناس – يقصد الشباب المعتنق لما يدعو إليه من عنف وإرهاب ضد من حددهم – بقوله "فالذى حدث مرة يمكن أن يحدث مرة أخرى ، والناس مطالبون باستعادة تلك الفترة.

وهى اليوم أقرب إلى التحقيق مما كانت عليه أيام أجدادهم فيما مضى من التاريخ"[1].

فتحقيق دولة الإسلام الصحيحة – كما على عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين – أقرب اليوم عن غيره مما مضى من أيام بسبب ذلك الهوان الذى أشار إليه الكاتب ، وحيد حامد :"... وكان يمكن أن ينتهى الأمر المدمر بالحسم والردع وخاصة أن المسألة تتعلق بأمن الوطن وسلامة البلاد . إلا أن الهوان الحكومى تعامل مع الكارثة على أنها مجرد حادثة ارتكبها بعض الشباب الطائش المغرربه"[2].

وهكذا فإن لكل فعل رد فعل مساو له – حسب القوانين العلمية للطبيعة – فعندما يصدر كتاب يحض الشباب المسلم على مكافحة نظام الحكم لأنه غير مسلم – فيما زعم صاحبه – فإن المفكرين الآخرين والمسؤولين – خاصة – عن الثقافة ونشر الفكر يتصدون لهذه الأفكار بالكتابات وبالندوات وبالعروض الفنية وبوسائل الإعلام من خلال تجنيد شباب مثقف يتسنم المناصب الثقافية والفنية ويديرها ليحصن البلاد ثقافيا وفنياً ضد من اعتبرهم بل عد نظامهم كله نظاماً لا إسلامياً بل كافراً أيضاً.

ومسألة تهيئة المناخ أمام العمل المنظم للشباب الذى يدعو إليه محمد قطب لمعاودة العمل الذى فشل فيه الأجداد نحو إقامة دولة إسلامية شبيهة بدولة الرسول ﷺ أو هى نمط منها فإن هذا المناخ قد تهئ من خلال تفريط الدولة فى حفظ نظام حكمها لاعتقادها غير السديد بأن هذا الاتجاه لصالحها ضد اتجاه يسارى أو ناصرى تستطيع به ضرب المفكرين ، دون اعتبار أو تقدير لخلو الساحة السياسية فى بلد ما

---

(1) محمد قطب ، م ، ن ، ص٨٩.

(2) –وحيد حامد ، م ، ن.

أمام اتجاه شمولى متطرف لذلك فعندما جاء دور حسمها للأمر . كانت النتيجة أن حكم عليهم بالسجن وجدوا الوقت الكافى والمكان الآمن والمناخ المناسب للقيادة والتدريب والتخطيط .. ومن هنا حصلوا على الكوادر .. وبمباركة أمنية سافر الكثير منهم إلى أفغانستان للكفاح ضد العدو الشيوعى ليعودوا إلينا فيما بعد سنوات بأصابع الديناميت وقنابل المسامير والبنادق الآلية.

إذن فهذا هو الوقت المناسب للتطرف والإرهاب : "وفى فترة كانت وزارة الداخلية مهتمه جداً بالانضباط وسلامة المرور ، وحسن المظهر العام .. وكان هذا خير وبركة لجماعات الإرهاب بحيث ترتب أمورها وتؤكد وجودها فى جو أمن منضبط"" ثم جاءت فترة أخرى كانت وزارة الداخلية مشغولة بقتال المعارضة وتبادل الشتائم والتشابك بالأيدى أحياناً ، وكأن المعارضة هى الخطر الذى يهدد أمن الوطن.

وكانت الفرصة الذهبية للأمراء والزعماء ليعلنوا عن أنفسهم ويتدخلوا فى شؤون الناس .. ثم جاءت فترة كانت الوزارة بكاملها من محاسيب السيدة نفيسة . وتدخن السيجار ، وتنادى بالحوار فى الوقت الذى وصل الإرهاب غايته وهى التمكن والسيطرة " ، ويضيف وحيد حامد :

وقد تمكنت بعض الجماعات من الحكم فى بعض المناطق ، وكانت كلمتها هى كل شيء . وخرج علينا أمراء الإعلام يبشرون بقرب قيام دولتهم وزوال هذه الدولة .. وكشف الإرهاب عن أقبح وجه عندما بدأت سلسلة الانفجارات والاغتيالات وضرب مصالح الدولة والناس .. وكاد الإرهاب بالفعل أن يحصل على الدولة".

إذن فهذا الكلام فيه اعتراف بما قاله "الشيخ محمد قطب" فى كتابه عن أن اليوم أقرب ما يكون إلى تحقيق غاية أتباعه فى إنشاء دولة على نهج دولة الصحابة – رضوان الله عليهم ولو بالرعب ألم يقل الرسول ﷺ "نصرت بالرعب" وهم أتباعه فيما يتصورون ؟! – ولأن العنف يؤدى إلى العنف أيضاً فقد جاء العنف الحكومى وعندما نظرت الحكومة بعين أخرى .. وسياسة أخرى ..واستعملت حقها الطبيعى فى الدفاع عن شعبها واستعملت القبضة القوية ، وتركت سياسة الهوان

المتعمد .. سكتت البنادق "ولأن القوة الغاشمة تواجه بالقوة الغشوم لذلك يأتى جهاد اللسان.

ومع ذلك فإن المعركة لم تنته بعد ، وإنما رجعت إلى ساحات التراشق بالعبارات والكتابات والتخطيط وفق تكتيك جديد "ومع سكون البنادق قد يعتقد البعض أن المعركة مع الإرهاب قد انتهت وأن حالة الأمن والأمان تسود البلاد . وهذه أمنية يحلم بها كل مصرى .. إلا أن الإصرار على الدولة الدينية كما يزعمون قائم وتحقيق هذا الهدف غاية لابد منها وإن طال الزمان ، وهم فى سياستهم وتخطيطهم يضعون نصب أعينهم عدم الغياب عن الساحة أبداً"[1].

وهذا ما رأيناه فى مخططات (القاعدة) فى الجزيرة العربية وفى أنحاء العالم وفى ما يصرح به الشيخ (عاكف) أمين جماعة الإخوان المسلمين الجديد . لقد أدى بنا كل هذا عربا ومسلمين إلى تذرع الصهاينة فى فلسطين المحتلة وأمريكا آل بوش وحاشيته إلى التذرع باحتلال العراق وتذبيح أهله وإلى الاستعداد بالانقضاض على السودان وعلى إيران وعلى سوريا خاصة بعد أن أصابت الرعد والبرق الأميريكى النظام الليبى والنظام الإسلامى فى باكستان وبعض الدول الإسلامية المتحررة من قيد الشيوعية السوفيتية .

[1] – وحيد حامد ، م ، ن ص٤٨.

نظرية الإسلام وتطبيقها عند التيارات الإسلامية المعاصرة :

ترتكز الجماعات الإسلامية فى مصر وفى السودان وفى الجزائر وباكستان وفى فلسطين المحتلة (حماس - الجهاد) وفى الأردن واليمن ارتكازاً محورياً على جملة التنظيرات التى أخرجها المودودى وسيد قطب ومحمد قطب ومن بعدهم محمد عبد السلام فرج وشكرى مصطفى*.

يقول المودودى حول تصوره للدولة الإسلامية ونظرية قيامها وخصائصها الإسلامية وهى الخصائص الأولية للدولة (STATE) الإسلامية ، كما يظهر من الآيات التى ذكرها وهى : (يوسف ٤٠) ، (آل عمران ١٥٤) ، (المائدة ٤٥).

١- ليس لفرد أو أسرة أو طبقة أو حزب أو لسائر القاطنين فى الدولة نصيب من الحاكمية فإن الحكم الحقيقى هو الله والسلطة الحقيقة مختصة بذاته تعالى وحده والذين من دونه فى هذه المعمورة إنما هم رعايا فى سلطانه العظيم.

٢- ليس لأحد من دون الله شىء من أمر التشريع والمسلمون جميعاً ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً لا يستطيعون أن يشرعوا قانوناً ولا يقدرون أن يغيروا شيئاً مما شرع لهم الله.

٣- إن الدولة الإسلامية لا يؤسس بنيانها إلا على ذلك القانون المشروع الذى جاء به النبى من عند ربه مهما تغيرت الظروف والأحوال والحكومات (GOVERNMENT) التى بيدها زمام هذه الدولة (STATE) لا تستحق طاعة الناس إلا من حيث أنها تحكم بما أنزل الله وتنفذ أمره تعالى فى خلقه[1].

ثم إنه يعلق على ما سبق :

"كل من نظر إلى هذه الخصائص التى ذكرنا آنفاً علم لأول وهلة أنها ليست ديمقراطية (DEMOCRACY) فإن الديمقراطية عبارة عن منهاج للحكم ، تكون السلطة فيه للشعب جميعاً، فلا تغير فيه القوانين ولا تبدل إلا برأى الجمهور ولا

---

* وابن تيميه من قبل فى ظل ظروف هجمة التتار على العالم الإسلامى وهروب الناس خوفا من بطشهم.

(١) - أبو الأعلى المودودى ، م، ن ص ٢٨-٢٩.

تسن إلا حسب ما توحي إليـهم عقولهـم ، فـلا تتغير فيـه القوانـين إلا مـا ارتضتـه أنفسهم وكل ما لم تسوغه عقولهم يضرب عرض الحائط ويخرج من الدستور".

إذن فالنظام الديمقراطي ليس إسـلامياً فـي رأيـه وهـذا يؤلـب علينـا الـدول الديمقراطية.

وهو يفندها "هذه خصائص الديمقراطية وأنت ترى أنها ليست مـن الإسـلام في شيء ، فلا يصح إطلاق كلمة الديمقراطية على نظام الدولة الإسلامية بـل أصـدق منـها تعبـيراً كلمـة الحكومـة الإلهيـة أو الثيوقراطيــة (THEOCRACY) ولكـن الثيوقراطية الأوروبية تختلف عنها الحكومة الإلهية (الثيوقراطية الإسلامية) اختلافـاً كلياً فإن أوروبا لن تعرف منها إلا التـي تقـوم فيـها طبقـة مـن السـدنة (PRIEST CLASS) مخصوصة ، يشرعون للناس قانوناً من عنـد أنفسـهم* حسـب مـا راعـت أهواؤهم وأغراضهم ، ويسلطون ألوهيتهم على عامة أهل البلاد متسترون وراء القوانين الإلهية.

وأما الثيقراطية التـي جـاء بـها الإسـلام فـلا تسـتبد بأمرهـا مـن السـدنة أو المشايخ ، بل هي التي تكون في أيد المسلمين عامة وهم الذين يتولـون أمرهـا والقيـام بشؤونها وفق ما ورد به كتاب الله وسنة رسوله ، ولئـن سـنحتم لي بـابتداع مصطلـح جديـد لآثـرت كلمـــة "الثيقراطيـــة" (theo-democracy) أو "الحكومـــة الإلهيـــة الديمقراطية" . لهذا الطراز من نظم الحكـم لأنـه قـد خـول فيـها للمسـلمين حاكميـة شعبية مقيدة :

(Limited populat Sovereijnty) وذلـك تحـت سـلطة الله القـاهرة (Parmouncy) وحكمـه الـــذى لا يغلـــب ، ولا تتـــألف الســـلطة التنفيذيـــة (Executive) إلا بآراء المسلمين ،وبيدهم يكون عزلهم من منصبهم ، وكذلك جميـع

* وفي حاشية الصفحة (٣٠) كانت هذه الملاحظة :"لم يكن عند البابوات القساوسة المسيحيين شيء من الشريعة إلا مواعظ خلفية مأثورة عن المسيح عليه السلام ولأجل ذلك كانوا يشرعون القوانين حسب ما تقضيه شهوات أنفسهم ثم ينفذونها في البلاد قائلين إنها من عند الله ، كما ورد في التنزيل "فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله" (البقرة : ٧٩).

الشئون التى لا يوجد عنها فى الشريعة حكم صريح لا يقطع فيها بشىء إلا بإجماع المسلمين.

وهو يرى الدولة الإسلامية دولة (مركزية ديمقراطية) لا ديمقراطية مركزية أى هى نظام شمولى فيقول :

"كلما مست الحاجة إلى إيضاح قانون أو شرح نص من نصوص الشرع لا يقوم ببيانه طبقة أو أسرة مخصصة فحسب بل يتولى شرحه وبيانه كل من بلغ درجة الاجتهاد من عامة المسلمين فهو يفتح باب الاجتهاد بعد أن أغلقه الشافعى ! !

يقول : "فمن هذه الوجهة يعد الحكم الإسلامى ديمقراطية (Democracy) إلا أنه – كما تقدم ذكره من قبل – إذا وجد نص (من نصوص الشرع) فليس لأحد من أمراء المسلمين أو مجتهد أو عالم من علمائهم ولا لمجلس تشريعى (Lejislature) لهم ، بل ولا لجميع المسلمين فى العالم أن يصلحوا أو يغيروا منه كلمة واحدة ومن هذه الجهة يصح عليها إطلاق كلمة "الثيقراطية"[1].

"وبقطع النظر عن هاتيك المفاسد ، إن سلمنا أن القوانين تشرع فى تلك البلاد عن رضى العامة ، فقد أثبتت لنا التجارب أن العامة لا يستطيعون أن يعرفوا مصالحهم"[2].

إذن فالأمر يفرض أناساً مخصوصين يتنفيذ شريعة الله والحكم بما أنزل ، تأتى خصوصيتهم من فهمهم العميق للشريعة ومن إيمانهم العميق بالشرع وبما أنزل الله وبالعدالة فهم لذلك يشكلون نخبة من دون المسلمين عامة – سدنة أو مشايخ وفقهاء ذلك أن العامة بقوله المنصوص ثبت أنهم لا يستطيعون أن يعرفوا مصالحهم فيما دلت عليه تجاربه وفق قوله السابق[3].

ومن هنا رجعنا إلى ما نفاه حول ثيقراطية المشايخ لأنهم المختصون بالتفسير وبالتنفيذ والاجتهاد.

---

(1) – أبو الأعلى المودودى ، ص ٣٠-٣٢.

(2) – أبو الأعلى المودودى م . ن ، ٣٤.

(3) – م ، ن ، ص٣٤.

فليس لعامة الناس (المسلمين) (حيث أثبتت لنا التجارب أن العامة لا يستطيعون أن يعرفوا مصالحهم) ليس لهم أن يجتهدوا فيما ليس له نص شرعى مما يحدث لهم فى حياتهم ويستجد ، كما ليس لهم تنفيذ شرع الله لعدم استطاعتهم معرفة مصالحهم – فما البال بمصالح المسلمين كافة – ولا يبقى لأحد استطاعة على ذلك الأمر (تفسير النصوص الشرعية وتنفيذها والاجتهاد فى الحكم ووضع القانون فيما ليس له نص شرعى) إلا لذوى الاستطاعة الفقهية وهم بالطبع خاصة علماء الدين الإسلامى ، وتلك عودة لتوكيد الحكم الثيقراطى (حكم السدنة والمشايخ) دون أية موارية أو تلاعب أو موقف توفيقى بين (الثيقراطية والديمقراطية) كما يوارب المودودى.

فإذا كان مفكرونا الإسلاميون ودعاتنا يعترفون بأن النظام السياسى فى الإسلام هو نظام ثيقراطى وليس ديمقراطياً فلماذا نقيم الدنيا ونقعدها عندما يردد الغرب وإعلامه ما نعترف به نحن وننظر له وندعو له فى مواجهة الديمقراطية؟! لماذا نثور حينما يتهم الغرب عبر أنظمته وإعلامه الدول الإسلامية بأنها تصدر الإرهاب؟!

دعامة النظرية السياسية فى الإسلام:

يرى المودودى ضرورة .." أن تنزع جميع سلطات (Powers) الأمر والتشريع من أيدى البشر منفردين ومجتمعين ولا يؤذن لواحد منهم أن ينفذ أمره فى بشر مثله فيطيعوه ، أو يسن قانوناً لهم فينقادوا له ويتبعوه فإن ذلك أمر مختص بالله وحده لا يشاركه فيه أحد غيره ، كما قال فى كتابه :﴿ إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ، ذلك الدين القيم ﴾ (يوسف : ٤٠).

﴿ يقولون هل لنا من الأمر من شىء ، قل إن الأمر كله لله ﴾ (آل عمران : ١٥٤)﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام ﴾ (النحل : ١٦٦).

﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ (المائدة : ٤٥).

على ذلك فإن دولة إسلامية لا تتبع هذه الآيات تكون دولة غير حاكمية.

فهذه الآيات تصرح أن الحاكمية (Sovereijnty) لله وحده وبيده التشريع وليس لأحد – ولو كان نبياً – أن يأمر وينهى من غير أن يكون له سلطان من الله والنبى أيضاً لا يتبع إلا ما يوحى إليه""إن اتبع إلا ما يوحى إلى".

وما وجب على الناس طاعة النبى إلا لأنه لا يأتيهم إلا بالأحكام الإلهية ، قال الله عز وجل:﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ﴾ (النساء : ٦٤)﴿ أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ﴾ (الأنعام : ٨٩)﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب بما كنتم تدرسون ﴾ (آل عمران : ٧٩).

نظرية الخلافة :

لا يرى المودودى حاكماً فى الإسلام غير الله سبحانه وفق تلك الآيات :

"فالحاكم الحقيقى فى الإسلام إنما هو الله وحده كما تقدم الكلام عليه ، فإذا نظرت إلى هذه النظرية الأساسية وبحثت عن موقف الذين يقومون بتنفيذ القانون الإلهى فى الأرض ، تبين لك أنه لا يكون موقفهم إلا كموقف النواب عن الحاكم الحقيقى ، فهذا هو موقف أولى الأمر فى الإسلام بعينه"[1].

قال تعالى فى كتابه العزيز :﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ﴾ (النور : ٥٥).

فهذه الاية توضح نظرية الدولة (Theory of state) فى الإسلام إيضاحاً مبيناً فإن الله قد بين فيها أمرين عظيمين وطريقتين أساسيتين:

فالطريقة الأولى : إن الإسلام يستعمل دائماً لفظة الخلافة (Viceejierency) بدل لفظة الحاكمية (Soverijnty) وإذا كانت الحاكمية لله خاصة فكل من قام بالحكم فى الأرض تحت الدستور الإسلامى يكون خليفة (Viceejerent) الحاكم الأعلى ولا يتولى إلا ما ولاه المستخلف – أى الحاكم الأعلى – من أملاكه وعبيده نيابة عنه".

---

[1] – المودودى م ، ن ، ص ٤٤-٤٥.

ونشير إلى أن هذا ربما يلقى الضوء على موقف معاوية من المناوئين له إذ يعاقبهم ويعلن أنه لم يفعل ولكن يد الله هى التى اقتصت منهم.

والطرفة الثانية : البديعة فى هذه الآية أن الله قد وعد جميع المؤمنين بالاستخلاف ،ولم يقل أنه يستخلف أحداً منهم ، فالظاهر من هذا أن المؤمنين كلهم خلافة عمومية (Populat Viceejerency) لا يستبد بها فرد أو أسرة أو طبقة ، بل كل مؤمن عند الله ، وكل واحد مسؤول أمام ربه من حيث كونه خليفة كما جاء فى الحديث :

"كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته"

وليس أحد منهم يأخذ منزلة من آخر مثله فى هذا الشأن من أية وجهة كانت.

ولا كلام عن الاستخلاف فى الأرض إلا الذى فسره الشيخ المودودى بأن كل فرد مؤمن هو خليفة الله فى الأرض ، وأن الخليفة هو النائب للحاكم الأعلى (نائب عن الله فى الحكم بما أنزل الله) ينفيه حديث رسول الله الذى أورده الشيخ بعد ذلك حيث قال ﷺ **"ليس لأحد فضل على أحد إلا بدين أو تقوى ، والناس كلهم بنوا آدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على أعجمى ، ولا لأبيض على أسود ، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى"**[1].

فلقد استثنى الحديث الشريف صاحب التقوى من هذه المساواة فصاحب الدين يفضل غيره وكذلك صاحب التقوى ومن يفضل غيره دينا أو بتقوى فهو المقدم على صفوف المستخلفين فى الأرض ، لأنهم أقرب إلى الله من غيرهم ، وهم أولى عند الله بالخلافة فى الحكم وقيادة المسلمين إذن فالقول : إن كل مؤمن خليفة الله – أى نائب عن الحاكم الأعلى وهو الله عز وجل – قول غير صائب ، من ثم تبطل نظرية الخلافة وفق تفسير (أبى الأعلى المودودى) لأن الأولى بالنيابة عن الله فى حكم الأرض أكرم الناس من المؤمنين عند الله ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[2].

---

[1] – أحمد بن حنبل ، المسند ملتقى الأخبار من نيل الأوطار ٣١١/٤.

[2] – الجامع للتركذى – مشكاة المصابيح : باب المفاخرة.

فإذا راجعنا تاريخ الدولة الإسلامية منذ تركها الرسول ﷺ وتركها الخلفاء الأربعة فلن تجد – والياً أو خليفة ينطبق عليه قول الرسول الكريم فى تفضيل أو استثناء صاحب صفة الأفضل ديناً عن كل المؤمنين والأفضل تقوى عنهم أجمعين باستثناء (عمر بن عبد العزيز) وأنه لبعيد عن العقل أن نفسر الاستخلاف بأن معناه أن كل مؤمن عاقل هو حاكم لكل مؤمن فى البلاد الإسلامية عاقلاً كان أم فاقداً لعقله – ما معنى هذا أن يكون كل فرد رقيباً على كل فرد وكل فرد رادعاً لكل فرد معاقباً له على ما يراه فيقدر خطأ أو خروجاً على الشرع ؟! إن المجتمع عندئذ لن يكون مجتمعاً بل غابة.

ثم فى حالة الاستعداد الاجتماعى لتولية الأكرم عند الله والأتقى من الذى يقدر ذلك ويحكم بأن هذا دون ذاك أو دونا عن غيره من المؤمنين هو الأكرم عند الله وهو الأتقى ومن ثم يتعين على المسلمين فى بلاد الإسلام تنصيبه خليفة عليهم نيابة عن الحاكم الأعلى (الله سبحانه)؟!.

إن فكرة اصطفاء الله لرسله تنفى ما يدعو إليه أصحاب نظرية الخلافة التى هى عندهم أن كل شخص مؤمن فى الأرض هو خليفة على كل من فى الأرض لأن الاصطفاء هو اختيار الله لواحد من عباده دونا عن غيره من خلق الله . ووحدة الخالق تؤكد وحدة منهج الخلق ، وهو منهج قائم على الاصطفاء فكل الكون لله ، ولكن الكرة الأرضية قد اختارها الله لتكون ملجأ البشر ومسكنهم فى الحياة والموت ولم يكن كوكب الزهرة أو المريخ أو زحل أو القمر وهناك أماكن بعينها ضمن الأرض قد خصها الله بالتفضيل . فمكة وطور سيناء وبيت المقدس والمدينة ليست كبقية الأماكن عند الله ومن ثم عند كل مؤمن من أى دين سماوى :(والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين)وإلا لما كان الله قد أقسم بها (أقسم بهذا البلد) ولما كان سبحانه قد اصطفى الإنسان على سائر مخلوقاته بما فيهم الملائكة حيث أمرهم بالسجود لآدم(قال اسجدوا لآدم فسجدوا () لا أقسم بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الإنسان فى كبد () وخلقناه فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) والذين آمنوا مصطفين دوناً عن غيرهم من بنى آدم بإيمانهم والصالحات من الأعمال ، وهم بدورهم مصطفون من بنى الإنسان وبنو الإنسان مصطفون من بين المخلوقات كلها : فنظرية الاصطفاء تبطل نظرية الخلافة بمعناها الذى يفسره المودودى وغيره.

خلاصة الفصل

انتهيت إلى أن الإرهاب قد تفرع إلى أربعة اتجاهات أو انساق رئيسة على الوجه الآتى :

أ- النسق الإرهابى الماثل فى الصراع السياسى الذى يعتمد على وسيلة الرعب بهدف تغيير نسق سياسى أو نظام سياسى آخر ويكون على هيئة صراع عنيف بين الحكومة وحزب من الأحزاب أو تكتل حزبى ضد الحكومة.

ب- النسق الإرهابى الفوضوى بوصفه وسيلة يعتمدها المحكومون ، بصورة غير قانونية أو غير شرعية ضد الحكام الذين يمارسونها أيضا ولكن بصورة قانونية.

جـ- النسق الإرهابى الدولى بوصفه وسيلة تعتمدها دولة ضد دولة أخرى فى إطار صراعها السياسى والاقتصادى والفكرى ، سواء شكل ذلك اعتداء ضد المواثيق والقوانين الدولية ، أو تستر خلفها من خلال قرار لمجلس الأمن الدولى أو الجمعية العامة للأمم المتحدة أو استخدام حق النقض (الفيتو) ، وهو ما يشهده عالمنا المعاصر فى العدوان الصهيونى اليومى على الفلسطينيين وفيما يجرى فى العراق وغيرها .

د- النسق الإرهابى للأفراد ضد بعضهم بعضا فى مجتمع ما تتفشى فيه ظاهرة العنف وتشتد بين الأفراد والجماعات كمحاولة إقصاء حاكم قائم وإحلال آخر قادم.

كما انتهيت إلى أن عناصر الفعل الإرهابى وفق تحديد خبراء مكافحة الإرهاب هى على النحو الآتى:

أ- عنصر الرعب.

ب- عنصر المقابل.

جـ- عنصر الاستمرار.

د- عنصر الدعاية.

وعند مناقشة ظاهرة الإرهاب بين الفكرة والتخطيط (بين الغاية والوسيلة) وقفت طويلا عند الأساس النظرى الذى انطلقت منه صيحات الإرهاب لدى المنظمات الإسلامية حيث يتهمون المجتمعات الإسلامية بالجاهلية ومن ثم يخططون وينفذون عمليات استحلال للأرواح والأعراض والأموال بوصف هذه المجتمعات فى نظرهم

كافرة لأن المال مال الله والهـدف منه الإصـلاح واعمـار الأرض ويجـب أن ينقـل إلى أيدى المسلمين (الجماعات) ليعمروا به الأرض لأن الكفار يفسدون الأرض بالمال.

وقد انتهيت إلى أن القول بجاهلية المجتمعات أو القول بجاهلية الجماعـات الإسلامية يحتاج إلى الاستبصار بمعنى الجاهلية فى اللغة وفى القرآن الكريـم والسـنة وتوصلت إلى عدة دلالات للفظ الجاهلية :

أ- ظن الجاهلية : الظن فى الله بغير الحق.

ب- حكم الجاهلية : وهى الحكم بغير ما أنزل الله.

جـ- تبرج الجاهلية : فتنة الغير.

د- حمية الجاهلية : سلوك رفض الانصياع للحق.

وانتهيت إلى أن وصف زمان أو إنسان بالجاهلية ليس وصفـا عـادلا بـل هـو إطلاق شرعى يتضمن حكما لابد فيه من مراعاة الضوابط الشرعية وهو حكـم لـه آثـار كبيرة وخطيرة.

وانتهيت فى هذا الفصل إلى أن نظريـة اصطفـاء الله للرسـل والأنبيـاء تنفـى نظرية الخلافة عند المودودى وقطب وغيرهما . وخلصت بعد تأمل لقوله عز وجـل : ﴿ وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظـهيرا للكافرين ﴾ (القصص ٨٧).

إلى أن فى هذه الآية الكريمة إبطال لدعوى الإرهاب بسم الدين . ومن يفـهم الكتاب على أنه نزل لمقصد آخر غير الرحمة بعباد الله فإنه لم يفهمه.

وختمت الفصل متسائلا :(كيف نقدر على الريادة فى عالمنا المعـاصر ونحـن فى سبيل غاية الحكـم باسم الإسـلام نسـتحل كـل شـىء : الأرحـام ، الأعـراض، والأموال ، والأنفس ، كيف نحكم الناس والعالم وفق الشريعة الإسلامية ونحن لسـنا أمناء على أنفسنا وعلى غيرنا ، والله يقول :﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإن حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ (النساء ٥٨).

الفصل الثالث

فى مصادر الفكر المناهض لإرهاب الفوضوية وأبعاده الاجتماعية والدينية والسياسية

مصادر الفكر المناهض لمصادر الفكر الإرهابى :

لما كان لكل فكرة مصادرها فإن لكل فكرة أخرى مناهضة للفكرة الأولى مصادرها أيضا ومن مناهضة فكرة لفكرة أخرى نقيضة لها يتطور الفكر الإنسانى وتنشأ الحضارات على نقيض غيرها.

لذلك نستعرض جملة المناهضات الفكرية لمصادر فكر التدين الفوضوى الذى يحل نفسه فى عصرنا محل الأصولية السلفية الصحيحة من هذا المنطلق يعارض سعيد العشماوى لجنة الفتوى بالأزهر وعدم شرعيتها يقول بخصوص مناهج التفسير : "أولاً ينبغى لسلامة البحث وصحة الاستدلال أن يتحدد - ابتداء - منهج تفسير آيات القرآن الكريم . فالمنهج التقليدى (ويوافقه فى ذلك منهج المتطرفين والإرهابيين) يتأدى فى أن آيات القرآن الكريم إنما تفسر على عموم ألفاظها أى وفقا لمطلق ألفاظ الآية التى تفسر دون نظر إلى الظروف التاريخية التى أحاطت بنزول الآية . وبغير اعتداد بأسباب تنزيلها ، أما المنهج الأصولى الصحيح فهو يستقيم على أن آيات القرآن الكريم لا تفسر على عموم ألفاظها ولكن على خصوص أسباب التنزيل ، فالإحاطة بالمعنى الصحيح الذى أريد من الآية ينبغى معرفة الظروف التاريخية التى تداخلت معها وأسباب التنزيل التى أدت إلى وجودها"[1].

والمنهج التقليدى - وهو ذات منهج المتطرفين والإرهابيين - يؤدى إلى تفسير آيات القرآن الكريم على غير ما أراد التنزيل ، وإعمالها فى غير الأغراض التى تنزلت بسببها ويبدو ذلك واضحاً فى الآية الكريمة ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ (المائدة : ٤٤) فهذه الآية وفقاً لرأى أصحاب المنهج السالف تفسر على عموم ألفاظها ، فتعنى أن كل مجتمع وكل نظام حكم لا يحكم بما أنزل الله (وفقاً لتصورهم للتنزيل وتفسيرهم له) ، يعتبر مجتمعاً كافراً وبذلك يتعين شرعاً مقاومته والخروج عليه وتقويضه ، وهكذا ينتهى المنهج التقليدى إلى التوافق مع الاتجاه المتطرف والإرهابى فى نتيجة اعتبار المجتمعات والحكومات كافرة.

---

(١) - سعيد العشماوى ، لجنة الفتوى بالأزهر غير شرعية لا أى سند قانونى (روز اليوسف) ع ٣٤٥٤ بتاريخ ١٩٩٤/٨/٢٢ ص٢٩.

ويضيف سعيد العشماوى فى عرض حجته إلى قوله :

"أما المنهج السديد ، الذى يفسر الآيات وفقاً للظروف التاريخية وتبعاً لأسباب تنزيلها فإنه يرى أن الآية المنوه عنها تنزلت فى يهود المدينة فى واقعة معينة ، طلبوا فيها من النبى ﷺ أن يقضى بحكم الله فى التوراة على يهوديين كانا قد ارتكبا فعل الزنا ، ثم أخفى اليهود (أنكروا) عن النبى ﷺ حكم الله فى التوراة بمتابعة الزانى بالرجم ، فالآية من ثم تتصل بواقعة معينة وتشير إلى اليهود فى المدينة ولا تعنى المجتمعات أو الحكومات ، كما لا يجوز إطلاقها على المسلمين مهما كانت أخطاؤهم".

ويصل العشماوى إلى استنتاج يقول فيه :"من هذا يتبين لنا بوضح أن المنهج فى تفسير آية قرآنية قد يجنح إلى خطأ شديد ، ويتبين تفسيراً لم يردده التنزيل ، كما أنه من جانب آخر - لو اتبع سبيل التفسير السليم يصل إلى الحقيقة ويعلن التفسير الذى أراده الشارع الأعظم"[1].

فإذا أخذنا بأسباب التنزيل فى الآية ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ (المائدة : ٤٤) . من حيث أن الآية نزلت لمعالجة واقعة زنا بين يهوديين لجأ اليهود فى المدينة للحكم فيها للرسول ﷺ ولم يذكروا ما أنزل الله فى مثل هذه الحادثة من حكم توراته ، وقصرنا قوله تعالى على اليهود وعلى النص التوراتى الذى جاء فى عقاب الزنا ، ونظرنا فى آية الرجم، وقد وردت فى نص القرآن للحكم بين المسلمين فى جريمة الزنا ، فماذا نقول ، غير أن المسلم الحق مطالب بالحكم بما أنزل الله فى قرآنه على نبى الإسلام فيما يختص بجريمة الزنا. قال تعالى ﴿ والزانى والزانية فاجلدوا كل منهم مائة جلدة ولا تأخذكم رحمة فى دين الله﴾ (النور ٢).

ومن الواضح أن الجلد غير الرجم _ ولكن دون المتهم والعقاب أو القصاص تقف حتمية ثبوت الفعل الحرام ثبوتاً شرعياً ، الدقة والإثبات بهذه فيه استحالة ربما - فى مجتمعاتنا المعاصرة إذا ما ارتكبت هذه الفاحشة فى داخل مساكن مغلقة.

(1) - سعيد العشماوى ، م ، ن ، ص٢٩.

ويكون ما ساقه المستشار العشماوى وجيهاً وصحيحاً فى الأخذ بأسباب التنزيل عند تفسير أى الذكر الحكيم.

إذ أن حكم الله على الزانى والزانية فى شريعة الإسلام لا يحول الزانى والزانية إلى كافرين ، ومن ثم لا يكفر المجتمع الذى لم يحكم بهذا الحكم الذى شرعه الله فى شأن فاحشة الزنا الرجم فى حالة المحصنات والجلد لغير المحصنات–.

وإذا مضينا فى استعراض وجهة نظر أصحاب الفكر المناهض لأصحاب مصادر الفكر الإرهابى الفوضوى المتمسح بالدين وصولا إلى كشف نماذج تلك المصادر التى تعد الإرهاب بالأصول الفكرية التى تشتعل بها قدراته وطاقاته التدميرية لكل المظاهر الاجتماعية والحضارية والرموز الوطنية والطاقات الاستثمارية . فإن القصد من وراء ذلك هو محاولة فض الاشتباك بين الدين والفكر الفوضوى التدينى من ناحية وبين الفكر التدينى الفوضوى والمجتمع الذى يعانى من تبعاته الإرهابية من ناحية أخرى.

فض الاشتباك بين الدين والفكر الدينى وبين الفكر الدينى والمجتمع :

إن الحكم بمصداقية الجماعات الدينية فى فض الاشتباك بين النصوص الدينية ونصوص تفسيرات أصحاب الفكر الدينى يلزم أنه يتعين على من يريد الكشف عن علاقة الإرهاب بالدين أن يجهد نفسه فى رد الفكر الإرهابى المنطلق من فهم النص الدينى إلى مراجعه . فكر هذه الجماعات وتحليل النصوص والمراجع ومن ثم موازنتها مع المصادر الدينية (النصوص الدينية) فإذا كان الفكر الدينى الإسلامى قد توقف عند عدد من القضايا التى تبحث مفاهيم دينية فإن فهم بعض المفكرين الإسلاميين للجهاد عندهم فيه إشكالية وفهمهم للعبادات فيه إشكالية ، وفهمهم لدور المسجد فيه إشكالية وفهمهم لشروط الزواج الإسلامى فيه إشكالية وفهمهم لمصطلح الجاهلية ولمصطلح الكفر والاستحلال فيه إشكالية . وتقديرهم لمنزلة الوالدين مقصور على اتباع الوالدين لمنهجهم الدينى الحزبى ، وفهمهم لمسألة الإمامة أو الخلافة فيه إشكالية وفى اجتهاداتهم إشكالية وتنحصر هذه الإشكاليات فى البون الشاسع الذى يجده علماء المسلمين المعاصرين بين الفكر الدينى لهؤلاء فى إطار هذه

القضايا - وهو ما يفضي إلى وجود إشكالية رئيسية - محورية - هي اتهامهم للمجتمعات الإسلامية كلها - باستثناء الجيتو الإسلامي الذى يعيشون فيه كجماعات - بالجاهلية ، وهو ما يعني تكفيرهم للمجتمعات الإسلامية أنظمة وشعوباً لأن المجتمعات الإسلامية علماء وأنظمة حاكمة وشعوبا تتجه نحو النصوص الدينية روحا وتتمسك بها وترفض فكرهم الديني الحزبي الذى يرى أن الله سبحانه خلقنا لنقيم الدولة الإسلامية وليس لعبادة الله التي فرضها لأن العبادة عندهم ليست الأركان الأربعة (الصلاة - الزكاة - الصوم - الحج) لذلك لا مندوحة عن الوقفة التحليلية المقارنة بين النص الديني والفكر الديني في مواجهة هذه الإشكاليات المتمثلة في اتهام مجتمعاتنا المسلمة بالجاهلية ، ومن ثم وجبت على تلك الجماعات فريضة جهادهم للمجتمعات المسلمة ومن ثم إرهابها امتثالا لقول الله :﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ (الأنفال : ٦٠).

ويدخل في هذا الإرهاب استحلال دماء الأفراد من (المسلمين الجاهليين) (وهم نحن مجتمعات الإسلام) واستحلال نسائهم وأموالهم لأنها مجتمعات جاهلية كافرة في نظرهم ومن ثم وجبت على أعضاء الجماعات هجرة هذه الجماعات واعتبار مساجدها مساجد ضرار مع أن مساجدهم هي التي توقع الضرر بالمسلمين وبالإسلام لأنها مكان لحياكة المؤامرات والخطط التي يروح المسلمون رجالا ونساء وأطفالا ضحايا لها وتستخدم مخازن للسلاح وأماكن لطبع المنشورات.

رسالة المسجد بين التقوى والضرار :

عرف تاريخ المسجد في بداية الدعوة بعد الهجرة رسالتين إحداهما هي التقوى وتلك كانت هي الرسالة الإسلامية الحقة . أما الرسالة الثانية فهي الضرار ، حيث يستخدم المسجد للتخطيط والتآمر على المسلمين أنفسهم.

قال تعالى :﴿ لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين ﴾ (التوبة : آية ١٠٨).

وقال عز وجل :﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال ﴾ (النور : آية ٣٦).

والمسجد الذى تشير إليه الآية مسجد (قباء) فهو أول مسجد بنى فى الإسلام ، وهو المسجد الذى أسس على التقوى"[1].

"أما مسجد الضرار فهو المسجد الذى أقامه المنافقون مضاهاة لمسجد قباء ، وإضرارا بالمسلمين ، إذ يلتقون فيه للمكر بالإسلام تحت شعار التجمع ، العبادة ويطعنون فيه رسول الله ﷺ ويستهزئون به وبأصحابه ، حتى كشف الله لنبيه نواياهم الخبيثة ، ونهاه عن الصلاة فيه ، مما حدا برسول الله إلى هدمه وحرقه"[2].

وقد أشار القرآن الكريم إلى المسجد فى مناسبات متعددة ، وقد قال﴿ قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون ﴾ (الأعراف : آية ٢٩) . ويقول سبحانه :﴿ يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾ (الأعراف : ٣١) . وقال تعالى :﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ (الجن : ١٨).

وقال جل جلاله :﴿ فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله . وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار . ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ (النور : الآية ٣٦-٣٧-٣٨).

والمسجد فى الحديث النبوى كثير ذكره قال عليه الصلاة والسلام :"جعلت لى الأرض مسجداً وطهورا "ويقول أيضا :"أحب البلاد إلى الله مساجدها" وقال عليه الصلاة السلام :"لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى " ويقول :"من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة " ويقول :"إن الله تعالى قال :"إن بيوتى فى الأرض المساجد ، وإن زوارى فيها

---

[1] عبد العزيز محمد الليلم ، رسالة المسجد فى الإسلام ، ط٤ ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٢م) ص١٣.

[2] م . ن ، ص١٤.

عمارها ، فطوبى لمن تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى ، فحق على المزور أن يكرم زائره"[1].

"أصبح مسجد رسول الله ﷺ منذ إنشائه مكانا للصلاة والعبادة ، وملتقى الرسول بالصحابة ، ومقراً للمجاهدين المسلمين منه ينطلقون إلى ساحات الجهاد ، ومركزا يرتاده المسلمون ليتعلموا أصول دينهم"[2].

فإذا كانت تلك هى رسالة المسجد على أيام الرسول ﷺ وصحابته ومن تبعهم فما هى رسالة المسجد عند الجماعات الإسلامية ؟

رسالة المسجد عند الجماعات الإسلامية :

يقول طلعت فؤاد* : "عملنا الدعوة وأن كان يتم فى السابق داخل المساجد إلا أنه لم يتوقف بعد سيطرة الحكومة على هذه المساجد وهناك ابتكارات نجحت فيها الجماعة لاستقرار عملها مثل استخدام البث المباشر بالفيديو وشرائط الكاسيت والمجلات والمطبوعات المختلفة تقوم بنفس الدور ناهيك عن أن تربية العناصر فى الشقق كبديل عن المساجد نتيجة للوضع الأمنى تتيح لنا فرصة تكثيف البرامج مع هذه العناصر . باختصار عملنا مستمر لكن تغيرت وسائله وأساليبه"[3].

فالمسجد عندهم وسيلة للتجنيد وتعميق الفرقة بين المسلمين فهو مسجد ضرار لأنه مجرد مكان يمكن استبداله بشقة مفروشة أو بشرائط فيديو فالمسجد عندهم ملكية خاصة فلئن أشرفت عليه الحكومة هجروه واستبدلوه بالشقق والمنشورات وشرائط الفيديو والكاسيت فبعد أن كان المسجد فى الإسلام هو الجامعة التى تخرج منها علماء الحديث والفقه واللغة والنحو والأدب كما حفظ لنا التاريخ فمن مسجد الرسول فى المدينة تألق الإمام مالك بن أنس ، ومن جامع الفسطاط بمصر تألق محمد بن إدريس الشافعى وفى المسجد فى الكوفة وبغداد تألق أبو حنيفة النعمان.

---

[1] راجع : وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ١/٢٣٧.

[2] عبد العزيز محمد اللميلم ، س ، ص ٥٤.

* هو مسؤول الإعلام بتنظيم الجماعات الإسلامية فى مصر.

[3] حوار مع جريدة الأهالى المصرية ع ٩ فبراير ١٩٩٤ . أيضا : عبد القادر شهيب ، ممولوا الإرهاب فى مصر ، القاهرة – دار الهلال – ١٩٩٤ – ص ١٣٩.

فإننا نرى للمسجد عند الجماعات الدينية وظائف غير تلك التى عرفناها له على مر العصور ، حيث "جهزت المساجد التى يجتمعون فيها ، بتجهيزات خاصة فأصبح من الصعب دخول أى عنصر عليهم ، أو سماعهم ، فتم تركيب الشبابيك قرب سقف المسجد ، والغيت مكبرات الصوت (فى) أثناء الاجتماعات ، وتم اختيار المساجد القريبة من الحقول لسهولة الهرب حال وجود قوات الأمن . وكان الحضور بالزى الرسمى للجماعة وهو عبارة عن جلباب وسروال وشال على الرأس"[1] هذا هو مسجد "الضرار" لأنه استخدم لإيقاع الضرر بالمسلمين وبالإسلام . ومن الغريب أن هذه الجماعات على مختلف أشكالها تقف من المساجد موقفا متشابها فهذا (صالح سرية)* الذى قال فى (رسالة الإيمان) بعدم شرعية بناء المساجد أو الصلاة فيها "لأنها مسجد ضرار"[2] ويؤكد ذلك ما جاء فى تقرير أمنى حول (الجيل الرابع للمتطرفين) حيث جاء فى الفقرة الخامسة من التقرير ما يأتى : "فمن المعلوم أن المواطن – خاصة فى الصعيد – لن يتعاون مع جهاز أمنى ضعيف خائف لا يستطيع حماية نفسه ، لأنه ببساطة لا يثق فى قدرته على حمايته لو تعاون أو أبلغ أو حاول منع جماعات الإرهاب . وحكاية ناظر مدرسة "موشا" أبلغ دليل على ذلك حينما تصدى لبعض العناصر التى كانت تخفى الأسلحة بأحد مساجد القرية ولقى جزاء تصرفه حينذاك – إذ قتل على مرأى ومسمع من أهالى القرية حتى تصل الرسالة للجميع"[3].

---

[1] مصطفى سلماوى ، التطرف فى القرن العشرين ، (٢٧) جريدة الأنباء الكويتية – الخميس ٧ يناير ١٩٩٣ ، صـ٢١. ٢١.

* – صالح سرية ، هو قائد تنظيم إسلامى فى مصر هاجم الكلية الفنية العسكرية بالقاهرة هو وجماعته فى ١٩٧٤/٤/١٧ على أمل تنصيب نفسه رئيسا للجمهورية حيث أعد بيانه الأول استعدادا لإذاعته حالة نجاح عمليته العسكرية تلك فى قلب الحكم فى مصر باسم (بيان صالح سرية رئيس الجمهورية) (راجع البيان فى حيثيات الحكم الصادر فى قضية "جماعة شباب محمد" المعروفة إعلاميا بقضية (الفنية العسكرية).

[2] – صالح سرية ، رسالة الإيمان صـ ١٨.

[3] نبيل شرف الدين ، تقرير إعلامى حول الجيل الرابع للمتطرفين (مجلة روز اليوسف المصرية) العدد (٣٤٧٧) فى ١٩٩٥/١/٣٠ ، صـ ٣١.

ويسجل الإرهابى محمود السيد سليم* فى مذكراته التى كتبها بخط يده وعثرت عليها القوة الأمنية المهاجمة للوكر الذى اختفى فيه بعد أن قتلته يسجل نظرتهم لدور المسجد الذى جعلوه مكانا للإضرار بالمسلمين "ذهبت مع الشيخ أحمد هاشم أمير الجماعة إلى مسجد النور ببنى يحيى ، وطلبت منه ألا يحرمنا الأجر فى القصاص من الكفرة ، وضرب الصفحات .. فطلب منى الشيخ المزيد من السمع والطاعة ففرحت وذهبت للجلوس مع الشيخ أحمد زكى ، وهو قائد مسلح فى الجماعة "ويضيف"وحضرنا للمسجد ومعنا بندقيتان آليتان ، وقال لنا الشيخ: "أمامنا ثلاثة أهداف : الأول هو اللواء محمد شحاته ، والثانى هو محمد نجيب مأمور مركز ديروط الجديد الذى قال لن أترك البلد حتى ألبس أهلها الطرح .. والثالث هو خيرى ضابط المباحث"[1] .ويشير السيد يوسف إلى ما يعرف بالبيعة الثانية لعضوية الإخوان المسلمين وهى بيعة إرهاب تتم ليلا عبر لقاء فى مسجد بناحية الحلمية على أيام حسن البنا - وهو ما يؤكد وظيفة المسجد فى شرعهم فيقول: (فى جماعة الإخوان المسلمين كان هناك بيعتان ، الأولى لحسن البنا المرشد العام والثانية لقائد التنظيم الخاص ، فالأولى علنية على المصحف وحده ، والثانية فى الظلام الدامس على المصحف والمسدس.

من أجل البيعة الثانية كان الأعضاء يلتقون ليلا فى مسجد بالحلمية ويسلكون طرقاً ملتوية تؤدى إلى منزل بعيد عن الأنظار يؤدى إلى حجرة مظلمة يجلس فيها أمام مغطى الرأس ، وأمامه المصحف والمسدس) [2].

وكان على المبايع الالتزام بما يأتى : "بالعمل والطاعة والصمت " هذا إلى جانب تسليمه بسيطرة الجماعة على حياة العضو بكل تفاصيلها اليومية الدقيقة.

---

* وهو قائد تنظيم الإرهاب والجناح العسكرى بعد قتل طلعت ياسين همام - والمذكرات عبارة عن كراسة تحتوى على ١٥٢ صفحة تضمنت بكثير من الفخر تفاصيل العمليات الإرهابية فى الصعيد وقد ارتكب وحدة ٣٦ عملية من ٢٥٠ عملية.

[1] مجدى دربالة (تقرير حول) : "مذكرات قائد الإرهابيين فى الصعيد بخط يده (روز اليوسف) م ، ن ، ص ٢٦-٢٧.

[2] السيد يوسف ، م ، س.

امتثالا لعبارات الجماعة ومفاهيمها النظرية : "إن على كل مسلم أن يعتقد أن هذا المنهج كله من الإسلام ، وأن أى نقص منه نقص من الفكرة الإسلامية الصحيحة" وكذلك : "إن كل مسلم لا يؤمن بهذا المنهاج ولا يعمل لتحقيقه لا حظ له فى الإسلام". وهى مفاهيم حسن البنا* وسيد قطب وهو منهاج يكفر من لا يؤمن به : "أتحسب أن المسلم الذى يرضى بحياتنا اليوم ويتفرغ للعبادة ويترك الدنيا والسياسة للعجزة الآثمين ، يسمى مسلما ؟ كلا إنه ليس بمسلم"[1].

فإذا كان هذا منهاج الإخوان المسلمين فى الثلاثينيات والأربعينيات فإن منهاج جماعة التكفير والهجرة** فى السبعينيات هو نفسه منهاج الإخوان المسلمين حيث جاء فى أقوال أميرها شكرى مصطفى : "إن الإسلام ليس بالتلفظ بالشهادتين ولكنه إقرار وعمل ومن هنا كان المسلم الذى يفارق "الجماعة المسلمة "كافرا".

وهنا نقف من جديد عند إشكالية مفهوم جاهلية المجتمعات المسلمة الذى ابتكره بعض المفكرين المسلمين :(حسن البنا - المودودى - سيد قطب٩ (٣ رجب ١٣٢١ هـ - الموافق ٢٥ سبتمبر ١٩٠٣م) بعد أن وقفنا على إشكالية رسالة المسجد التى تبينا أن دعوة الجماعات الإسلامية وتنظيماتها المختلفة إلى رفض الصلاة فى المساجد والحض عليها لجاهلية المجتمع وتمحورهم حول الفكرة الداعية إلى هجرة هذه المساجد والمجتمع لأنها مساجد ضرار ، إنما قد كانت على غير الحق وإنما

---

* حسن البنا ولد فى عام ١٩٠٦ م وقتل فى عام ١٩٤٩م فى مدينة الإسماعيلية وعمل بها مدرسا وهو مؤسس جماعة الإخوان المسلمين فى مصر فى مارس سنة ١٩٢٨ م ورئيس مكتب إرشاد الإخوان فى عام ١٩٣٣ ومرشدهم العام وهو مكتب لا هرمى يضم رئيسه وعشرة نواب له ويقوم هو بدور الخيط فى المسبحة ويشكل العشرة الباقون حبات المسبحة.

وهذه التسمية الإعلامية (الجماعة المسلمة) التى أسسها شكرى مصطفى وهو أميرها الذى أدين وعدد من أعضائها بقتل الشيخ الذهبى وزير الأوقاف المصرى (١٩٧٧) فى عهد السادات واعدم شنقا مع أربعة آخرين منهم محمد عبد السلام فرج صاحب كتاب (الفريضة الغائبة).

(1) حسن البنا ، مقال بعنوان "بين الدين والسياسة" جريدة (الإخوان المسلمين) فى ١٩٤٥/٣/٤م.

** ولفظ (الجماعة المسلمة) مقصود به قصر الإسلام عليها لتشمل الكل والبعض فهى ليست تدل على جماعة من المسلمين ولكنها تقصر الإسلام على جماعة بعينها هى جماعة (التكفير والهجرة) ومن المعروف فى الفقه أن "لجماعة المسلمين حقوقا . ذلك أن من والاها قد والى صحيح الدين ومن خالفها خالفه ، ومفارقها مفارق للإسلام (راجع تحليل رفعت السعيد لهذه المسألة فى مقاله (مرفوض أم مفترض) مجلة (القاهرة) م . س . ص ٦٣ وفى الحديث الشريف من خرج على الجماعة فاضربوه بحد السيف".

كان استخدامهم للمساجد الخاصة التى أنشأوها ومارسوا فيها التآمر على المسلمين على اعتبار أنهم يرون المجتمع الإسلامى مجتمعا جاهليا كافرا - لأنه ليس مجتمعهم السياسى والحزبى - من هنا اتخذوا لهم مجتمعات أشبه ما تكون (بالجيتو)** اليهودى واتخذوا من المسجد مكانا للإضرار بالناس مجتمعا وحكومة حيث تخزين السلاح وتجنيد الأعضاء وتلقين الفكر الدينى الذى يرى أن التفرغ للعبادة ليس من الإسلام بل هو كفر وهذا ما تؤكده قاله حسن البنا : "أتحسب أن المسلم الذى يرضى بحياتنا اليوم ويتفرغ للعبادة ، ويترك الدنيا والسياسة للعجزة الآثمين ،يسمى مسلما ؟ كلا إنه ليس بمسلم " وهو نفسه الذى يقرره سيد قطب حين قال : "إن وظيفة المنهج الربانى أن يعطينا - نحن أصحاب الدعوة الإسلامية منهجا خاصا للتفكير ، نبرأ به من رواسب مناهج التفكير الجاهلية السائدة فى الأرض . والتى يضغط على عقولنا ، وتترسب فى ثقافتنا .. فإذا نحن أردنا أن نتناول هذا الدين بمنهج تفكير غريب عن طبيعته ، من مناهج التفكير الجاهلى الغالبة ، كنا قد أبطلنا وظيفته التى جاء ليؤديها للبشرية ، وحرمنا أنفسنا فرصة الخلاص من ضغط المنهج الجاهلى السائد فى عصرنا وفرصة الخلاص من رواسبه فى عقولنا وتكويننا[1].

وهو على طريق إدانته للمجتمعات الإسلامية بالجاهلية يصمها بالكفر لأن المجتمع الجاهلى إنما وصف كذلك وصنف عصره تاريخيا بهذا التصنيف لأنه سابق على الإسلام ملاحق له رفضا ومحاربة لذلك يضع سيد قطب لأصحاب الدعوة الإسلامية التى يراها فاضة لمجتمعات الجاهلية (مجتمعاتنا) معالم فى طريق دعوتهم وتنظيم المخلص لتلك المجتمعات التنظيم الذى وضع فى عنقه مهمة رد هذه المجتمعات الجاهلية إلى الإسلام لذلك لا يفتأ يكرر حضه : "ومرة أخرى أكرر أن التصور الاعتقادى يجب أن يتمثل من فوره فى تجمع حركى* ، وأن يكون التجمع الحركى فى الوقت ذاته تمثيلا صحيحا وبراجعة حقيقية للتصور الاعتقادى ". وهو

** المجتمع اليهودى المقصور على اليهود سكنا وعلاقات وعبادات والانغلاق الثقافى على اليهود فقط.

[1] سيد قطب ، معالم فى الطريق ، الطبعة الشرعية العاشرة (بيروت ، دار الشروق ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) ص٤٣.

* ما التجمع الحركى سوى التنظيم أو الخلايا السرية المنظمة والمسألة هنا تؤدى إلى السياسة لا إلى الدين ، وذلك الأمر نفسه هو الذى عرفه الشيعة (إسماعيلية - قرمطية ٠ الإثناعشرية _..).

يدين علماء الإسلام المعاصرين لدورهم فى الكشف عن الأحكام الفقهية والبحوث الفقهية الإسلامية بقولة "أن الحل "إن الجاهلية التى حولنا - كما أنها تضغط على أعصاب بعض المخلصين من أصحاب الدعوة الإسلامية فتجعلهم يتعجلون خطوات المنهج الإسلامى - هى كذلك تتعمد أحيانا أن تخرجهم فتسألهم أين تفصيلات نظامكم الذى تدعون إليه ؟ وماذا أعددتم لتنفيذه من بحوث ومن دراسات ومن فقه مقنن على الأصول الحديثة ! كأن الذى ينقص الناس فى هذا الزمان لإقامة شريعة الإسلام فى الأرض هو مجرد الأحكام الفقهية والبحوث الإسلامية وكأنما هم مستسلمون لحاكمية الله واضون بأن تحكمهم شريعته"[1].

إن القراءة التحليلية المتأملة لمأخذ سيد قطب على علماء المسلمين المعاصرين تتمثل فى رفضه لاستجابتهم للحكام حين يسألونهم عن تفصيلات النظام الإسلامى الذى يدعون إنهم عليه . هو يأخذ على العلماء إذ يجرون البحوث الفقهية المبينة للدين ولأحكامه ، ويرى أنه كان على هؤلاء العلماء أن يتريثوا لأن عملهم تال على نجاح التنظيمات الإسلامية فى إقامة دولتهم ، يطالبهم بادخار بحوثهم ودراساتهم التشريعية الفقهية حتى يتحقق قيام الدولة الإسلامية ، هو يطالبهم بتعطيل آلة البحث الفقهى ، والكف عن تبصير الناس ، (لأن الناس غير مستسلمين لحاكمية الله وغير راضين بأن تحكمهم الشريعة - وفق فهم جماعة الإخوان المسلمين -.

إن هناك أولويات تحكم منهج سيد قطب الفكرى (فالحاكمية) هى الأساس أى أن يهدم المجتمع الإسلامى (الجاهلى) القائم فى العالم الإسلامى ثم تقوم الدولة الإسلامية وفق منهج الجماعة وبعدها يمكن أن يأتى دور العلماء فى الدرس الفقهى والتقنين على الأصول الحديثة ولذلك فهو يوجه أعضاء الجماعات الإسلامية و(الإخوان المسلمين) - قبل ذلك - إلى واجبهم بقوله :"ومن واجب أصحاب الدعوة الإسلامية ألا يستجيبوا للمناورة من واجبهم أن يرفضوا إملاء منهج غريب على حركتهم وعلى دينهم ! من واجبهم ألا يستخفهم الذين لا يوافقون!.

ومن واجبهم أن يكشفوا مناورة الإحراج . وأن يستعلوا عليها ، وأن يرفضوا السخرية الهازلة فى ما يسمى "تطوير الفقه الإسلامى" فى مجتمع لا يعلن خضوعه

---

[1] سيد قطب ، م ، ن ص ٤٤.

لشريعة الله ورفضه لكل شريعة سواها من واجبهم أن يرفضوا هذه التلهية عن العمل الجاد .. التلهية باستنبات البذور في الهواء .. وأن يرفضوا الخدعة الخبيثة ! [1]".

وهو وفق هذا النهج في التفكير لا يرى في وظيفة شيخ الأزهر ولا في وظيفة المفتي ولا في وظيفة جامعة الأزهر بكلياتها الشرعية جدوى للإسلام بل لا يرى في خطباء المساجد ولا في المساجد دوراً لأن الدول جاهلية ويصبح مثل هؤلاء العلماء والمعاهد مثل "استنبات البذور في الهواء .."

إنه لا يريد تنظيرا أو تفسيرا لأنه يرى واجب الدعاة في الحركة وليس في التفسير ولا التنظير : "من واجبهم أن يتحركوا وفق منهج هذا الدين في الحركة ، فهذا من أسرار قوته وهذا هو مصدر قوتهم كذلك[2] " والحركة تعني السياسة والسياسة يجب أن تكون مضادة ومناهضة للسياسة القائمة لأن السياسة القائمة إنما هي سياسة المجتمع الجاهلي ولا مجال للحركة التي ينادي بها سوى التنظيمات السرية . وسيد قطب يوضح ذلك بقوله : "هذه الجاهلية التي واجهها كل رسول بالدعوة إلى الإسلام لله وحده والتي واجهها رسول الله صلى الله عليه وسلم - بدعوته .. هذه الجاهلية لم تكن متمثلة في "نظرية" مجردة . بل ربما أحيانا لم تكن لها "نظرية" على الإطلاق ! إنما كانت متمثلة دائما في تجمع حركي متمثلة في مجتمع خاضع لقيادة هذا المجتمع ، وخاضع لتصوراته وقيمه"[3].

وهو يدعو صراحة إلى التنظيم السري : "لم يكن هناك بد أن تتمثل القاعدة النظرية للإسلام (أي العقيدة) في تجميع عضوي حركي منذ اللحظة الأولى .. لم يكن هناك بد أن ينشأ تجمع عضوي حركي آخر غير التجمع الجاهلي ، منفصل ومستقل عن التجمع العضوي الحركي الجاهلي الذي يستهدف الإسلام الغاءه ، وأن يكون محور التجمع الجديد هو القيادة الجديدة المتمثلة في رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعده في كل قيادة إسلامية تستهدف رد الناس إلى ألوهية الله وحده

---

(1) سيد قطب ، م ، ن ، ص ٤٥.

(2) م ، ن ، ص ٤٥.

(3) سيد قطب ، م ، ن ، ص ٤٧ وهو يحيل القارئ إلى أبي الأعلى المودودي في هامش رقم (1) من صفحة ٤٧ ذاتها (1) يراجع بتوسع في هذه النقطة كتاب "مبادئ الإسلام" للسيد أبي الأعلى المودودي أمير الجماعة الإسلامية في باكستان".

وربوبيته وقوامته وحاكميته وسلطانه وشريعته - وأن يخلع كل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ولاءه من التجمع الحركي الجاهلي - أي التجمع الذي جاء منه ومن قيادة ذلك التجمع - في أية صورة كانت ، سواء كانت في صورة قيادة دينية من الكهنة والسدنة والسحرة والعرافين ومن إليهم ، أو في صورة قيادة سياسية واجتماعية واقتصادية كالتي كانت لقريش - وأن يحصر ولاءه في التجمع العضوي الحركي الإسلامي الجدي ، وفي قيادته المسلمة"[1].

أي أنه يدعو إلى تنظيم سياسي ديني :(التجمع العضوي الحركي الإسلامي) مناهض لكل أشكال القيادة الدينية القائمة ولكل أشكال القيادة السياسية القائمة وما هذا (التجمع العضوي الحركي الإسلامي) سوى الإخوان المسلمين والجماعات الإسلامية.

وهذا التجمع العضوي الحركي أو التنظيم السياسي الإسلامي السري هو بيت القصيد وهو الذي سيرد المسلمين إلى الدين الإسلامي . فنحن مرتدين . كل العالم الإسلامي يعيش حياة الجاهلية في نظره وفي نظر المودودي لذلك يكرر عبارة (تجمع عضوي حركي إسلامي جديد) ! "وهكذا وجد الإسلام .. هكذا وجد متمثلا في قاعدة نظرية مجملة -ولكنها شاملة - يقوم عليها في نفس اللحظة تجمع عضوي حركي ، مستقل منفصل عن المجتمع الجاهلي ومواجه لهذا المجتمع .. ولم يوجد قط في صورة "نظرية" مجردة عن هذا الوجود الفعلي..

هكذا يمكن أن يوجد الإسلام مرة أخرى ، ولا سبيل لإعادة إنشائه في ظل المجتمع الجاهلي في أي زمان وفي أي مكان بغير الفقه الضروري لطبيعة نشأته العضوية الحركية "[2].وهو يربط الدعوة للإسلام بالبيان والحركة معا : "وإذا كان "البيان" يواجه العقائد والتطورات ،فإن "الحركة" تواجه العقبات المادية الأخرى - وفي مقدمتها السلطان السياسي القائم على العوامل الاعتقادية التصورية بل أنه لا يقف عند مواجهة السلطة السياسية للأنظمة القائمة في البلد المسلم ، بل يدعو إلى مواجهة الواقع البشري بجملته :"وهما معا - البيان والحركة - يواجهان "الواقع

---

(١) سيد قطب ، م ، ن ، صـ ٥٠.

(٢) سيد قطب ، م ، ن ، صـ ٥١.

البشرى" بجملته ، برسائل مكافئة لكل مكوناته .. وهما معا لابد منهما لانطلاق حركة التحرير للإنسان فى الأرض .."الإنسان " كله فى "الأرض "كلها .. وهذه نقطة مهمة لابد من تقريرها مرة أخرى.

إن هذا الدين ليس إعلانا لتحرير الإنسان العربى ! وليس رسالة خاصة بالعرب ! .. إن موضوعه هو "الإنسان" نوع "الإنسان" .. ومجاله هو "الأرض" .. كل الأرض .. إن الله سبحانه – ليس ربًا للعرب وحدهم ولا حتى لمن يعتنقون العقيدة الإسلامية وحدهم .. إن الله هو رب العالمين "وهذا الدين يريد أن يرد "العالمين" إلى ربهم"[1].

إن فى هذا قطع بتكفير الناس فى كل بلاد العالم ، ومن ثم إعادتهم بالقوة إلى حظيرة الإسلام !! أليست تلك الدعوة هى تربية للإرهاب ؟! وهل تقف الشعوب غير المسلمة (مسيحية ويهودية) موقف المكتوف اليدين بازاء هذا التنظير الذى يستهدف حربها ؟ فالحرب هى القاعدة الأساسية . يرى سيد قطب أن كف أيدى المسلمين فى مكة عن الجهاد بالسيف مفهوم لأنه كان مكفولا للدعوة فى مكة حرية البلاغ .. كان صاحبها – صلى الله عليه وسلم – يملك بحماية سيوف بنى هاشم ، أن يصدع بالدعوة ، ويخاطب بها الآذان والعقول والقلوب . ويواجه بها الأفراد..

لم تكن هناك سلطة سياسية منظمة تمنعه من إبلاغ الدعوة أو تمنع الأفراد من سماعه ! فلا ضرورة – فى هذه المرحلة – لاستخدام القوة"[2] على ذلك فإن حرب الجماعات الإسلامية للأنظمة السياسية أصل لتحقيق الإسلام . ويرى فى كف أيدى المسلمين عن القتال فى مكة عملا بقول الله تعالى :"﴿ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ (النساء) إلى جانب انعدام السلطة السياسية فى مكة وحماية قريش لمحمد ﷺ وهذه كلها استثناء ، بينما الأصل هو الحرب !! من ثم فهو يدعو إلى تربية الإرهاب فى نفوس أعضاء التنظيمات الإسلامية السرية فهو يرى فى توقف الدين عن حض المسلمين على قتال غير

---

[1] سيد قطب ، م ، ن ، ص ٦١-٦٢.

[2] م ، ن ، ص ٦٩.

المسلمين ما هو إلا مرحلة لتطبيع عادات المسلمين الأول وسلوكهم للخروج عن فلسفة الذود عن الذات إلى فلسفة الذود عن العقيدة.

ونخرج من نظرية جاهلية المجتمعات الإسلامية التى أرساها تنظير أبى الأعلى المودودى - أمير الجماعات الإسلامية فى باكستان - ووضع مناهج تجسيدها التنظيمى الحركى المواجه بقوة الإرهاب لتلك المجتمعات الإسلامية الجاهلية فى عرفهما - موضوع التطبيق سيد قطب مفكر جماعة الإخوان المسلمين فى مصر - إلى مناقشة إشكالية الخلط بين الهجرة النبوية للمسلمين الأول (الصحابة المهاجرون) والهجرة التكفيرية للجماعات الإسلامية فى عصرنا.

بين الهجرة النبوية والهجرة التكفيرية :

قال تعالى : ﴿ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله ﴾ (التوبة : آية ٢٠).

وقال عز من قائل : ﴿ فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ﴾ (آل عمران : آية ١٩٥).

وقوله تعالى : ﴿ والذين هاجروا فى الله بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ﴾ (النحل : آية ٤١) هذا عن الهجرة النبوية ودوافعها ونتائجها التى وعد بها سبحانه.

أما عن مكانة الأنصار الذين ناصروا المهاجرين فقد قال تعالى : ﴿ والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ﴾ (الحشر : آية ٩).

والهجرة فى الحديث النبوى نوعان وذلك بنص الحديث الشريف : "إنما الأعمال بالنيات وغنما لكل امرئ مانوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه".

فهناك هجرة دنيوية وهناك هجرة دينية أخروية تضمنها هذا الحديث ولا تلازم بينهما ، فإما أن تكون للدين وإما تكون للدنيا.

أما الأمر بالهجرة المكانية فقد تمثل فى دعوة الرسول ﷺ لأصحابه للهجرة إلى الحبشة : "لو خرجتم إلى ارض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم أحد عنده ، وهى

أرض صدق ،. حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه ، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مخالفة الفتنة وفرارا إلى الله عز وجل بدينهم ، فكانت أول هجرة فى الإسلام"[1].

قال تعالى :"(يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) (الحجرات ١٣).

والتقوى محلها القلب والضمير وما فى الضمير يعلمه الله فهو أعلم بالمتقين فلئن حكم (ابن امرأة) على ضمائر الناس فقد نصب من نفسه شريكا لله فى علمه.

وقال صلى الله عليه وسلم فى فتح مكة :"يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية ، وتعظمها بالآباء ، والناس من آدم ، وآدم من تراب".

وقال صلى الله عليه وسلم أيضا حين تم له فتح مكة :"يا معشر قريش ما ترون إنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء"[2].

فإذا كان هذا ما جرى على المشركين والكفار فهل يصبح مقبولا مع ما أخبر به الرسول ﷺ المشركين فور فتحه لمكة والبيت الحرام أن يصم أحد المسلمين وفيهم علماء أجلاء بالجاهلية ؟!! إن ما يصم به المودودى ثم سيد قطب من بعده المسلمين من جاهلية مخالف لما أخبر به الرسول الكريم وهو سيدنا ﷺ المشركين فها نحن أحط فى نظر هذين الحبرين من المشركين ؟!! وإذا كان هذا الوصف منهما لنا نحن معشر الإسلام وحماته فهل يجوز لأى منا أن يتبع نهجهما ؟!!.

مع أن سيد قطب قد حدد موقف الناس من الدين الإسلامى ومن رسوله ﷺ بعد الفتح إذ قال :"فصار أهل الأرض معه ثلاثة أقسام : مسلم مؤمن به ، ومسالم له آمن ، وخائف محارب"[3].

---

[1] ابن هشام ، م ، س ، ١/٣١٥.
[2] ابن كثير السيرة النبوية ، ٣/٥٧٠.
[3] سيد قطب ، م ، ن ، صـ٥٦.

إلا أنه مع ذلك الفهم يصم المسلمين جميعهم فى عصرنا بالجاهلية والكفر ، ومافتأ يردد هذه الوصمة ويلصقها بالمسلمين جميعهم حكاما وشعوبا وأنظمة ودولا فى مواضع كثيرة من كتابيه (فى ظلال القرآن) و(معالم فى الطريق).

المودودي ونظرية الخلط بين الإسلام والفكر الإسلامي :

مفهوم العبادة بين الدين والفكر الديني :

يتصدى محمد زكريا الكاندهلوى[1] لزجر المودودى لقوله (إن العبادات تبطل بالمعاصى) "يخطئ من يقول "إن العبادة إنما هى محدودة بين المسبحة والسجادة ، والمسجد والزاوية ، والمؤمن الصالح لا يكون عابدا إذا كان يصلى خمس صلوات فى اليوم والليلة ، ويصوم شهرا فى السنة ، ويؤدى الزكاة مرة فى السنة ، ويحج مرة فى حياته فحسب ، بل إن حياته كلها عبادة ، فهو عندما يترك الحرام فى تجارته ويقنع بالرزق الحلال أليست هذه عبادة ؟ وعندما يتجنب الظلم والكذب والغش والخداع فى المعاملات ، ويختار العدل والصدق ،أليست هذه عبادة ؟ فالحق إن الإنسان مهما عمل من أعمال الدين والدنيا اتباعا للشريعة وإطاعة لأمر الله فهو عبادة ، حتى بيعه وشراؤه فى الأسواق ، ومعاشرته مع الأهل ، وانهماكه فى الأشغال الدنيوية الخالصة عبادة[2] ومعنى قوله هذا أن تخلف المسلم عن معاشرة الأهل مثلا يعد معصية وامتناعا عن أداء العبادة.

وربما كان هذا ما أوجب تساؤل الكاند هلوى المستنكر :"من الذى يقول : إن فعل الحرام ليس بمعصية ؟ وأنه لا يوجب العقاب ، ولكن ليس معنى ذلك أن من ارتكب هذه المعاصى ، ثم أدى هذه العبادات ، فلا تبقى هذه العبادات وهل هذه عقيدة أهل السنة والجماعة إن العبادات تبطل بالمعاصى ؟

فإن كانت العبادات تبطل بالمعاصى - كما اخترعه (الأستاذ) المودودى فما معنى قوله تعالى :"﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ (النساء : ١١٦).

---

(١) سيد قطب ، م ، ن ، ص ٥٦.

(٢) المودودى ، المصطلحات الأربعة ط٦ (الكويت ، دار القلم ١٣٩٧هـ - ١٩٩٧م) ص٤٧.

ولا يكتفى زكريا الكاند هلوى باستنكار تخريج المودودى للفرائض (العبادات) ولكنه يزجره بقوله :"إن أخطر شيء في مؤلفات (الأستاذ) المودودى ، والسم الذى يسقيه جماعته ممزوجا بالسكر هو الحط من مكانة (العبادات) وأن مجدكم (يقصد المودودى) يقول إنها غير مقصودة . وهى وسائل للعبادة الكبرى ، وليست هى عبادة حقيقية .." ويقتطف الكاند هلوى الشواهد من أقوال المودودى يؤكد بها زجره للمودودى ولما طرحه حول مصطلح العبادة "وإليكم بعض الأمثلة من كتاباته[1] .. يقول (الأستاذ) المودودى "هذا هو الغرض الذى من أجله فرضت الصلاة والصوم والزكاة والحج فى الإسلام ، وليس معنى تسميتها بالعبادات أنها هى العبادات ، بل معناه أنها تعد الإنسان للعبادة الأصلية ، وهذه دورة تدريبية لازمة لها "ويقول أيضا :"إنكم تظنون أن الوقوف متوجها إلى القبلة واضعا اليد اليمنى على اليسرى والركوع معتمداً على الركبة والسجود على الأرض وقراءة الكلمات المعدودة وهذه الأفعال والحركات هى العبادة فى ذاتها ، وتظنون أن الصوم من أول رمضان إلى أول شوال ، والجوع والعطش من الصباح إلى المساء هو العبادة ، وتظنون أن الطواف حول الكعبة عبادة وبالجملة : فإنكم قد سميتم ظواهر بعض الأعمال عبادة، وعندما يقوم شخص بأداء هذه بأشكالها وصورها تظنون أنه قد عبد الله .. والحق أن العبادة التى خلقكم الله من أجلها والتى أمركم بأدائها هى شيء آخر".

ويقول :"ولو سألتم عن الصلاة والصيام ما هما ؟ لكان الجواب هو أن هذه العبادات فرضها الله ، الغرض منها الإعداد للعبادة الكبرى التى يجب العمل بها فى حياتكم فى كل وقت وحال.."

وقال :" إن معنى العبادة الذى يدور فى أذهانكم هو غلط من أصله أنكم تعدون الإمساك عن الأكل والشرب من السحر إلى المغرب صوما ، وأن ذلك هو العبادة ولكنكم لا تعلمون أن الجوع والعطش ليس أصل العبادة بل هو صورة العبادة".

وقال أيضا :" إن الصلاة والصيام والزكاة والحج كلها للتربية ، كما أن دول العالم تقوم أولا بتربية شعوبها للجيش والشرطة والأعمال المدنية ، ثم تستخدمهم

---

[1] الكاند هلوى ، م ، ن ، ص ٤٥.

فيها ، كذلك الدين الإسلامي يربي بطريقة خاصة من يدخل فيه ،ويتجنب لخدمته، ثم يستخدمه للجهاد والحكومة الإلهية".

ويتساءل الكاند هلوى مستنكرا : " هي نماذج قدمتها ، ومؤلفات (الأستاذ) المودودى مليئة بهذا الأسلوب ، وإننى لا أحب أن أقول شيئا فى حق (الأستاذ) المودودى ، ولكنى أسأل هل هذا هو مفهوم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بأن هذه العبادات غير مقصودة ، وإنما هى وسائل تعد الإنسان للعبادة الكبرى ، وإلا فلا فائدة فيها ؟! "[1].

ويضيف الكاندهلوى إلى ذلك قوله :"إن الكتاب والسنة قد أكدا على الأركان الخمسة ما لم يؤكد على غيرها ، إذ أن تأكيد (الأستاذ) المودودى على غير هذه الأركان بحيث يقلل من أهميتها (ويعتبرها)* غير مقصودة وما سواها مقصودة ، ويجعلها تابعا وغيرها أصلا ..

أما تكفى الفضائل التى وردت فى الكتاب والسنة للجهاد حتى تبقى هناك حاجة إلى الحط من أركان الإسلام ؟ أما يكفى لأهمية الدولة الإسلامية أن بها تعلو كلمة الله ويسهل العمل فيها بالشريعة المطهرة ويكون أداء أركان الإسلام بغاية الكمال ، وغير ذلك من المقاصد ؟.

أما تشعرون أن اعتبار الجزء الخاص مقصدا أساسيًا للإسلام - وهذا (يعتبر) إصلاحا فى الشريعة المطهرة ، وليس هذا من حق أحد غير النبى ﷺ أدى ذلك إلى أن أفراد هذه الجماعة ازداد فيهم الحط من مكانة الأركان الإسلامية وممن يهتمون بأدائها"[2].

ويذهب محمد يوسف البنورى إلى ما ذهب إليه الكاندهلوى حيث يأخذ على المودودى وهو يستعرض قوله ويحلله وينقده فيما ذهب إليه من :"أن هذه العبادات من الصلاة والصيام والزكاة والحج فرضها الله عليكم وجعلها من أركان الإسلام ، شأنها ليست كعبادات المذاهب الأخرى ، إذا قمتم بها فرغت ذمتكم

---

[1] الكاندهلوى ، م ، ن ، ص ٤٧-٤٩.

* وبعدها.

[2] محمد زكريا الكاندهلوى ، م ، ن ، ص ٤٩.

ورضى الله بها عنكم ، بل فرضت هذه العبادات إعداداً لمقصد عظيم وأمر جليـل .." إلى أن قال : "إن الغرض أن يخرج المرء من سلطة الإنسان ويدخل تحـت سـلطان الله الأحد ، والجهاد هو بـذل النفس والجـهد التـام لهـذا الغـرض ، والصـلاة والصيـام والحج والزكاة للإعداد لهذا الغرض الوحيد".

وينتقد البنورى ذلك الذى طرحـه فكـر المـودودى بقولـه : "هـذه الفكـرة مـن (الشيخ) المودودى - تدل على أن العبادات ليست من مقاصد الدين الإسلامى ، وإنما الغرض منها هـو حصـول النظـام الشـرعى أى الخلافـة الإسـلامية ، وشـرعت هـذه العبادات للحصول على السلطة والإقتدار ، والمقصود من الإسلام إقامة هـذا النظـام ، وهذا قلب للحقائق الإسلامية والشرائع الإلهية ، وخروج عن الصراط المستقيم.

فالسلطة مطلوبة لإقامة الدين وأداء العبادات ، فالعبـادة مقصـودة مـن أكـبر مقاصد الدين ، والخلافة والحكومة وسيلة للحصول على هـذا المقصـود والله سـبحانه وتعالى يقول: ﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقـاموا الصـلاة وآتـوا الزكـاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ (الحج : ٤١).

فجعل الله سبحانه هذه العبادات غايـة للحكومـة والسـلطة . فـأنظر كيـف عكس الأمر* وقلب فجعل المقصد وسيلة والوسيلة مقصداً ، وهذا فضلا عن كونه قلب الحقائق الشرعية وسيلة لكل زيغ وضلال ، فإذا حصلت السلطة وحصل المقصد فماذا تنفع الوسيلة .. وأى لزوم لإبقاء الوسائل بعد حصول المقاصد .؟" [1].

ويقف البنورى وقفة تأملية نقدية لتفسير المودودى لقوله عز وجل :﴿ هـو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلـه ولـو كـره المشركون ﴾ (التوبة : ٣٣) إذ جاء فى تفسير المودودى لهذه الآية ما يأتى : "المراد من الهدى فى الآية : أن يعيش المرء فى الدنيا فـى نظـام صـالح للفـرد والعشـيرة ، والبيئة ، والمعاش وتدبير الملك ، والحكمة العملية فـى السياسـة والعلاقـات العالميـة

---

* يقصد المودودى.

[1] محمد يوسف البنورى ، (الأستاذ) المودودى وشىء من حياته وأفكاره ، (باكستان القاد ، برنتنك سـنتر ، ١٣٩٦ هـ ، ١٩٧٦م) ص ٢٧ ، ٢٨.

الدولية ، أى جميع نواحى حياة المرء كيف يعيش فيها ، هذا هو الهدى الذى أرسل رسول به.

والمراد من الدين : معناه قريب مما يعبر به اليوم "استيت STATE بأن يدين الناس للسلطة العليا ، و"دين الحق" أن تكون هذه السلطة لله وحده ، دون أن يكون للغير فيها شأن ، فالرسول مأمور بنظام الملكة يكون فيها الحاكم هو الله وحده"[1].

ويبدأ "البنورى" فى مؤاخذاته للمودودى بالآتى فيقول :"إن الدين عبارة عن مجموعة من العقائد الدينية ، والعبادات الشرعية ، والأحكام التكليفية ، والأخلاق المرضية ، فهناك عبادات وعقائد وأعمال وأخلاق تشملها كلمة الدين ، وهذا هو الذى يصرح به القرآن الكريم وأحاديث النبى الكريم عليه صلوات الله وسلامه ، وإليه الإشارة فى قوله تعالى :"إن الدين عند الله الإسلام" وفى قوله تعالى :"رضيت لكم الإسلام دينا" فدين الإسلام جامع لسائر العقائد ، والأخلاق والمعاملات الفردية والاجتماعية والوطنية ، فما يتعلق بالمسائل الاجتماعية أو الوطنية أو العالمية الدولية تدخل تحت السياسة الشرعية ، فهى جزء من الدين لا أنه هو الدين كله ، فتفسر الدين بالحكومة أو الدولة ، وبالإنجليزية" استيت State فحسب بدعة وضلال وخروج عن الحق وعن الصراط المستقيم السوى لا يرضى به الدين ولا أرباب الدين"[2].

ويلخص محمد الجمال مجمل النقد الموجهة إلى المودودى فى هذا الصدد قبل مناقشته لهذه (الانتقادات)*.

الاعتراض الأول :

نقد معنى العبادة من أربعة أوجه :

(أ)معنى العبادة عند المودودى معنى مخترع لا أصل له فى أقوال الرسول ﷺ ولا أقوال الصحابة والتابعين.

---

[1] أبو الأعلى المودودى ، م ، ن ، ص ٤٧.

[2] محمد يوسف البنورى ، م ، س ، ص ٣٠-٣١.

* كما وصفها . ومن المعلوم أن الانتقادات تتمثل فى كشف السلبيات وعرضها بينما يتمثل النقد فى الكشف عن الإيجابيات مع الكشف عن السلبيات فى آن معا.

(ب) هذا المعنى يؤدى إلى (الخلط)* العبادات بغير العبادات.

(جـ) هذا المعنى يؤدى (للتقليل)* من أهمية العبادات.

(د) إن العبادات تبطل بالمعاصى التى يرتكبها الإنسان.

الاتجاه الثاني للنقد :

المودودى يجعل العبادات ليست من مقاصد الدين الإسلامى .. ولكن مجرد وسيلة لغاية هى حصول النظام الشرعى أى الخلافة"[1].

ولئن عرض حمد الجمال فى مناقشته للجانب النقدى لفكرة المودودى عن العبادات فقد اتبع عرضه للمؤاخذات النقدية على فكر المودودى بعرض للمدافعين عن ذلك الفكر عملا على استقامة المنهج البحثى.

الفكر السياسى للفرق الإسلامية وظلاله على فكر التنظيمات الإسلامية المعاصرة (فى مسألة الخلافة):

يقول أحمد صبحى فى استعراضه للفكر السياسى لدى الفرق الإسلامية منذ نشأتها : "تشترك الفرق الإسلامية التى اهتمت بالفكر السياسى – وأعنى بذلك أهل السنة والشيعة والخوارج – فى تصور السياسة مستندة إلى الدين ، إنه إذا كانت الحضارة الإسلامية قد قامت على أساس من الدين ، وبسبب منه فالسياسة من أهم مظاهر أى حضارة وقد دعم اقتران السياسة بالدين جمع الرسول ﷺ بين السلطتين الروحية والزمنية منذ هجرته إلى المدينة – بل إن تصور نظام سياسى مستقل عن الدين كان يبدو لدى مفكرى الإسلام منذ قيام الدولة الإسلامية وحتى نهاية الخلافة أمرا غريبا"[2].

ويقول ابن خلدون فى مقدمته ".. وأما السياسة العقلية فالبرغم من أنها قوانين يفرضها العقلاء وأكابر الدولة وبصراؤها فإنها نظر بغير نور الله ، ومن لم

---

* خلط.

* غير موجودة فى نص نقده للمودودى .

[1] حمد بن صادق الجمال ، أبو الأعلى المودودى – حياته وفكره العقائدى (جدة ، دار المدنى للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م) صـ ٣٠٤.

[2] أحمد محمود صبحى ، النظريات السياسية لدى الفرق الإسلامية (عالم الفكر) مج ٢٢–ع٢ أكتوبر – ديسمبر ١٩٩٣ ، صـ ١٥٣ ديسمبر ١٩٩٣ ، صـ ١٥٣ ، نوفمبر.

يجعل الله له نورا فما له من نور"أما السياسة الدينية فهى أصلح هذه الأنظمة لأنها مفروضة من الله بشارع يقرها ويشرعها ،وبذلك تكون السياسة على منهاج الدين فيكون الكل محاطا بنظر الشارع الذى هو أعلم بمصالح الكافة فيما هو مغيب عنهم ، فالسياسة الدينية نافعة فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، إذ ليست هى سعادة الخلق فى دنياهم فقط وإنما هو دينهم المفضى إلى سعادة"[1].

وإذا كان أبو الأعلى المودودى فى دعوته للحاكمية عن طريق الحكم الثيوقراطى (حكم رجال الدين) يرى أن الحكم الإسلامى يجب أن يكون ثيوقراطيا فإن قول ابن القيم يغلط المودودى فيما رأى من أن نظام الحكم فى الإسلام نظام ثيوقراطى – بمعنى دعوى الحاكم أن أحكامه تصدر عن وحى أو إلهام من الله – يقول ابن القيم : "ومن قال لا سياسة إلا بما نطق به الشرع فقد غلط وغلّط الصحابة"[2].

الفكر السياسى على أيام الرسول ﷺ:

يستعرض أحمد صبحى تاريخ الفكر السياسى عند المسلمين ويخلص إلى أن فقهاء أحل السنة يستندون فى تقييمهم لكثير من أحكام الرسول السياسية أنها كانت عن اجتهاد إلى أمور ثلاثة :

١- أن الرسول لم يبين الأحكام السياسية تفصيلا كما بين أحكام الدين.

٢- أنه لم يستخلف.

٣- أنه كان يستشير أصحابه ، بل لقد أمره الله بذلك :"﴿ وشاورهم فى الأمر ﴾ (آل عمران ١٥٩) وكان ينزل عن رأيه فى كثير من الأحيان.

كما يخلص إلى أنه إذ لم يكن نظام الحكم زمن الرسول ﷺ ثيوقراطيا خالصا فى رأى جمهور فقهاء أهل السنة : فأولى بذلك أن يستبعد وصف الثيوقراطية عن النظام السياسى لدى الخلفاء من بعده ، يدلنا على ذلك ما ورد فى خطبة أبى بكر حين تولى الخلافة "لا تسألونى ما كنتم تسألونه رسول الله ﷺ فإن الرسول قد عصمه الله بالوحى "وبذلك نفى الثيوقراطية نفيا تاما عن أحكامه السياسية بل الدينية

---

[1] ابن خلدون المقدمة ، القاهرة ، المكتبة التجارية ، صـ ١٥٣.

[2] ابن القيم ، الطرق الحكمية ، صـ ١٤.

أيضا، يقول الأشعرى : "أول ما حدث من الاختلاف بين المسلمين بعد وفاة نبيهم"[1].

ولئن كان مفكرو الإسلام قد اتفقوا على السياسة الدينية فإن الفرق الإسلامية قد اختلفت بصدد "الثيوقراطية" سواء فى تقييم سلطة الرسول السياسية أو ما ينبغى أن يكون عليه نظام الحكم من بعده"[2].

ومن ناحية أخرى يستبعد صبحى من مفهوم الثيوقراطية دعاوى بعض الخلفاء لدعم سلطاتهم كدعوى معاوية أن وصوله إلى الحكم إنما كان بقضاء من الله قد قدر أو دعوى أبى جعفر المنصور أنه ظل الله فى أرضه ، وذلك أن نظرية التفويض الإلهى وإن اتخذت مظهرا ثيوقراطيا فإنها كانت تعبر عن أمر واقع قد فرض بالقهر.

ونحن بدورنا نرى فى كل إدعاء لوال أو لحاكم أن وصوله للحكم إنما قد كان وفق تفويض إلهى هو لون من ألوان القهر السياسى نسب إلى القهر الإلهى الجبرى.

الحاكمية من الخوارج إلى العصر الحديث :

تنطلق فكرة الحاكمية فى الإسلام كرد فعل لواقعة التحكيم بين الإمام على كرم الله وجهه وعثمان (رضى الله عنه) وقد بدأ التنظير لموضوع الإمامة بعبارة الخوارج بعد التحكيم (لا حكم إلا لله) بعد أن خدع معاوية وهو ممثل عثمان أبا موسى الأشعرى ممثل على (رضى الله عنه) حيث اتفق معه على أن يخلع كل منهما صاحبه ، وعندما أعلن الأشعرى خلع على ، أعلن معاوية تثبيت عثمان فخرج أنصار "على" عليه ورفعوا المصاحف فوق أسنة السيوف للتعبير عن احتجاجهم على عملية التحكيم وأطلقوا عبارتهم تلك (لا حكم إلا لله) وكانت عبارتهم تلك هى الأساس النظرى الذى شكل قاعدة اتخذتها الجماعات التى تسوغ لنفسها فى دولة الإسلام على مر العصور الإسلامية منذ عملية التحكيم ، الخروج على الحاكم

---

(1) الحسن الأشعرى ، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين – نشرة محى الدين عبد الحميد ، بالقاهرة ، ص٣٤.
(2) صبحى ، م ، ن ، ص ١٣٦-١٣٧.

باستثناء خروج الحسين (رضى الله عنه) على يزيد بن معاوية ذلك الخروج الذى أحرج أهل السنة.

ومع أن الإمام على قد رد الخوارج فى حينها : "كلمة أريد بها باطل إنما لابد للناس من إمام بر أو فاجر "ومن ثم غدا موضوع الإمامة ووجوب تنصيبه أمرا يبحث فى كتب الإمامة سواء لدى أهل السنة أو لدى الشيعة[1].

الحاكمية فى الإسلام بين السنة والشيعة :

يرد ابن النديم نشوء النظرية السياسية للحكم فى الإسلام إلى الشيعة بفرقها المختلفة : (الإثنى عشرية - الزيدية - الإسماعيلية) فلكل من هذه الفرق التى انشطرت عن فرقة الخوارج نظرية إسلامية فى الحكم : "إن أول من تكلم فى مذاهب الإمامة وألف فى ذلك هو على بن إسماعيل بم ميثم التمار . وله من الكتب كتاب (الإمامة) وكتاب (الاستحقاق) ويقول عن هشام عن الحكم (ت ١٧٩هـ) إنه هو الذى فتق الكلام فى الإمامة وهذب المذاهب وسهل الحجاج فيه"[2].

ولنا أن نتساءل مع أحمد صبحى : "لماذا كان للشيعة - وليس لأهل السنة - فضل السبق إلى الكتابة فى النظرية السياسية أو بالأحرى الإمامة ؟ "لنتلق الإجابة : "إنما يرجع ذلك إلى الوقائع التاريخية منذ وفاة الرسول ﷺ (عام ١١هـ) إلى كارثة كربلاء (عام ٦١هـ) فقد كانت تعبر من منظور شيعى عن أمرين :-

١- استبعاد متعمد لآل بيت النبى ﷺ عن الخلافة.

٢- اضطهاد آل البيت وشيعهم منذ قيام الدولة الأموية.

وهكذا شكلت المآسى التاريخية المادة التى انبعثت عنها أول نظرية فى الإمامة على أيدى متكلمى الشيعة[3].

وإذا كان هذا هو موقف الشيعة من المسالة السياسية فى الإسلام فماذا عن أهل السنة . يقول أحمد صبحى : "على خلاف ذلك كان موقف أهل السنة.

---

(1) صبحى، م، ن، صـ ١٣٧.

(2) ابن النديم، الفهرست، المقابلة الخامسة، صـ ٢٤٩.

(3) صبحى، م، ن، صـ ١٣٧.

كان أقرب إلى التسليم بالأمر الواقع سعيا إلى وحدة الجماعة الإسلامية وخوفا من الفتنة المترتبة على الفرقة والانشقاق ، دون تأييد للأمويين أو خروج عليهم ، ويدل على ذلك موقف تابعي يجله أهل السنة وهو حسن البصرى (ت ١١٠هـ) فقد وصف الحجاج بأنه الطاغية الذى سفك الدم الحرام فى البيت وأخذ المال الحرام ، ومع ذلك : قال "أرى ألا تقاتلوه فإنها إن تكن عقوبة من الله فما أنتم برادين لعقوبة الله بأسيافكم وإن يكن بلاء فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين"[١].

إذا فقد كان هذا هو موقف أهل السنة من المسالة السياسية إذ انشغلوا بالمسائل الفقهية.

"بينما اختلف الأمر لدى الشيعة الذين كانوا فى حاجة إلى تنظير عقائدى يمكن لهم وهم من السلطة مضطهدون ، واضطر متكلمو أهل السنة فيما بعد إلى الخوض فى مسائل السياسة للرد على الشيعة"[٢] على سبيل المثال حين اعتبر الشيعة أبا بكر مغتصب حق على ، التمس أهل السنة سندا شرعيا لخلافته معلنين : (ارتضاه رسول الله لديننا -حين قدمه إلى الصلاة فى مرض الوفاة - أفلا نرضاه لدنيانا) [٣].

وكان رد أهل السنة إذن فى المسألة السياسية مجرد رد فعل للشيعة الذين "قد حددوا موضوعات البحث ومسائله ومصطلحاته حتى أن تسمية الموضوع بالإمامة إنما جاء من جانب الشيعة ليميزوا بين صاحب الحق الشرعى وهو الإمام وبين الممارس للسلطة بالفعل وهو الخليفة"[٤].

ويخلص أحمد صبحى فى تأصيله للفكر السياسى "نظرية الإمامة" عند المسلمين إلى أن أول بادرة للنظر فى السياسة لدى الخوارج ، حيث حربهم للإمام

---

[١] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، القاهرة ، كتاب التحرير ١١٩/١.
[٢] أحمد محمود صبحى ، م ، ن ، ص ١٣٨.
[٣] أحمد محمود صبحى ، م ، ن ، ص ١٧٥.
[٤] صبحى ، م ، ن ، ص ١٣٨.

على بصرف النظر عن وجه الصواب أو الخطأ فيها - من أجل المبادئ لا الأشخاص "على خلاف الأمر فيمن حاربه فى واقعتي الجمل وصفين"[1].

إن التنظير المتكامل للسياسة فى الفكر الإسلامى إنما نشأ فى أوساط - الشيعة كحزب معارض - رد فعل للمآسى التى لحقت بآل البيت والاضطهاد الذى نال الشيعة.

جاءت كتابة متكلمى أهل السنة وفقهائهم متأخرة للرد على الشيعة.

"الإمامة" ، "الخلافة" لفظان مترادفان لدى فقهاء السنة كما أن للخليفة سلطة دينية إلى جانب سلطانة السياسى . استنادا إلى ما ذهب إليه الموودى فى كتابه (الأحكام السلطانية).

حين نظر إلى المسألة السياسية لدى أهل السنة وذهب إلى (أن الإمامة موضوعه خلافة النبوة فى حراسة الدين وسياسة الدنيا) .

نخلص من عرض نظرة كل من طرفى الصراع فى إدارة المجتمع الإسلامى وحكمه إلى ما يأتى :

إن الخلافة عند أهل السنة وهى الإمامة تتم بالعقد والاختيار أى بالبيعة فى حين أن الإمامة عند الشيعة تتم بالنص والتعيين.

أما البيعة فهى مرهونة بشروط حددها الودودى على النحو الآتى :

الأول : العدالة على شروطها الجامعة.

الثانى : العلم المؤدى إلى الاجتهاد فى النوازل والأحكام.

الثالث : سلامه الحواس من السمع والبصر واللسان ليصبح معها مباشرة ما يدركه بها.

الرابع : سلامة الأعضاء من نقص يمنع من استيفاء الحركة وسرعة النهوض.

الخامس : الرأى المفضى إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح.

السادس : الشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية البيضة وجهاد العدو.

السابع : النسب وهو أن يكون من قريش لورود النص فيه ، وانعقاد الاجتماع عليه ولاحتجاج أبى بكر يوم السقيفة.

---

[1] صبحى ، م ، ن ، ص ١٣٨.

وإلى جانب هذا خلاف بين فقهاء أهل السنة على اعتبارات ثلاثة في الخليفة : الحرية والبلوغ والذكورة.

فإذا كان أمراء الجماعات الإسلامية المنتشرة في أقطار العالم العربي الإسلامي ينسبون أنفسهم إلى أهل السنة فإلى أي حد تنطبق عليهم هذه الشروط التي حددها المودودي في مسألة البيعة للإمامة هل حصل واحد منهم على البيعة وفق أصولها المرعية من السلف السني وهل بويع البنا أو الهضيبي أو شكري مصطفى.

نعم بويع البنا من ستة نفر حرفيين ، وبويع الهضيبي ، كذلك شكري مصطفى ولكن إلى أي حد يمكن اعتبار مثل هذه البيعة أو تلك بيعة شرعية ؟ خاصة وأن البلاد لها حكامها . لقد قام ستة أشخاص كلهم من صغار الحرفيين ، نجار وحلاق ، مكوجي ، جنايني ، سائق وعجلاتي بزيارة حسن البنا في منزله ليبايعوه مرشدا وهاديا لهم"[1].

وتعد زيارة قادة الجهاد للفيوم "للقاء (د) عمر عبد الرحمن "حيث استقبلت عبود الزمر ، ومحمد عبد السلام فرج وكرم زهدي "[2] تعد زيارة هؤلاء القادة الإرهابيين نوعا من المبايعة لعمر عبد الرحمن.

لقد فهم عمر عبد الرحمن ذلك ، ووعاه - بغض النظر عن صحة ذلك شرعيا - لذلك امتنع عن زيارة شوقي الشيخ الذي انفصل عنه وشكل تنظيما إرهابيا جديدا على أثر اجتماع في مايو ١٩٨٩ " تم بين (الشيخ) عمر عبد الرحمن وشوقي الشيخ وقول الأخير للأول : إنك كافر ويستحل دمك أنت ومن يتبعك " وكان رد (الشيخ) عمر :"إن أمثالك خطر على الإسلام ، وعلى دعوتنا ، والأفضل أن يودعوك بمستشفى للأمراض العقلية"[3].

وبعد حرق الشوقيين لمسجد "في قرية العلوية " يصلي فيه أتباع عمر عبد الرحمن اعقبه قيام أحمد واعر ووالي مصري من مجموعة شوقي الشيخ بحرق جرار زراعي ملك الأخوين عبد العظيم وبكري على جاب الله لرفضهما الانضمام للتنظيم

---

[1] عصام زكريا ، حسن البنا في أضخم كتاب عن الإخوان المسلمين " - نجار وحلاق ومكوجي وعجلاتي وراء حركة افسلام السياسي " (روز اليوسف) العدد ٣٤٨٠ في ١٩٩٥/٢/٣٠ ، صـ ٥٢.

[2] م ، ن ، صـ ٢١.

[3] م ، ن ، صـ ٢١.

الجديد ، ولم يتمكن الأمن من الوصول للجاني ، لأن أحدا لم يبلغ عن الوقائع . بعد ذلك تدخل بعض أفراد التنظيمات المتطرفة للتوفيق بين شوقى الشيخ و(الدكتور) عمر عبد الرحمن إلا أن الأول اشترط أن يجئ إليه (الشيخ) عمر وبدون حماية من أتباعه ،وهو ما حدا (بالشيخ) عمر إلى تجاهل طلبه"[1].

وكذلك تعد مباركة شقيق شوقي الشيخ - فى عرف الجماعات استناداً إلى بعض الفتاوى الأصولية موضوع البيعة *نوعا من المبايعة : "بدأ إعلان جماعة الشوقيين داخل قرية سنرو التابعة لمركز أبشواى بالفيوم بمباركة من شقيق زعيم التنظيم أحمد الشيخ"[2].

ونخلص مما تقدم إلى أن الأسباب السياسية هى الأصل فى التنظيمات الإرهابية المتصلة بالدين وهذا ما يؤكده حسن البنا إذ يقول مكفرا من لا يتبعه "أتحسب أن المسلم الذى يرضى بحياتنا الهوم ويتفرغ للعبادة ، ويترك الدنيا والسياسة للعجزة الآثمين ، يسمى مسلما ؟ كلا إنه ليس بمسلم "[3].غير أنه قد فاتنا القول بأن البيعة للحاكم لا تصح فى وجود حاكم للبلاد بل تصح حين يخلو كرسى الحكم من الحاكم بموته أو عزله شرعيا.

---

(1) مصطفى سلماوى ، م ، ن ، صـ ٢١.

* ذهب أبو الحسن الأشعرى والغزالى والشهر ستانى إلى أن عقد الإمامة يتم بواحد فقط يعقدها لمن اختاره ، إذ تم عقد الخلافة لأبى بكر بمجرد أن عقدها له عمر ، كما انعقدت لعثمان بعد أن عقدها له عبد الرحمن بن عوف (راجع الشهرستانى . نهاية الإقدام صـ ٤٩٦) – غير أن ذلك فى رأيى مشروط بتأكيد ذلك جماعيًا .

(2) م ، ن ، صـ ٢١.

(3) حسن البنا مقال بعنوان بين الدين والسياسة "الإخوان المسلمين" ١٩٤٥/٣/٤.

خلاصة الفصل :

فى محاولة لفك الاشتباك بين الدين وبين الفكر الدينى السياسى وبين الفكر الدينى والمجتمع خلصنا فيما تقدم إلى أن الفكر هو المحرك للفعل وأن هناك خلطا بين الإسلام كدين وبين الفكر الإسلامى ، وهذا الخلط أوجد عددا من الإشكاليات بين ما قرره الشرع فى شأن العبادات وما فهمه أصحاب الفكر السياسى الدينى بشأنها . وفى فهمهم لدور المسجد توجد إشكالية ، وفى فهمهم لشروط الزواج فى الإسلام إشكالية ، وفى فهمهم لمصطلح الجاهلية وما يترتب عليه من اتهام المجتمعات الإسلامية بالكفر ومن ثم إباحة استحلال كل شيء بما فيها الدم والمال والعرض ، وفى موقفهم من الوالدين وعدم المصاحبة إذا عصيا عضو التنظيم الإسلامى فيه إشكالية لذلك وازنًا فى هذا الفصل بين مفهوم الدين وهذه الإشكاليات تطبيقًا على النصوص وما يطرحه هؤلاء وانتهينا إلى أن هؤلاء يقولون بغير ما يقوله الدين فى هذه المسائل المقررة شرعا وأن منابعهم الفكرية ليست من السنة بل هى من جهود الشيعة الذين يعدون أول من زرع الإسلام السياسى فى العالم الإسلامى. ومن تبعية مطلقة لتفسيرات خاطئة للمودودى أو لسيد قطب ومحمد قطب.

وعند مناقشة مسألة الحاكمية وترتيبات البيعة وفقا لشروط الفقهاء وأهمها شروط عقد البيعة فى عرف المودودى نجد أنها تستحيل إلا بخلو مقعد الحكم من شاغله (الحاكم) بموته أو بعزله شرعا ، ومن هنا فإن البيعة للبنا أو لعمر عبد الرحمن أو لشكرى مصطفى أو لشوقى الشيخ أو لأى واحد تنطبق عليه شروط عقد البيعة غير صحيحة لعدم خلو مقعد الحاكم. من ناحية ولعدم الإجماع أو الغالبية المؤكدة لعقد البيعة للوالى أو الحاكم بناء على اقتراح فردى .

ثبت المصادر والمراجع

أولاً :

١-آى الذكر الحكيم : (السور) :

(البقرة - القصص - الأعراف - النحل - الحشر - الأنبياء - الأنفال - الكهف - المجادلة - يوسف - الزخرف - الحديد - النور - آل عمان - الجاثية - المائدة - الرعد - النساء - الإسراء - العنكبوت - الأنعام - التوبة - ق - الحجرات - الفتح - لقمان - الجن - الحج) .

٢-التوراة

٣-الأحاديث النبوية .

ثانياً : المصادر

١- أبو الحسن الأشعرى مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، نشره محى الدين عبد الحميد ، القاهرة.

٢- أحمد جلال عز الدين ، الإرهاب والعنف السياسى ، القاهرة ، دار الحرية ، ١٩٨٥م.

٣- أحمد زكى بدوى ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، بيروت مكتبة لبنان ١٩٧٤م.

٤- أدونيس العكرة ، الإرهاب السياسى ، "بحث فى أصول الظاهرة وأبعادها الإنسانية" سلسلة السياسة والمجتمع ، بيروت دار الطليعة ١٩٨٣م.

٥- إسماعيل أحمد الشافعى ، الإخوان المسلمون ، دعوة البحث الإنقاذ - مقتطفات من رسائل وخطب المرشد العام، بنى سويف ، مصر ، مطبعة الحميرى د. ت.

٦- ابن خلدون ، المقدمة ، القاهرة ، المكتبة التجارية ، دار الشعب ، ١٩٥٨م.

٧- دانتى الليجيرى ، الكوميديا الإلهية ، ترجمة حسن عثمان ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٥٨م.

٨- الرازى (محمد بن أبى بكر) ، مختار الصحاح ، ط١١ ، القاهرة.

٩- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، كتاب التحرير ، القاهرة.

١٠- السنوسى بلال ، منهج الإرهاب "دراسة فى نشأة وتطبيقات بعض جوانب الإرهاب السياسى ، (شيكاغو) ، دار الإنقاذ للنشر والإعلام ، المحرم ١٤١٢هـ - أغسطس ١٩٩١م.
١١- سيد قطب ، فى ظلال القرآن ، بيروت ، دار الشريعة ، ١٩٨٠م.
١٢- سيد قطب ، معالم فى الطريق ط١٠ ، بيروت ، دار الشروق ، ١٩٨٣م .
١٣- عبد الحكيم عابدين ، مجموعة شعرية ، مصر ، دار الصاوى للطبع والنشر ، د. ت.
١٤- الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، القاهرة ، ١٣٢٦هـ.
١٥- ل . م. مور جوريان "الإرهاب أكاذيب وحقائق ترجمة عن الروسية ، المهندسان : عبد الرحيم المقدار وماجد بطح ، دمشق ، دار دمشق للطباعة والنشر، ١٩٨٦م.
١٦- محمد خليفة التونسى (مترجم) بروتوكولات حكماء صهيون ، القاهرة ، دار الكتاب العربى ، ١٩٦٤م.
١٧- محمد عبد السلام فرج (مؤسس) تنظيم الجهاد)،الفريضة الغائبة ، ١٩٧٦م.
١٨- محمد مؤنس محب الدين ، الإرهاب فى القانون الجنائى على المستويين الوطنى والدولى ، (دراسة قانونية مقارنة) ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٧م.
١٩- مسلم ، صحيح مسلم، الرياض ، رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد جـ٣.
٢٠- المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) : المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار القاهرة ، ١٢٧١هـ.
٢١- المودودى ، المصطلحات الأربعة ، ط٦ ، الكويت دار القلم ، ١٩٧٧م.
٢٢- المودودى ، نظرية الإسلام السياسية ، ط٤٣ ، دمشق ، دار الفكر ، د. ت.
٢٣- موشيه شاريت ، "يوميات موشيه شاريت" فى ١٦ حزيران ، (يونيو) ١٩٥٥م.
٢٤- نبيل أحمد حلمى ، الإرهاب الدولى ، القاهرة دار النهضة العربية ، ١٩٨٨م.
٢٥-يوسيفوس "تواريخ اليهود" وكتابه الآخر" حرب اليهود" عن دائرة المعارف العبرية.

ثانياً المراجع

١- محمد عواد حسين وآخرون ، مجتمع الإسكندرية ، مجموعة دراسات لعدد من أساتذة الحضارة اليونانية بجامعة الإسكندرية ، جمع ونشر عن طريق محافظة الإسكندرية ، ١٩٦٣م.

٢- أبو الحسن سلام ، الإيقاع فى المسرح المصرى ، جدة مطبعة القدس ، ١٩٩٤م.

٣- أحمد شلبى ،مقارنة الأديان ، اليهودية ، القاهرة.

٤- السيد فهمى الشناوى ، "الزعامة بين الإبداع والتدمير" ، الهلال ، نوفمبر ، ١٩٨٣م ، القاهرة ، دار الهلال .

٥- جارودى ، إسرائيل بين اليهودية والصهيونية ، ترجمة : حسين حيدر ، بيروت ، دار التضامن ، ١٩٩٠م.

٦- حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، القاهرة مكتبة النهضة المصرية ، بيروت دار الجيل ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٧- حسن ظاظا ، الفكر الدينى الإسرائيلى ، طرازه ومذاهبه ، محاضرات معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧١م.

٨- حمد بن صادق الجمال ، أبو الأعلى المودودى -حياته وفكره العقائدى ، جدة دار المدنى للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٦م.

٩- رشاد الشامى ، الشخصية اليهودية الإسرائيلية.

١٠- زين العابدين الركابى ، فى تقديمه لكتاب عبد الرحمن معلا اللويحى ، الغلو فى الدين فى حياة المسلمين المعاصرة ، بروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١١- صابر طعيمة ، التاريخ اليهودى العام جـ ١ ، ط٣ ، بيروت ،دار الجيل ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٢- عبد العزيز محمد ، رسالة المسجد ، ط٤ ، بيروت مؤسسة الرسالة ، ١٤١٣هـ -١٩٩٢م.

١٣- عبد القادر شهيب ، ممولو الإرهاب فى مصر ، القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٩٤م.

١٤- عبد القادر عودة ، الإسلام بين جهل أبنائه وعجز زعمائه ، القاهرة ، ١٩٥٢م.

١٥- ماجد الكيلانى ، الخطر الصهيونى على العالم الإسلامى (المملكة العربية السعودية) ، الدار السعودية للنشر والتوزيع.

١٦- محمد سعيد المسلم، القطيف ط٢، مطابع الفرزدق، ١٤٤١هـ - ١٩٩١م.

١٧- محمد قطب، شبهات حول الإسلام، ط٢١، القاهرة، بيروت، دار الشروق، ١٩٩٢م.

١٨- محمد يوسف البنورى، الأستاذ (المودودى) وشيء من حياته وأفكاره، باكستان، ١٩٧٦م.

١٩- مصطفى الفقى ، الإسلام فى عصر متغير، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م.

٢٠- وجيه أبو ذكرى، الإرهابيون الأوائل - جيراننا الجدد، القاهرة، مكتبة المصرى الحديث، ١٩٧٧م.

ثالثاً : الدوريات

١- أحمد حماد، توظيف الشخصية الدينية فى الأدب لخدمة الفكرة الصهيونية، عالم الفكر، الكويت، من وزارة الإعلام الكويتية، أبريل - مايو - يونيه - ١٩٨٣م.

٢- أحمد محمود صبحى ، النظريات السياسية لدى الفرق الإسلامية ، عالم الفكر مجـ ٢٢، ع ٢ ، أكتوبر - ديسمبر ، ١٩٩٣م.

٣- جولدا مائير ، معاريف فى تموز ١٩٦٨م.

٤- جيروزا ليم بوست ، فى عدد ٢٤٤ حزيران ١٩٨٢م.

٥- حسن البنا ، مجلة العصور القديمة ، فى ١٩٤٦/٣/١م.

٦- حسن البنا ، مجلة النذير ، العدد الأول ، ٣ ربيع الأول ، ١٣٥٧م.

٧- حسن البنا مقال بعنوان "بين الدين والسياسة" ، جريدة "الإخوان المسلمين" ، فى ١٩٤٥/٣/٤م.

٨- رفعت بهجت ، "ذلك التأثير الردىء الطيب" ، (مجلة القاهرة) ، العدد ١٣٨ مايو ١٩٩٤ م، القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب.
٩- سعيد العشماوى ، "لجنة الفتوى بالأزهر غير شرعية أى سند قانونى" ، (روز اليوسف) و ع ٣٤٥٤ بتاريخ ١٩٩٤/٨/٢٢م.
١٠- عادل حمودة ، حوار مع فاروق حسنى (مجلة روز اليوسف المصرية) ، العدد ٣٤٥٤ فى ١٩٩٤/٨/٢٢ م ، القاهرة مؤسسة (روز اليوسف).
١١- عصام زكريا ، "حسن البنا فى اضخم كتاب عن الإخوان المسلمين ، (نجار وحلاق ومكوجى وعجلاتى) وراء حركة الإسلام السياسى " ، (روز اليوسف) ع ٣٤٨٠ فى ١٩٩٥/٢/٣٠م.
١٢- على الشوباشى ، "استحلال الوطن والمواطنين" ، مجلة القاهرة ، ع ١٣٨ ، مايو ١٩٩٤م ، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١٣- مجدى دربالة ، "مذكرات قائد الإرهاب بين الصعيد بخط يده" ، روز اليوسف.
١٤- مصطفى سلماوى ، التطرف فى القرن العشرين ، (٢٧) جريدة الأنباء الكويتية ، الخميس ٧ يناير ١٩٩٣م.
١٥- موردخاى هود ، قائد سلاح الطيران فى حرب يونيو ١٩٦٧ م ، فى (صنداى تايمس ،لندن ، ١٦ يوليو ١٩٦٧م.
١٦- نبيل شرف الدين ، تقرير إعلامى حول الجيل الرابع للمتطرفين (مجلة روزاليوسف المصرية) ، ع ٣٤٧٧ فى ١٩٩٥/١/٣٠م.
١٧- هدى عبد السميع "بعض كلاسيكيات الرفض اليهودى للصهيونية" عالم الفكر، الكويت ، ع إبريل ، مايو - يونيه ١٩٨٣م.
١٨- وحيد حامد ، "وسكتت البنادق وارتفعت الحناجر" ، (روز اليوسف) ، ع ٣٤٥٤ بتاريخ ١٩٩٤/٨/٢٢م ، القاهرة ، دار (روز اليوسف).

رابعاً : المخطوطات

١- سعد عبد الرحمن عبد الله الجبرين ، الإرهاب الدولى ، نظرة الشريعة الإسلامية إليه ومنهجها فى مواجهته ، مشروع بحث مقدم استكمالاً لمتطلبات الحصول

على درجة الماجستير مخطوط ، المركز العربى للدراسات الأمنية ، المعهد العالى للعلوم الأمنية ، الرياض ، ١٤٠هـ - ١٩٨٩م.

٢- عادل إسماعيل ، ظاهرة الإرهاب وخطورتها على الأمن القومى وآثاره ودور الشرطة فى مواجهتها ، بحث غير منشور - كلية الدراسات العليا - القاهرة ، مايو ١٩٨٨م.

٣- عبد العزيز على الربيعان ، التخطيط الاستراتيجى لمواجهة الإرهاب الدولى ، دراسة عن دور التعاون العربى فى مواجهة الإرهاب الدولى ، مشروع بحث مقدم استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير ، المعهد العالى للعلوم الأمنية ، الرياض ، هـ - ١٩٩٠م.

٤- عبد الله إبراهيم المهنا ، الإرهاب الدولى خطورته والتخطيط لمواجهته ، المركز العربى للدراسات الأمنية ، مشروع تخرج من المعهد العالى للعلوم الأمنية بالرياض، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

الفهــرس

الموضوع الصفحة

المبحث الثانى

المبحث الثالث

المبحث الرابع

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة